الطرب عند العرب

كتـاب مصور

يبحث عن الموسيقى العربية في العهد الجاهلي والاموى والعباسى
والاندلسي والشعر والموسيقى ومعرفة الاصوات
والآلات الطرب والغناء في مصـــــر
والعـراق بجنوبه وشماله

تـأليف

عبد الكريم العلاف

الطبعة الثانيـة

قدم له الدكتور يوسف عزالدين

من منشورات المكتبة الاهلية
لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري
تلفون ٨١٤٥١

١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٣

طبع في بغـداد بمطبعة اسـعد



عبد الكريم العلاف

الاهداء

الى المبدع مطرب العراق الاول الاستاذ محمد القبانچي ان لبلدي العزيز ووطني الحبيب حضارة عريقة ترتكز على قواعد أصلية ومن هذه القواعد فن الغناء الأصيل ٠

فاليك يا من حفظت هذا الفن وأحييته : اليك يا من أبدعت في ادائه فأثرت اعجاب العالم العربي بما قدمته من قطع خالدة ٠

فالى أخي عميد الطرب العراقي اقدم كتابي هذا كرمز تقدير واخوة ٠

١ كانون الثاني ١٩٦٣ **عبدالكريم العلاف**

مقدمة الطبعة الثانية

في الموسيقى والغناء عند العرب

بقلم : الدكتور يوسف عزالدين

ليست بلادنا العربية قفرا يبابا في جميع أرجائها ، بعيدة عن الحياة والحضارة والمدنية ، وانما كانت مركزا مهما من مراكز الحضارة والتمدن في العالم . وقد عزز هذا الرأى تلك الحفريات التي جرت مؤخرا فأثبتت ان حضارة العرب سحيقة في القدم ، تعود الى عصر أبعد من العصرالجاهلى بكثير . وكانت الحضارة العربية شامخة ومدنيتها عميقة الجذور . ومصداق هذا القول الاراء السامية ، والفلسفة الرائعة ، والقوانين المختلفة ، التي جاء بها الاسلام فأحال العالم الى امة واحدة متحضرة ، تنشد الخير والسعادة للبشر أجمعين . ولو لم تكن التربة العربية صالحة، والنفوس مستعدةلقبول هذه المثل السامية ، والتعاليم الحضارية الجديدة ، لما انتشر الاسلام وعم العالمين ولكان من المستحيل أن يأتي العرب بمثل حضارتهم ويتفوقوا فجأة، لو لم تكن لهم جذور عميقة في الحضارة والمدنية والثقافة . ولابد ان تكون مأرب وسبأ وبطرى وغيرها ، من المراكز الحضارية المندثرة ، قد قامت اثر حضارة أقدم منها ، فلم يصلنا حتى الان الشيء الكافي منها . فتقول دائرة المعارف الاسلامية (لابد ان مدنية بلاد العرب الجنوبية بآلاتها ، ومحارق بخورها ، ونفوسها ، وقلاعها ، وحصونها ، كانت مزدهرة ، في بداية الالف سنة الاولىٰ ق . م) ولم تقف

حضـــارة العرب داخل حدود الجزيرة بل تعدتهـــــا واثرت في الامم المجاورة لها •

والموسيقى والغناء مرحلة حضارية راقية ، لا تصل اليها الامة الا بعد تطورها ، وتفهمها العميق للحضارة ، والابعد أن تكون الامة مرهفة الذوق مصقولةالحواس• لان فهم الموسيقى والشعور بجمال الانغام، والتمتع، برقة الغناء ، والاهتزاز لروعة الاداء ، كلها امور تحتاج الى قابلية حضارية ،والى مران فني ، ورهافة حس ، لا يمكن ان تكتسبها الامم بسهولة ، ويســـر وبجيل واحد •

وعناية الامة بالموسيقى والغناء ، وفهمها ، وتذوقهما ، دليل على ان الامة قد قطعت شوطا بعيدا في الحضارة ، لانهما ترف حضارى ، يعكس لنا درجات رقيها الفني ، والحضارى •

انا لا انكر ان كل الشعوب تطرب ، وتحس بالموسيقى ، ولـــكن اختلاف درجات الفهم ، وسمو النغم ، والتعقيد الموسيقي ، هو ما أنشده • فالزنجي في افريقيا ، والشعوب البدائية تطرب للطبل ، وللادوات البدائية الموسيقية ، وتهزها الانغام الساذجة ، بينما الشعب المتحضر هو الذى تطربه أنغام موتسارت ، وجايكوفسكي ، وبتهوفن ، وهايدن •

وبالرغم من عدم وصول الشيء الكثير عن الموسيقىالعربية القديمة ، لاندثار الحضارة ، يمكننا ان نقيس هذه الموسيقى بالمرحلة الحضارية العالية التي وصلتها ثقافة العرب ، وعلومهم ، وفنونهم مع ان ما وصلنا من الكتب عن الموسيقى العربية والغنــــاء محدود • ولـــكنه يعطينا فكرة واضحة عن هذه الموسيقى • ولعل خير من ألف في الموسيقى من الاجانب هو الاستاذ هنرىفارمر• فقد استقى بحثه من ينابيع كثيرة وسجل تاريخ الموسيقىالعربية، ودرس الموضوع دراسة علمية منظمة ، خرج منها باجل الفوائد ، فبدأها بالعصر الجاهلى ، وانتهى بسقوط العباسيين • ومن العرب ، ألف الزميل الدكتور ناصرالدين الاسد عن (القيان والغناء في العصر الجاهلى) • ولم يترجم كتاب فارمر الا اخيرا ، اما كتاب الاستاذ العلاف فقد طبع سنة **١٩٤٥**

وقد حوى أشياء كثيرة لم يحوها كتاب الدكتور الاسد ولم يتضمنها كتاب (فارمر) لان العلاف اهتم بامور فنية لم يهتم بها (فارمر) اذ بحث الاستاذ العلاف في الغناء العراقي وانواعه واصله وذكر اموراً لم يذكرها الاستاذان (فارمر) و (الاسد) • فقد ذكر لنا بعض الشخصيات العربية ، التي لم تحوها الكتب الاخرى التي ألفت في هذا الموضوع ، اما الطرب نفسه ، فلم يؤلف فيه كتاب خاص • وأشهر كتاب ألفه العرب كتاب (الاغاني) الذى يعطينا فكرة واضحة ، عن مدى انتشار الغناء ، والموسيقى ، ويحدثنا عن مجالس الطرب في الفترة العباسية • ونجد للطرب ذكرا متلازما ، مع أخبار الادب ، لان الادب قوام الموسيقى ، وروح الغناء العربي • وعليه أدار العرب مجالسهم ، فقد اعتنت كتب الادب ، والادباء بالطرب عنايتها بالادب ، فقد ألف (الجاحظ) (طبقات المغنين) و (رسالة القيان) كما أفردت بعض الكتب فصولا خاصة بالغناء ، فمن هذه الكتب (مسالك الابصار) الذى جاء على ذكر الغناء والمغنين ، و (عيون الاخبار) الذى أفرد بابا للقيان والعيدان والغناء ، كما افرد (نهاية الارب) بحثا عن الغناء ، وعن اباحته وتحريمه ، وعن المغنين • وقد ذكر لنا الزميل ناصرالدين الاسد وجود كتب مخطوطة جديدة لم يذكرها سواه من المحدثين منها (حاوى الفنون وسلوة المحزون)، و (الاقناع بأحكام السماع) ، و (كتاب العود والملاهي) ، فبعث الأمل في نفس الباحث بوجود كتب مخطوطة عن الموسيقى والغناء لم تنشر بعد • العصور العربية والاسلامية فلا يمر عصر الا ونجد ذكرا لهذه المجالس ، تنشر بعد •

والشعراء من اكثر الناس ذكرا لمجالس الطرب ، وآلاته في كل العصور العربية والاسلامية فلا يمر عصر الا وتجد ذكرا لهذه المجالس ، واذا فتحنا أكثر دواوينهم على ممر العصور ، نجد الطرب واضحا في شعرهم ، وصداه يرن في أحاسيسهم ، لانه خير وسيلة للنظم ولو درس الشعر العربي من هذه الناحية لوجدت أسماء المغنين ، والمطربين ، ومجالس الطرب ، وآداب مجالسه ، حتى ألف كشاجم (أدب النديم) الذى يذكر

فيه ما يلذ في مجالس الغناء ، وما يشتهى ، وما الاداب التي يتأدب بها النديم في هذه المجالس •

وقد تحدثت كتب الادب عن قاعات الشراب ، وكيف كانت تعـد ، وتزين ، وكيف يتحدث الندمان ، والمسامرون وما عدد المتسامرين ومـا الآت الطرب التي كانت تحضر ، ونوع الشراب الذى يقدم ، ومستلزماته ، وعدد هذه الالات[1]

كما تتحدث هذه الكتب عن الامثال ، والطرائف ، والنوادر ، التي تدور في هذه المجالس ، حتى قال ادم متز (كان اعظم شيء عند العرب الموسيقى والايقاع على الغناء)[2] •

وقد اتفق اكثر المؤرخين (كالمسعودى) ، و (ابن خلكان) على ان أصل الغناء هو الحداء ، وقد أخذ أكثر المؤرخين بهذا الرأى ، لانه جزء من صميم حياة العرب ، ولانه أقرب الى نفوسهم ، وتلائم موسيقاه سير الابل ، ولست أريد أن أتحدث عن المغنين والغناء وأصله فقد أغناني المؤلف الفاضل عن هذا انما أشير الى بعض الكتب التي اعتنت بهذه النواحي ، فمنها كتاب (الاغاني) و (العقد الفريد) و (ابن خلكان) و (الفهرست) وغيرها مما ذكرت •

والشيء الجدير بالاعجاب ان العرب عرفوا (الرمز الموسـيقي) وسجلوا به الموسيقى ومن يقرأ الفهرست يجد بعض أسماء هذه الكتب التي سجلت الالحان • وقد نشر اخيرا • السيد زكريا يوسف مجموعـة (مؤلفات الكندى الموسيقية) وفيها برهان على مدى تقدم العرب الموسيقي ولابد من عناية لجمع المؤلفات الموسيقية المجهولة المنتشرة في العالم واخراجها الى الوجود لنعرف مقدار التقدم الموسيقي لدى العرب •

لذلك فمن المفيد جدا ، أن يعاد طبع (الطرب عند العرب) ، لانه ما زال الكتاب الاول من نوعه ، في المكتبة العربية ، وأصله (موجزا الاغاني العراقية) الذى طبعه المؤلف سنة ١٩٣٣ وزاد عليه ووسعه • وعمله هذا

---

(١) في يتيمة الدهر والموشى ومحاضرات الادباء وكتاب بغداد لابن طيفور وغيرها من كتب الادب الشيء الكثير لمن أراد المراجعة والاطلاع •

(٢) الحضارة الاسلامية ص٢٥٢ الترجمة

يحتاج الى جهد متواصل ، والى ذوق مرهف ، والى حس شاعرى ، والى تتبع موسيقي ، والاستاذ عبدالكريم العلاف من اولئك الشعراء الاوائل ، الذين واكبوا النهضة الفنية ، ونظم الكثير من الاغاني العراقية ، التي كان يترنم بها جميع الجيل الماضى ، وقد كان له في التوشيح باع مشكور[1] ، سجله في كتابه (موجز الاغاني العراقية)

ويؤسفني ان اقول في مقدمة كتابه هذه ان الاستاذ العلاف ، لم ينل الرعاية الكافية ، والتقدير اللائق بمؤلف وبشاعر ، وله من ابائه ، وكرم خلقه ، وحس الشاعر الرقيق ، عوامل تمنع هذا الاديب الفاضل ، والمؤرخ الذواقة من أن يبوح بما يكابد من هذه الحياة ، فهو يجالدها ويكافح كفاح الصابرين ، وبقاؤه بعيدا عن الرعاية والاهتمام دليل واضح على ان المجتمع العراقي لما يزل بعيدا عن رعاية أصحاب الفكر وقادة الرأى وحملة الثقافة• أرجو لأخي الاستاذ عبدالكريم كل خير وأرجو لكتابه الانتشار وليقبل مني تحية المعجب المكبر بأدبه وصبره •

كلية الاداب | **يوسف عزالدين**

---

(١) التوشيح غناء متداول من الشعر (البسيط) ويكثر في حزن النساء لذلك سمي نظم البنات ومن روائعه :

يا ولفي ما انساك لو گرگع الخام | للگبر لو مريت اتحرك عضـــام

ومنـــه :

عذب جميع احشاي مرخص عليها | بس لاتدش بالروح حيث انتهبيها

مقدمة الطبعة الاولى

للاستاذ مدحت الجادر
ملاحظ الدعاية والنشر

كثيرا ما يقال بحق ان الحضارة المادية وحدها لاتنفع كثيرا بل لابد من أن تصحبها حضارة روحية ـ أن صح هـــذا التعبير ـ تهذب النفوس وترتق العواطف ، وتغذي الروح ، بقدر ما تقوم به تلك من توفير أسباب السعادة والراحة للانسان ، وتسخير قوى الطبيعة وفق مشيئته واخضـــاعا لسلطانه • فهذان الجانبان من الحياة الانسانية ينبغي لهما أن يجتمعا وأن يصادفا قدرا واحدا من العناية وقدرا واحـــــدا من الرعـاية ، ذلك لان الأندفاع وراء المادة فقط انما هو انحطاط وتكالب يهبط بالانسان الى مرتبة الحيوان الاعجم كما ان الاستسلام لمنازع النفس ونداء الروح بدون الالتفات الى أي اعتبار آخر يسلم الانسان الى الضعف والخور ، ويورثه الضـــعة والهوان •

واذا كانت الحضارة المادية ، انما تقوم على العلم والأختراع فـــأن الحضارة الروحية ، انما تقوم على الادب والفن ، فالوسيلتان الاوليتـــان تقتحمان أسرار الطبيعة ، وتهتكان حجبها وتسعدان الانسان في حياتـــه الخارجية المادية ، أما الوسيلتان الأخريان فأنهما تفتحان مغاليق النفـــس البشرية وتنميان قواها الكامنة وتقدمان لها مايلزم من الغذاء الروحي لتلك الحياة الباطنة •

ولقد أخذنا من الحضارة المادية بنصيب وافر وجعلنا نستعين بوسائلها ومظاهرها في شتى نواحي حياتنا الأجتماعية ، ولقد أخذنا من الأدب بنصيب وافر منذ ان بدأ تاريخنا حتى الآن ، وسنأخذ منه أيضاً بمثل هذا النصيب الى يوم ينتهي التاريخ لأننا أمة اديبة بالطبع على نحو ما يعبر به ارستطاليس، بل ان تاريخنا القومي كله يكاد يكون جزءاً لا يتجزأ من تاريخنا الأدبي ، وهذه حقائق أولية يعرفها الجميع ولا ينكرها الا مكابر أو معاند ، ونحن لا نخـاطب هذا ولا ذاك • ولكن هـذا وحده لا يكفي ، لان الحضـــارة

الروحية كما قلنا سابقا لا تقوم على الادب فقط وليس هذا وحده مهما عظم شأنه وبعد شأوه بقادر على أن يشبع رغبات النفس ، أو يستجيب لعواطفها كافة بل لابد للوصول الى ذلك من الاستعانة بغيره من الفنون الأخرى ، وهي كثيرة منها الغناء والموسيقى •

ومما يؤلم حقاً أن تجد كثيراً منا من يعد الموسيقى والغناء ضرباً من ضروب العبث ولوناً من ألوان اللهو العادى ،وأن الأقبال عليهما والأستمتاع بهما انما هو انصراف عن الجد والعمل واستنامة الى الخمول والكسل وأن الرجل المنتج النافع الرزين حقاً خليق بأن يزهد في هذين الفنين وأن يبتعد عنهما ما وسعه الأبتعاد •

ولو أن الموسيقى والغناء كانا فنّين من الفنون المستحدثة لجاز لنا أن نقول أن الأنسانية قادرة على الأستغناء عنهما ، وآية ذلك أنها استطاعت أن تحيا بدونهما حقبة طويلة من الدهر ، ولكن الأمر ليس كذلك فأن الحقيقة والواقع يدلان على أن الموسيقى والغناء هما من أقدم مقتنيات الأنسان بل لعلنا لا نسرف ولا نغالي اذا قلنا أنهما وجدا يوم وجد الأنسان والتاريخ القديم للامم كافة يثبت هذه الظاهرة أثباتاً ويسجلها تسجيلا لا يقبل الشك والارتياب فهذه التوراة وهي من أقدم مصادر التأريخ وأعظمها حظاً من الصحة والحقيقة تحدثنا أن نبياً كريماً وملكاً عظيماً من أنبياء وملوك بني اسرائيل ، كان مغنياً بارعاً ، وكتاب المزامير جميعه قبس من الهامه وفيض من ينبوع فنّه ، وتاريخ الأدب اليوناني يدلنا أيضا على أن هذا الأدب انما نشأ أول ما نشأ ، ودرج أول مادرج في أحضان الغناء وأكتفي بان اذكرك باولئك المغنين المتجولين الذين كانوا يتغنون بقصائد الالياذة والاوذيسة في كل مكان، فيهرع اليهم الناس من كل صوب ويستمعون الى هذه الأغاني ، مأخوذين مسحورين ، ولست أدري لم ذهبت بك بعيداً وهذه أشد الجماعات البشرية أغراقا في الهمجية وأوفرها نصيبا من التأخر والجهل ، وأعني بها القبائل الضالة في بطون الغابات ، من أواسط القارات ، لها اغانيها الخاصة وموسيقاها التي تطرب لها ، وتتهالك عليها ، أفبعد هذا كله تكون في مرية من أن الغناء والطرب أنما هما أمران لصيقان بالنفس البشرية منذ أن وجدت وحتى قبل

أن تشرق عليها شمس الحضارة وتصل اليها أنوار المدينة ؟! •

وليس التأريخ الاسلامي ببدع من هذه التواريخ كلها فقد كان البدو في الجاهلية يغنون وراء ابلهم ثم أخذوا يرنمون الشعر والنثر وظهر منهم بعد ذلك مغنون مشهورون في يثرب والطائف وخيبر ووجدت لديهم بعض الآلات الموسيقية كالدف والمزمار حتى اذا ظهر الاسلام وأقبل بعض الخلفاء على الغناء فقربوا المغنين تطور هذا الفن وكثرت ألحانه وظهر في المجتمع طبقة خطيرة محترمة هي طبقة المغنين والمغنيات وكان منهم نوابغ طار صيتهم وذاع أمرهم من أمثال معبد وابن سريج وطويس وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وجميلة وحبابة وأخبارهم مبثوثة هنا وهناك في كتاب الأغاني ولقد وجد هؤلاء جميعاً في عطف أمراء المؤمنين عليهم ، وتشجيعهم لهم تربة صالحة ترعرع فيها فنهم وازدهر ثم نمى فأثمر • هذا هو الغناء وهذا هو تأثيره في النفس ، وهذا هو تأريخه ، والكتاب الذى أقدمه لك اليوم ، أنما أريد به استعراض هذا الفن ووسائله لدى العرب منذ نشأته حتى الوقت الحاضر وقد بذل صاحبه في تأليفه كثيرا من الجهد ، وأنفق في وضعه كثيرا من الوقت ، واطلع على مضانه فاحسن الأطلاع ، ثم بعد ذلك استخلص زبدة هذا الموضوع ، وعرضها عليك باسلوب مريح فأجاد العرض •

ولست أثنى على هذا الكتاب اذا قلت أنه أول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، فنحن قد شبعنا من الكتب التي تصف لنا كيف كان أجدادنا يدبرون الملك ويسوسون الأمم ويفتحون الأمصار ، ولكنا لما نزل مفتقرين الى من يصف لنا كيف كانوا يغذون أرواحهم ويهذبون نفوسهم ويلبون نداء عواطفهم •

ولست أثني عليه أيضاً اذا قلت أنه يعرض لنا جانبا من التراث القومي ، لم يلتفت اليه أحد من قبل على شدة خطورته ، وبعد أثره في حياة الأمة • وأنا اعلم ان كثيراً من الشبان اليوم ، يزهدون في هذا الغناء القومي « المقامات » ويضيقون به ذرعا ، ولكن أعلم أيضا علم اليقين ، ان مصدر ذلك ومبعثه ، انما هو جهلهم لهذا الغناء ،والانسان في كل حين عدو ماجهل وأنا زعيم لهم انهم اذا ما قرأوا هذا الكتاب وفهموا عنه ، واطلعوا على ما في

هذا الغناء من جوانب الجمال والروعة ، لرغبوا فيه وأقبلو عليه ، وغيروا فكرتهم عنه • فاذا استطاع الكتاب ان يحملهم على هذا ، يكون بذلك قد أسدى خدمة لا تقدر الى هذا الغناء القومي المجيد •

واذا كان هذا الكتاب مدين بوجوده الى الأستاذ عبدالكريم العلاف ، فهو مدين بظهوره على هذا الشكل الى حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد زكي الخياط • فقد بذل للكتاب من الحدب والرعاية ولصاحبه من التشجيع والمؤازرة ما أخرجه من دائرته الضيقة الى هذه الدائرة الرحبة حيث يطلع عليه فيها آلاف من القراء فيجدون فيه من اللذة والمتعة ، مالا يوجد الا في الكتب القيمة النادرة

مدحت الجادر

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لبارىء النسم وموجد النعم ومحرك أوتار القلوب لتوحيد ذاته وتمجيد صفاته فطاب لها الذكر والثناء في السراء والضراء القائل في محكم كتابه العزيز (يزيد في الخلق ما يشاء) وصلاة وسلاما على نبيه المعجب بفصاحة لسانه وبديع منطقه وبيانه وعلى آله وصحبه الذين أباحوا ترتيل الآيات وسوغوا ترديد الرجز في الابيات وأصاغوا الى الحداة حين سير الانغام وارتاحوا لسماع الاذان والانغام (وبعد) لما كنت من المولعين بفن الموسيقى وعلى الاخص الغناء العربي على اختلافه ونحله عاهدت نفسى أن لا أنفك من سماعه وأن أتتبعه وأسبر غور الكتب القديمة والحديثةوأبحث عما جاء فيها من ألحان واصول وأحاديث وملح ونوادر لاضيف الى لذة السماع التي ملكتها لذة البحث والتنقيب وقد راق لي التتبع وشعرت بالفوائد الجمة التي أضحت تؤهلني تدوين كلما وقعت عليه • وعرضته بهذا الكتاب وسميته (الطرب عند العرب) ورتبته في عشرة أبواب (الباب الاول) الغناء في العهد الجاهلي (والباب الثاني) الغناء في العهد الاموي (والباب الثالث) الغناء في العهد العباسي (والباب الرابع) الغناء في الاندلس (والباب الخامس) الشعر والموسيقى (والباب السادس) معرفة الأصوات (والباب السابع) تأثير الغناء على الانسان والحيوان (والباب الثامن) آلات الطرب (والباب التاسع) الغناء في مصر (والباب العاشر) الغناء في العراق وطبعته الطبعة الاولى سنة ١٣٦٤ هجرية الموافقة لسنة ١٩٤٥ ميلادية في

وقت كانت الحرب الثانية مشتعلة أوارها وفي خلال مدة قصيرة نفذ ما طبع منه ولما كنت أعلم انه مرجع من مراجع الكتب الموسيقية لاسيما غناء المقامات العراقية وان عشاق فن الغناء في حاجة ماسة اليه بادرت بطبعه الطبعة الثانية وها هي بين أيديهم وأسأله تعالى أن يوفقني طيلة حياتي الى ما هو الخير لهذا الفن ليعود للغناء العراقي ماضيه المجيد وعصره المندثر •

العلاف

الباب الأول

الغناء في العهد الجاهلي

نطق العرب بالشعر لينشدوه انشادا بعد ان عرفوا سر القافية وألموا بمغبيات الموسيقى ثم شعروا أنهم بحـاجة كبرى الى كلام يعبرون به عن عواطفهم وخيالاتهم اللغة أفصح من لغة الموسيقى فاكتشفوا سر القافيـة ووضعوها في آخر الكلام الموزون وأخذوا يجيدون الشعر ويرتجلونه سواء كان ذلك في النسيب أو في الطلول والغزوات والحروب وقد حفظ التاريخ لنا بعض أسماء الشعراء الذين اشتهروا بصنعة الشعر وعرفوا قواعـده وعوامله الناتجة من سجية القياس الفطرى المطبوع بغرائزهم في ذلك الزمن الذي لم يكونوا فيه سوى قبائل متنقلة وطوائف متعصبة .

تغنى الجاهليون بالشعر ولذلك قيل أنشد فلان الشعر والأنشاد الغناء وفيه (النشد والأنشاد والنشيد والنشيدة والنشائد والأنشودة) وفيه قول الشـاعر :

تغن بالشعر أما أنت قائلـه ان الغناء لهـذا الفن مضمار

(وقبل) أن ترتقي عقولهم ومداركهم بمزاولة الفنـون التي ترافق الحضارة لم تكن موسيقاهم سوى الحدآء يحدون به ابلهم التي يعيشون من ألبانها ويكتسبون من أوبارها وعلى أثر سـقوط (مضر بن نزار) عن البعـير وانكسرت يده جعل يقول (يايداه يايداه) وكان أحسن الناس صوتـا فطربت الأبل لنغمة ذلك الصوت وجدت في سيرها فوضعوا من ذلك شعرا من (الرجز) وجعلوه للحدآء فكان قول الحادى :

يا هاديا يا هاديا يا يداه يا يـداه

والحدآء أول الترجيع في الجاهلية والحادى يدرك لأول وهلة عندما يقيم ميزان لحنه متمثلا بقول (دريد بن الصمة)

سـيري على رسلك سـير الآمن سيري رداحاً ذات جاش ساكن
ان انثنائي دون عزمي شـائن وبلى بلائي واصبري وعـاين

تمد الأبل أعناقها وترفع رؤوسها وتنظم خطواتها وتسرع في سيرها وكذلك قولهم في الطلول والحنين اليها كقول سلامة بن جندل :

يا دار أسماء في العلياء من أضم بين الدكادك من قوّ فمغضوب
كانت لنا مرة دار فغيّرها مر الرياح بسافي الترب مجلوب

وفي النسيب لهم أقوال كثيرة كقول عنترة العبسي :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ولهم في الفخر كقول النابغة الجعدى :

بلغنا السما في جدنا وجدودنا وأنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وعلى هذه الطريقة كان غناؤهم ولم يشعروا بسواه ولم يعرفوا غيره فضل الحداة في حدآء ابلهم والفتيان في تغزلهم وتشبيبهم فرجعوا الأصوات في خلواتهم وفي أسفارهم وفي أعراسهم وأفراحهم وأخذوا يترنمون بالشعر الذى طبعوا عليه ويسمون الترنم بذلك الشعر غناءا وربما ناسبوا في غنائهم هذا مناسبة بسيطة لأن غنائهم كان بسجيتهم المعروفة وغريزتهم المطبوعة جاعلين ميزان لحنهم وموسيقاهم حركات ابلهم خلال مراحلهم الطويلة مخترقة بها قلب الصحارى القاحلة والفيافي الوعرة فكان شأنهم في الموسيقى كشأنهم في الشعر دون أن يفكروا أن الخلف من بعدهم سيحاسبهم حسابا عسيرا ويبحث بكل دقة وعناية عن الصوت وعناصره وقوافيه ويقدر بكل دقة جميع الأبعاد والمسافات التي كانت اصواتهم تؤديها مهما كانت صغيرة حيث كان الغناء عندهم في بادىء الأمر على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج أما النصب فغناء الركبان والفتيان ويقال له المرائي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبدالله بن هبل فنسب اليه ومنه كان الحدآء ، وأما السناد فهو الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات وقد تغنت به قينة طرفة بن العبد بقوله :

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح الينا بين برد ومجسد

اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا   على رسلها مصروفة لم تشدد
اذارجّعت في صوتها خلت صوتها   تجاوب آضار على ربعها ردي

وأما الهزج فهو الذي يطرب عليه فيهيج الأنفس ويستخف الحلوم وهو الشائع عندهم وتزعم الأساطير العربية ان أول من شدا بالغناء قينتان لمعاوية بن بكر أحد العماليق الأول ثم ذاع الغناء على اثرهما بين القيان لأنهن كن يتغنين الشعر العربي بألحان فارسية ويونانية ويقال ان اسم احداهما كان « يعاد » والأخرى « يماد » ويؤيد هذا الميداني صاحب (مجمع الأمثال) كما ان أبا الفرج الأصفهاني يقول في أغانيه ان هاتين القنيتين كانتا لعبدالله بن جدعان سماهما بجرادتي عاد وفي حاشية البيضاوي في تفسير سورة الأعراف أن اسم احداهما وردة والثانية جرادة فيستدل من هذا انهما كانتا أول من غنى في الجاهلية حتى ضرب بهما المثل فقيل لمن كان لاهيا في نعمة ودعة « تركته تغنيه الجرادتان » واليهما ذلك الغناء في صورة استسقاء حين حبس المطر عنهما وهو :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم   لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عادان عاداً   قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو   به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وأن الوحش تأتي أرض عاد   فلا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم   نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم   ولا لقوا التحية والسلاما

وفي رواية أن معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت :

ألا يا قيل من عوص   ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ   من الطول الكرام
سقى الله بني عاد   معاً صوب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الأستسقاء لقومهم .

وقول الميداني ان الغناء ذاع بعدهما بين القيان مما يدل على أن غنائهما

كان باكورة غناء القيان لا الحرائر العربيات وانهما كانتا أول من جعل الغناء فناً مرتزقاً لأن الأرتزاق في الغناء لم يكن في شيء من نساء العرب وانما كان صناعة موقوفة على القيان اللواتي كن يجتلبن من أطراف البلاد كبلاد فارس والروم وغيرها ، أما الغناء الذى لم يتخذ فنا مرتزقا فذلك معروف عند حرائر العرب قبل الجرادتين فان نساء العرب كن يغنين الصلاة لأصنامهن لأن العرب كانوا يخصون بالنساء المقام الأفضل في الاحتفالات وليس تشبيه امرىء القيس النعاج في معلقته « بعذارى دوار في الملآء المذيل » الا دليلاً على الرقص الديني الذى كانت النساء وبالأخص العذارى يرقصنه حول الصنم وهذا الرقص لا يمكن أن يكون بدون غناء حتى أن العرب كانوا اذا خرجوا للحرب أخرجوا معهم آلهتم في قباب ترافقها آلة الموسيقى على ظهور الجمال يحرضنها ويحمسن الرجال بالأحتفال الديني الذي يقول على العزف الغناء الحربي أو ما يسمونه بالغناء المشجع من شأن النساء لما في تغنيهن من تأثير في النفوس وهذا الغناء ربما اشتق من غناء الصلاة لأن العرب كانوا كسائر الشعوب الفطرية يصلون لآلهتهم وهم شاكوا السلاح قبل ذهابهم الى الحرب لتنصرهم على اعدائهم ويرقصون لديها الرقص فانقلب هذا الغناء على توالي الأيام الى غناء حربي ولم يكن شيء يثير حماسة الرجال ويدفعهم الى الأقدام مثل غناء النساء يوم تحلاق اللمم لم ينصف البكريون من التغلبيين الا بعد ان دخل « الفند الزماني » البطل المشهور والى جانبه ابنتاه شيطانتان من شياطين الأنس حتى اذا احتدمت المعركة وتردد النصر تقدمت احداهما وخلعت ثيابها ورمتها وسط المعركة وما لبثت اخها ان اقتدت بها ومشتا بين الصفوف عاريتين ينشدان :

وغى وغى وغى وغى حر الحرار والتظى
وملئت منه الربى المحلقون بالضحى

وأقبلت من ورائهما كرمة بنت ضلع أم مالك بن زيد فارس بكر تتغنى :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي القطى البارق المسك في المفارق

والـــــدر في المخانق | أن تقبلوا نعـــــانق
أو تدبروا نفـــارق | فراق غـــير وامق
عرس الموّلى طـــالق | والعـــار منه لاحق

وهذه الأبيات تغنتها هند بنت عتبه ام معاوية بن أبي سفيان يوم أحد فقد خرجت نساء قريش يحملن الدفوف وينحن على قتلى بدر بأصواتهن مستحثات رجالهن وأقبلت هند تغني « نحن بنات طارق » وتغنى النساء من ورائها بقولهن :

ويها بني عبد الدار | ويها حماة الديار | ضربا بكل بتار

وفي موقعة ذي قار خرجت النساء حول قبة الصنم يتغنين الغناء المشجع وانما كانت النساء في بروزهن الى المعارك وغنائهن بها يتجهن الى اثارة عاطفة رجالهن الدينية والقبلية فيستقتلوا في الدفاع عن دينهم وأعراضهم وشرف قبيلتهم وكثيرا ما كانت النساء يستفززن الرجال بتهكم مر كقول بنت حكيم بن عمرو العبدى تستحث قومها :

فان لم تنالوا نيلكم بسيوفكم | فكونوا نساء في الملآء المخلق

فمثل هذا القول يدفع بالعربي الى قتل من هو عزيز عليه أو الى الموت لئلا النساء يحتقرنه ولو لم تتغنى البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة حينما أصاب كليب سرابا ناقة جارها الجرمي بهذه الأبيات :

لعمرك لو أصبحت في دار منقـذ | لما ضيم سعد وهو جار لأبيـــاتي
ولكنني أصبحت في دار غربـــة | متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل | فأنـــك من قوم على الجار أموات
ودونك اذ وارى اليــــك فانني | محاذرة أن يفتـــكوا بنيــــاني

لما اندفع جساس الى قتل صهره كليب ، وكانت هذه الأبيـــات هـــي الدافع الى الوقوع به ولما وقعت حرب البسوس بين بكر وتغلب كـــانت العربيات اذا عاد رجالهن من الحرب منتصرين فرحين الى لقائهم بالمعازف منشدات ومبتهجات ، وبرعت من حرائر العرب في الغناء هند بنت عفرز

احدى ملكات الحيرة وكانت تتلقى الفتيان فيفضون اليها باشعارهم وتوقعها وتلقيها اليهم بصوت يهزهم وكثيرا ما كانوا يقصدون اليها لتغنيهم بما يثير حماسهم فيقدمون على أمر أرادوه ومما يروى ان خالدا بن جعفر بن كلاب العامرى لما عير الحارث بن ظالم بن مره الذبياني في مجلس الأســـود بن المنذر بقتله زهير بن خريمة ملك عبس وفتكه بعشيرة الحارث في وادى حراض قرب مكة خرج الحارث يهدر غضبا وقد عزم على الفتك بخالـد غير أنه كان يخشى الأسود فانطلق الى ماوية وطلب منها تغنيه بهذه الأبيات التي يخاطب في أولها الأسود ويهدد في سائرها خالدا •

تعلم أبيت اللعن اني فاتـــك من اليوم أو من بعده بابن جعفر
أخالد قد نبهتني غـــير نائم فلا تأمن فتكي يدالدهر وأحذر
أعيرتني ان نلت منـــا فوارساً غداة حراض مثل جنات عبقر
أصـابهم الدهر الختور بختره ومن لا يق الله الحوادث يعثر

فغنته بها فخرج منها ينتفض كالمحموم بفعل الصوت ونفاذ الأيقاع في نفسه حتى عثر بخالد فقتله غير آبه لجوار الأسود ، وهكـــذا غناء الندب والنواح من شأن النساء فقد ناحت الحرائر العربيات على قتلاهن والنواح والندب ضربان من الغناء المحزن وقد ناحت نساء قريش على قتلى بدر وناحت هند أم معاوية على أبيها وأخيها وفارعة بنت شداد على أخيها مسـعود وأم بساط بن قيس الشيباني على بسطام والخنساء بنت عمرو بن الشريد عـلى أخيها صخر وليلى بنت طريف على أخيها الوليد وليلى الأخيلية على توبة بن الحمّير وقد كان هناك نوادب ونوائح مستأجرات ينحن في المـآتم وقـد بعثت سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الى المغني ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنا يناح به فصـاغ فيه فقـــدم لذلك أهل الحرمين بن سريج على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف وهذا هو الشـــعر :

يا أرض ويك أكرمي أمواتي فلقـد ظفرت بسادتي وحماتي

ومن أجمل الشعر ما ناحت به أم تأبط شرا حيث تقول :

طـاف يبغي نجوةً من هلاك فهلـك
ليت شعري ضـلة أي شيء قتلـك
أمريض لم تعـد أم عـدو مثلك
والمنـايا رصـد للفتى حيث سلك
أي شيء حسـن لفتى لـم يك لك
كل شيء قاتـل حين تلقي أجلـك

وتغنت العربيات في مجالس لهوهن وانسهن وفي أعراسهن وقد اشتهرن قيان المدينة بجمال أصواتهن وحسن غنائهن وكانت منهن القينة التي غنت النابغة الذبياني بشعره فقد روى ان النابغة يقوى في شعره ولم يك أحـد يجسر أن يقول له أقويت فلما قدم المدينة أتوه بقينة فغنته قوله في المتجردة زوجة النعمان بن المنذر .

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته وأتقتنا في اليـد
بمخضب رخص كأن بنـانه عنم على أغصـانه لم يعقد

فمدت صوتها باليد فصارت الكسرة ياء ومدت يعقد فصـارت الضمة واوا فانتبه النابغة الى الأفواه ولم يعد اليه واشتهرت قيان ملوك الحيرة وقد كن يتغنين بشعر النابغة وحسان بن ثابت الأنصارى وكانت القيان يتبرجن ويتزيّن ويتحلين وفي ذلك قول عمر بن الأطنابة أحد ملـوك الحيرة في القيان ومجالسهن :

عللاني وعللا صـاحبيّا واسقياني من المروّق ريا
ان فينا القيـان يعزفن با لدف لفتياننا وعيشـاً رضـيا
يتبـارين في النعيم ويصب بن خلال القرون مسكاً ذكيا
انما همن ان يتحلين سـمو طاً وسـنبلا فارسـيا
من سموط المرجان فصل با لـدر فاحسن بحليهن حليا

واذا كان نساء العرب قد استأثرن بالغناء فكذلك شـأنهن بالمعازف

فيعزفن بالطبول والدفوف والصنوج والمزاهر والطنابير وغيرها وكان يسمون العود كرانا كما سيأتي. والعوادة كرينه ويؤيد ذلك قول « لبيد العامري » في معلقته :

بصبوح صافية وعزف كرينة بموتر تأتا لـــه ابهامهـــا

وأراد بالموتر العود والأوتار فيستدل مما تقدم ان المرأة الجاهليـــة عزفت الغناء في كل انواعه الذى كان في أيامها وتغنت به اذ أنها مجبولة على حبه كما جبلت على الأنفة والشجاعة وهما مثلها الأعلى .

الباب الثاني

الغناء في العهد الأموي

لم يختلف الغناء العربي في صدر الأسلام عما كان عليه في الجاهلية فقد انتقل مع العرب من الجاهلية الى الأسلام بفنونه التي عرفت له في الصلاة والتشجيع والندب والنواح واللهو والفرح فتغنى العرب المسلمون بما تغنى العرب الجاهليون وتغنى العربيات المسلمات بما تغنى امهاتهن وجـداتهن الجاهليات وشدت القيان بما كان ينشدنه قيان الجاهلية غير أن هـذا الغناء لم يكن أن يسمى صناعة وانما كان غناءً بسيطا لاشيءفيه من الفن الأنيـق الراقي وقد تقمص بعضه أثوابا جديدة فغناء الصلاة الذى كان يرفع الأصنام وأوثان الجاهلية انقلب الى أذان وتجويد وترتيل في المساجد وغناء التشجيع الذي كان للتحميس على الغزو والانتقام والمدافعة عن آلهة القبيلة ونسائها وشرفها تبدل بالجهاد في سبيل مبادىء الأحزاب السياسية التي تكاثرت في صدر الاسلام وأما غناء اللهو والأفراح فانه وان لم يكن قد لبث بين سكان الخيام على ما كان عليه في الجاهلية فقد ارتدى بين الحضريين حلة جديدة جعلت روحه وسجيته أقرب الى روح المدينة الجديدة وسجيتها ولا يبعد أن يكون هذا الروح الجديد قد انبث في فني الندب والنواح بين الحضريين وليس سكوت العرب عن ذكر شيء من هذا ينفي له لاسيما ان المغنـين المجددين كانوا في بعض الأحيـان يندبون وينوحون وقد نقل الروات الأقدمون نواح كثيرات من العربيات المسلمات على قتلاهن كشأن العربيات في الجاهلية ومن ذلك نوح زوج عبدالله بن العباس على طفليها حينما قتلهما بسر بن ارطاة يوم أغار على اليمن من قبل معاوية بن ابي سفيان قالت :

ألا يا من سـبا الأخوين ... امهما هي الثـكلى
تسـائل من رأى ابنيهـا ... وتستسقي فما تسـقى
فلمـا استيأست رجعت ... بعبرة والـه حـرى
تتـابع بين ولولـة ... وبين مدامـع تترى

وبعد ان دخل الفن اليوناني وتبعه الفن الفارسي تركا عند العرب أثرا عميقا من آثارهما فاخذ ينمو ويتسع وكان الدين الحنيف العامل الأكبر بأيقاظ القبائل وبث روح المدينة فيها وجعلها تدرك معنى الجمال وسر الحياة وهذا أكبر دليل على نظارة العيش ورقي العقول ووسعة آفاقها ومن ذلك العهد بدأ العرب يهجرون عاداتهم القديمة فنبذوا وازدروا كل ما لم يكن مطابقا لأحكام القرآن المجيد وتعاليمه الحقة ولم يبق لديهم الا تلاوة ذلك الكتاب المنزل والانعكاف عليه فجودوا به وتغنوا بقراءته وبعد ان طابت لهم الحياة وشعروا بنشوة اللذات أصبحوا على جانب عظيم من نعومة الترف ورقة الحاشية فنزح المغنون من بلاد الفرس وحلوا بالحجاز واختلطوا بالعرب فأخذ الغناء يزداد كلما ازدادت الأمة العربية تقدما ويعود الفضل في تنبيه أفكار المغنين العرب على التجديد في الألحان الى (نشيط) المغني الفرسي فأنه لما قدم المدينة غنى بالفارسية فاعجب به عبدالله بن جعفر لجمال صوته وحسن فنه وكان المغنى (سائب خاثر) آذ ذاك حاضرا لما رأى أعجاب عبدالله بنشيط قال لعبدالله أنا أصنع لك مثل هذا الغناء الفارسي بالعربية ثم جاء في اليوم الثاني وقد لحن :

لمن الديار رسومها قفر   لعبت بها الأرواح والقطر

وطفق يلحن أصواتا فنية حتى ذاع صيته فسائب خاثر أول من أدخل اللحن الفارسي الى العربية بيد أن المجدد الحقيقي والباعث روح التجدد هو سعيد بن مسجح وكان من المتقدمين في الغناء العربي وهو أول مغني صنع الغناء وقد رحل الى الشام وأخذ الألحان الرومية والبيزنطية من هناك ثم انقلب الى فارس وأخذ منها غناء كثير وتعلم الضرب على العود ثم قدم الحجاز ودرس تلك الأنغام واختار من السلم الموسيقى اليوناني والفارسى أجمل ما فيه من الأصوات وأهمل مالا يلائم ذوقه من موسيقى هذين الشعبين وعلى الأخص الاسراف في النبرات والوثوب من الطبقات الثقيلة الى الطلبات الحادة وأخذ يغني على هذا المذهب الجديد وتبعه الناس ويروى أنه أول من غنى في مكة الغناء العربي وهذا ما يؤكده علي بن هشام أحد

الموسيقيين في الدولة العباسية اذ يقول ان بن مسجح هو اول من وضع الغناء العربي المقتبس عن الفرس ويؤكد صاحب كتاب الأغاني أيضا هذا الخبر وزاد عليه بقوله ان معاوية بن ابي سفيان لما بنى دوره التي يقال لها الرقط وهي ما بين الدارين الى الردم أولها دار البيضاء وآخرها دار الحمام وهي على يسار المصعد من المسجد الى ردم عمر فجعل بنائين فرساً من العراق فكانوا يبنونها بالجص والآجر وكان بن مسجح يأتي فسمع من غنائهم على بيانهم فما استحسن من غنائهم أخذه ونقله الى الشعر العربي فمن غنائه الذى وضعه على تلك الألحان شعر لأحوص :

أسلام انك قد ملكت فأسجحي ... قد يملك الحر الكريم فيسجح
مني على عان أطلت عناءه ... في الغل عندك والعناة تسرح
اني لأنصحكم وأعلم انكم ... سيان عندك من يغش وينصح
واذا شكوت الى السلامة حبها ... قالت أجد منك ذا أم تمزح

وقد راج في ذلك العهد من الشعر أبسط موازينه وهو الرجز الذى كان محتقرا قبل الأسلام وميزانه مكون من سببين خفيفين (مس) (تف) ووتد مجموع (علن) وهذا أول ميزان عرف للشعر وأول شعر تناولته الألحان العربية وقد انتشر الغناء بعد تجديده انتشارا عظيما وأصبح له مكانة سامية في الأعياد والمواسم والأفراح وغير ذلك في مختلف الأحوال والظروف فنبغ مغنون كثيرون ساوت شهرتهم مغني الروم والفرس وامتاز من بينهم (طويس) الملقب بالذائب لأنه كان كثير الترداد للبيت الآتي :

قد براني الشوق حتى ... صرت من وجدي أذوب

وطويس أول من صاغ الألحان في صورة دقيقة عذبة في الأسلام وأول من صنع الهزج والرمل وكان الناس يضربون به المثل فيقال أهزج من طويس وكان لا يضرب بالعود وانما كان ينقر بالدف وأول غناء غناه وهزج به هو :

كيف يأتي من بعيد ... وهو يخفيه القريب

نازح بالشــــام عنـــا وهــو مكســـال هيوب
قد براني الشـــوق حتى صرت من وجـدي أذوب

وطويس لقب غلب عليه واسمه طاووس أو عيسى بن عبدالله ثم جاء بعده ابن سريج وغنى الغناء العربي بمكة وكن أحذق الناس به وأتقنهم صناعة وفنا وكان تلميذ ابن مسجح أخذ عنه الغناء فاتقنه وسئل هشـــام بن المرية وكان عالما بالغناء ومن أحذق الناس به فقال ما خلق الله بعدداود النبي عليه الصلاة والسلام أحسن صوتا من ابن سريج ولا صاغ الله عز وجل أحدا أحذق منه بالغناء وكان قبل أن يغني الغناء المتقن نائحا وســـئل ابن سريج مرة عن قول الناس فلان يصيب وفلان يخطيء وفلان يحسن وفلان يسيء فقال المصيب المحسن من المغنين هو الذى يشبع الألحان ويملأالأنفاس ويعدل الأوزان ويفخم الألفاظ ويعرف الصواب ويقيم الأعراب ويستوفي النغم الطوال ويحسن مقاطيع النغم القصارويصيب أجناس الأيقاعويختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات فعرض ما قاله على معبد المغني فقال « لو جاء فيالغناء قرآن لماجاء الا هكذا » وحدث الفضل عن اسحق إن ابن سريج كان عند بستان ابن عامر يغني :

لمـــــن نار بأعلى الخيـ ـف دون البئر ما تخبـو
أرقت لذكر موقعهـــا فحن لذكـــرها القلب
اذا ما اخمـــدت القى عليها المنـــدل الرطب

فجعل الحاج « الحجاج » يركب بعضهم بعضا ثم جـــاء ابن محرز الملقب بصناج العرب وهو أول من أدخل اصلاحا في الموسيقى وذلـك ان قاعدة الموسيقى كانت يلحن البيت من الشعر ويتكرر التلحين فضرب بهذه القاعدة عرض الحائط ومد التلحين الى بيتين ومن قوله « ان الأفراد لا تتم بالألحان » وهو أول من غنى (الرمل) وما غناه أحد من قبله وأول من غنى رملا بالفارسية (سلمك) وشخص ابن محرز مرة يريد العراق فلقيه حنين المغنى فقال له غنني من غنائك فغناه شعرا لعمر بن ابي ربيعة :

وحسن الزبرجد في نظمه على واضح الليت زان العقودا
يفصل ياقوته دره وكالجمر أبصرت فيه الفريدا

فقال له حنين كم أملت من العراق قال الف دينار قال له هذه خمسمائة دينار خذها وانصرف واحلف أن لا تعود ولما شاع مافعل حنين لامه أصحابه عليه فقال والله لو دخل ابن محرز العراق لما كان لي معه فيه خبز آكله وسقطت الى آخر الدهر ثم جاء (معبد) وهو امام أهل المدينة في الغناء وفيه يقول الشاعر :

أجاد طويس والسُريجي بعده وما قصبات السبق الا لمعبد

ولمعبد صنعة في الغناء لم يسبقه اليها من تقدم ولا زاد عليه فيها من تأخر (وقدم) يوما لمكة فقيل له أن ابن صفوان وضع جائزة للمغنين فقصد بابه وطلب الدخول فمنعه الحاجب وقال قد تأخرت فقال معبد أو تدعني أدنو من الباب وأغني صوتا قال الحاجب أما هذا فنعم وغنى واذا النداء من الداخل ينادى افتحوا الباب هذا معبد ففتحوا له فدخل وأخذ الجائزة (وذكر) ابن خرداذبه أنه غنى في أول دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس وكان صوته سواء عند أهل مكة وأهل المدينة وعند أهل القصور وسكان الأكواخ مضرب الأمثال وله أصوات غناء اطلق عليها « المعبديات » كانت على جانب عظيم من حسن الصنعة ومزية الأتقان ثم جاء بعده (ابن عائشة) وهو من اهل المدينة لايعرف له أب وكان له ابتداء حسن في الغناء باهر في جودته يضرب به المثل فيقال هذا الأبتداء كأبتداء ابن عائشة على أنه كان ذا صلف وكبرياء وبه سوء خلق فان قال له انسان تغن قال ألمثلي يقال هذا واذا قيل له أحسنت قال ألمثلي يقال له أحسنت ثم يسكت وكان قليلاً ما ينتفع به (وروى) ان ابن عائشة كان واقفا في موسم الحج متحيرا فمر به بعض أصحابه فقال له مايقيمك هاهنا فقال أعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس فلم يذهب أحد ولم يجيء فقال له الرجل ومن ذاك قال أنا ثم اندفع يغني فحبس الناس واضطربت المحامل ومدّت الأبل أعناقها وكادت الفتنة أن تقع فأتى به هشام بن عبدالملك وقال له يا عدو الله أردت أن تفتن

الناس (وأعجب) من هذا أنه قال لأصحاب له وهم في ظهر قصر ثم نظر الى نسوة يتمشين في ناحية الوادى هل لكم فيهن قالوا وكيف ثم قام الى شرفه من شرف القصر وتغنى :

وقد قالت لأتراب ... لها زهر تلاقينا
تعالينا فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

وبطموح هؤلاء المغنين وشغفهم بفن الموسيقى لم يبق الغناء مختصاً بطبقة الرجال لأن ذلك يتعلق بالعاطفة والمرأة كتلة من العواطف فضلا على أن ميل المرأة الى الغناء والعزف أقوى من ميل الرجل وحنجرة المرأة بما فيها من نعومة وأوتار موسيقية لطيفة أنسب للغناء من حنجرة الرجل والقيان اللواتي تفوقن في صدر لأسلام وخاصة في أيام الأمويين كثيرات جلهن مدنيات والقينة عرفت واشتهرت منذ استوطن الأوس والخزرج المدينة بالرقة والضرف واتقان الغناء والعزف وكانت هي المتقدمة ولم تقتصر القيان على الغناء وانما كان لأكثرهن صنعة حسنة في الألحان وعلى انهن تلميذات الرجال فأن كثيرا من الرجال قد أخذ عنهن وكان بينهن أديبات ينظمن الشعر ويلحنه ويوقعنه ويغنينه وأشهر قيان الأسلام اثنتان عرفهما الخاص والعام (عزة الميلاء) و (جميلة) كانت عزة أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما وسميت الميلاء لتمايلها في مشيتها وهي أقدم من غنى الغناء الموقع في الحجاز تحسن الضرب على العود لا يعيبها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه تغنى الغناء القديم (كسيرين) قينة حسان بن ثابت الأنصارى (ورائقة) استاذتها وكان مشايخ المدينة يمتدحون حسن غنائها وندى حلقها وظرف لسانها وقرب مجلسها • ويقال أن ابن سريج كان في حداثة سنه يأتي المدينة فيسمع من عزة ويتعلم غناءها ويأخذ عنها واذا سئل من أحسن الناس غناء قال مولاة الأنصار أى عزة الميلاء فهي المفضلة على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء وكان بن محرز يقيم بمكة ثلاثة أشهر ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة وكان يأخذ عنها ويتمتع بحسن أدبها وكمال ضرفها ونباهتها ، وان طويسا كان

كثيرا ما يأوي منزل عزة واذا ذكرها يقول هي سيدة من غنت من النساء مع جمال بارع وخلق فاضل واسلام لا يشوبه دنس تأمر بالخير وهي من أهله وتنهي عن السوء وهي مجانبة له (قال) حدثني أبو عبدالله الأسلمي عن معبد أنه أتى عزة يوما وهي عند « جميلة » وقد أسنت وهي تغنى على معزفة :

علاني وعلا صاحبيا   واسقياني من المروّق ريا

قال فما سمع السامعون قط أحسن من ذلك قال معبد هذا غناؤها وقد اسنت فكيف بها وهي شابة ، وكانت عزة أول من لحنت وغنت الحانا متزنة بين نساء المدينة ولما كانت ذات مواهب موسيقية كبيرة وجمال فتان وعقل راجح أمكن لها أن تعقد الاجتماعات الموسيقية فيتهافت اليها عشاق الطرب من كل مكان وأما (جميلة) فهي درة لامعة في تاج الغناء العربي وكوكب ساطع في سماء هذا الفن الجميل • وفيها معبد يقول أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ولولا جميلة لم نكن مغنين وكان مشاهير المغنين كأبن سريج وأبن مسجح وابن محرز يفضلونها ويعترفون لها وفيها يقول عبد الرحمن بن ارطاة :

ان الدلال وحسن الغناء   وسط بيوت بني الخزرج
وتلكم جميلة بين النساء   اذا هي تزدان للمخرج

وقد جاء كتاب « الأغاني » بشيء كثير من الوصف عن أبهة استقبالات جميلة وفخامتها وعن وجاهة زوارها وضيوفها الذين كانوا يتحملون المشاق الكثيرة ليحضروا الى سماعها قال (سياط) جلست جميلة يوما للوفادة عليها وجعلت على رؤوس جواريها شعورا مسدلة كالعناقيد الى أعجازهن والبستهن أنواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهن بانواع الحلى ووجهت الى عبدالله بن جعفر وقالت لكاتب أملت عليه بأبي أنت وأمي قدرك يجل عن رسالتي ولكن كرمك يحتمل زلتي وذنبي لا تقال عثرته ولا تغفر حوبته فان صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يؤثر والخير والفضل فيكم مدخر ونحن العبيد وأنتم الموالى فطوبى لمن كان مقاربا لكم وناظرا الى وجوهكم وطوبى لمن كان لكم مجاوراً وبعزكم قاهراً

وبضيائكم مبصراً والويل لمن جهل قدركم ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم وكبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها الله عز وجل للخلق هي لكم ومقصورة عليكم وبالكتاب نسألك وبحق الرسول ندعوك ان كنت نشيطا لمجلس هيأته لك لا يحسن الا بك ولا يتم الا معك ولا يصلح أن ينقل عن غير موضعه ولا يسلك به غير طريقه فلما قرأ عبدالله الكتاب قال انا لنعرف تعظيمها لنا واكرامها لصغيرنا وكبيرنا وقد آلت لا تغني أحدا الى في منزلها وقال للرسول والله قد كنت على نيةالركوب الى موضع كذا وكذا وكان في عزمي المرور بها فأما اذا وافق ذلك مرادها فأني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها فلما صار الى بابها ادخل من كان معه اليها وصرف بعضهم فنظر الى الحسن البارع والهيئة الباذة فاعجبه ووقع من نفسه فقال يا جميلة لقد أوتيت خيراً كثيراً ما أحسن ما صنعت فقالت ياسيدى أن الجميل للجميل يصلح ولك هيأت هذا المجلس فجلس عبدالله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجوارى صفين فاقسم عليها فجلست غير بعيد ثم قالت ياسيدي الا أغنيك قال بلى فغنت :

بني شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر
كهولهم خير الكهول ونسلهم ... كنسل ملوك لا يبور ولا يجري
أبو عتبة الملقى اليك جماله ... أغر هجان اللون من نفر زهر
لساقي الحجيج ثم للخير هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الغمر
أبوكم قصيّ كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فهر

فقال عبدالله أحسنت ياجميلة وأحسن حذافة ما قال بالله أعيديه عليَّ فعادته فجاء الصوت أحسن من الأرتجال ثمدعت لكل جارية بعود وأمرتهن بالجلوس على كراسى صغار قد أعدتها لهن فضربن وغنت وغنى جواريها على غنائها فلما ضربن جميعا قال عبدالله ما ظننت ان مثل هذا يكون وأنه لما يفتن القلب ولذلك كرهه كثير من الناس لما علموا فيه ثم دعى ببغلته فركبها وانصرف الى منزله وقد كانت أعدت طعاما كثيرا اكراما لعبدالله بن جعفر فقال لأصحابه تخلفوا للغداء فتغدوا وانصرفوا مسرورين وقد حجت

جميلة فوافت مكة بموكب عظيم فصحبها من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء وهم (هيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى وقند ورحمة وهبة الله ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وبديح المليح ونافع الخير) هؤلاء فطاحل وكلهم طيب الغناء ومن النساء المغنيات « عزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة وعتيلة والشماسية وفرعة وبلبلة ولذة العيش وسعدة والزرقاء » ومن غير المغنين (ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب) وجماعة من الاشراف وحج معها من القيان زهاء خمسين قينة وجه بهن مواليهن معها وأعطوهن النفقات وحملوهن على الأبل في الهوادج والقباب فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن وقد أبت جميلة أن تغني في مكة كي لا تخلط عملا دينيا بعمل دنيوى ، ولجميلة مدرسة للغناء تعلم فيها الجوارى ومن خريجي تلك المدرسة (حبابة وسلامة القس) فحبابة مولدة من مولدات المدينة حلوة الوجه طيبة الغناء شجية الصوت طريفة جذابة ضاربة بالعود نشأت عند رجل يعرف بأبن رمانة أدبها وخرجها فاشتراها يزيد بن عبدالملك باربعة آلاف دينار وسماها حبابة بعد ان كان اسمها ـ العالية ـ وقد كلف بها كلفا شديدا حتى ترك مهام الخلافة من أجلها فنهاه أخوه مسلمة فانتهى ولكن حبابة ماصبرت على ذلك خوفا من وقوعها في زاوية النسيان بعد ترك يزيد لها فاوصت (الأحوص) بن جعفر أن يقول أبيات يهون فيها على يزيد ما قاله مسلمة وغنت بها حبابة :

ألا لاتلمه اليوم أن يتبلدا فقد منع المحزون أن يتجلدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر مالهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
هل العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو شنان وفندا

فلما سمع يزيد قال صدقت لعن الله مسلمة وعاد الى سيرته الأولى وهذا الشعر يدلنا على أن الشعراء في تلك الأيام كانوا يخدمون غرام المولدات أي الجوارى تكسباً للمال وعطف الخلفاء والأمراء بواسطتهن ومن كلف يزيد بحبابه (ما رواه) الأصفهاني في أغانيه انها غنته يوما فطرب

وشق حلته وقال أتأذنين لي أن أطير قالت والى من تدع الناس قال اليك (وذهب الرواة) الى أن يزيد لما ماتت حبابة شارقة بحبة رمان أقام ثلاثة أيام لا يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويرشفها وعاتبه ذووقرابته حتى أمرهم في غسلها ودفنها وبعد ذلك أمر فاخرجت أى نبشها وما أقام الا خمس عشرة ليلة حتى دفن الى جنبها وأما (سلامة القس) فهي مولدة أيضا بذل في تعليمها وتثقيفها مجهودا كبيرا فارتقت وكانت تنظم شعرا جميلا وسبب تسميتها بهذا الأسم ان رجلا يعرف بعبدالرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء أهل مكة وكان يلقب بالقس لعبادته شغف بها واشتهر عنه ذلك فغلب عليها لقبه فرآه يوما مولاها فقال له هل اخرجها اليك او تدخل فتسمع منها فأبى القس فقال مولاها أنا اقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها فأبى أيضا فلم يزل به حتى أدخله الدار فاسمعه غناءها من وراء ستار فقال لك في أن أخرجها اليك فأبى فلم يزل حتى اخرجها واقعدها بين يديه فغنت فشغف بها وشغفت به وقالت له يوما أنا والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا واللهأحب ذلك قالت فمايمنعك والموضع خال ولا رقيب قال اني سمعت الله عز وجل يقول (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وأنا اكره أن تكون بيني وبينك خلة تؤول الى عداوة ثم قام وانصرف الى ما كان عليه من النسك وقال من فوره :

ان التي طرقتك بين ركائب	تمشي بمزهرها وأنت حرام
لتصيد قلبك أو جزاء مودة	ان الرفيق له عليك زمام
باتت تعللنا وتحسب اننا	في ذاك ايقاظ ونحن نيام
حتى اذا سطع الضياء لناظر	فاذا وذلك بيننا أحلام
قد كنت أعذل فيالسفاهة أهلها	فاعجب لما تؤتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما	سبل الضلالة والهدى أقسام

وله غير هذا أشعار كثيرة يطول ذكرها ويقول (المدائني) لما قدم يزيد بن عبدالملك وأراد شراء (سلامة القس) وعرضت عليه امرها أن تغنيه فكان أول صوت غنته « ان التي طرقتك بين ركائب » فاستحسنه يزيد

واشتراها وذكر أن عثمان بن حيان المرى لما تولى على المدينة أوعز اليــه بعض الذين لا تطيب لهم الحياة الفنية ومما قالوه ان ليس في الوجود ما هو أحط وأحقر من الموسيقى ولا شيء مثلها في قوة التأثير على عاطفة الشرف الأسلامي وهدم فضيلته والعبث بكرامته فبمثل هــذا كان يتحدث اولئك النفر الذين جردوا عن الأحساس والتلذذ بمواهب الموسيقى مما دعــى عثمان بن حيان أن يأمر بخروج جميع المغنين والمغنيات من المدينة ولكن بالرغم من ذلك فقد قابلت سلامة عثمان بواســطة بن أبي عتيق فابدعت ابداعا كبيرا وبرهنت على مواهب جمة في الموسيقى ومواهب اخرى في العلم والأدب ولما غنت الأمير أثارت أعجابه الى أقصى الحدود فما أبطأ ان أبطل أمره واقيمت في المدينة وضلت تغني غناء لم يكن بصيغة الغناء في العهــد الجاهلى فان الغناء الذى عرفه العصر الأموى كان غير ذلك الغناء ولا يعني أن العرب في جاهليتهم لا تعرف شيئا من الغناء ولا نشك ان العرب قبــل الأسلام كانت تعرف الغناء وكان للحجاز بعض الحظ منه غير ان هذا الغناء كما يظهر من أخبار الرواة لم يكن واسع الأنتشار كما صار في العهــد الأموى ولا كان متقنا غاية الأتقان فأن هذا الغناء جديد أدرك المؤرخون جدته وأهميته ورقته وأثره فلقد انتشر في الحجاز أول الأمر بعــد احتكاك العرب بالأمم المغلوبة وبعد استرقاقهم الألوف من الرقيق واستخدامهــم العدد الكبير من هؤلاء العمال في مشاريعهم المختلفة في الحجاز وأصبحت الموسيقى العربية من أهم الأمور التي نقلها المغلوب الى الغالب الذى صارت بحكم الفتح والدين الجديد عنصرا مهما في العهد الأموى له علاقات وثيقة مع أسياده وما ان احتك هذا الجيل من السبايا والرقيق عبيــــداً وموالى بأسيادهم الأرستقراطيين من رجال العرب ونسائهم حتى أخذت النظــم الأجتماعية تتغير شيئا فشيئا وصارت مجالس اللهو والغناء لم يألفها الحجاز من قبل وصارت الموسيقى فنا منظما يقصد اليها ولها أنظمتها وحدودها ولها رجالها وأصحابها ومعلموها وأخذت تسير مع الترف جنبا الى جنب وملكت على شباب العرب قلوبهم وعقولهم فاحبوها وشغفوا بها بحيث ترى الآن

كتب الأدب القديمة مشحونة باخبارها وانتشارها وأثرها في نفوس ذلك الجيل ولقد أثر الغناء على كثير من الناس فغير من خلقهم ولطف مزاجهم ورقق طباعهم فعمدوا الى اللهو وأخذوا بأسبابه واستطاع المغنون والمغنيات أن يحدثوا بعض التأثيرات في الغناء الأجنبي بحيث يستسيغه الذوق العربي الجديد الذى أخذ يتطور بدوره مع التطورات التي مرت به الأمة العربية ولقد كان الشعراء أولى الناس في أن يؤثر في حياتهم هذا الغناء والواقع كان كذلك لأن الشعراء أقرب الناس الى المغنين كان كل من الفريقين يحتاج الى صاحبه راغبا في التمتع بلذة فنه حيث كل مغن يرغب في الشعر وكل شاعر طروب فبهذا كثر المقبلون على السماع في حواضر الحجاز وأخذت المنافسة تلعب دورها بين المغنين وظهرت الخصومة الموسيقية بين أشهر مدينتين « مكة والمدينة » فصنع (معبد) مغنى المدينة الحانا سبعة تاه بها وفضلها فلحقت المكيين غيرة شديدة فاجتمعوا وعرضوا الحان مغنيهم وهو (بن سريج)وجعلوها ازاء سبعة معبد ثمخايروا أهل المدينة وانتصفوا منهم مفضلين رقة الشعر وجودة التلحين وذلكما عاملان من أقوى عوامل الغناء فالغناء كما قال (ابن رشيق) خلة الشعر ان لم يلبسها طويت ويظهر ان غناء الحجاز دفع الى بعض التجدد في الشعر وبنوع خاص الغزل دفعاً فدعى الى أن ترقق الألفاظ وأن يطرح منه الغريب المعقد الذى لا يلائم مجالس الغناء بل أنه قد دعى الى أن ينظم الشعراء مقطوعات خاصة له ينشد فيها الغزل مجردا بريئا لا سبيل الى غرض يقصد به كما كان يفعل القدماء وأنتج الشعراء ما كان يوافق المغنين وكره المقبلون عليه وكانوا يستمدون طربهم من ناحيتين فنيتين كانتا العامل الأكبر لاستفزاز شعورهم وترقية عقولهم وهما موسيقى الشعر وموسيقى الألحان وكان المغنون يلحون على الشعراء في نظم الأشعار ومن الطبيعي أن ينتج من هذا الشعر شعر غزلي فني يمثل من ناحية حوادث خاصة وقعت لبعض هؤلاء الشعراء فنظموا فيها شعرهم ويمثل من ناحية أخرى غرض أصحابه في أنه قد وضع للفن والغناء وحدهما ومهما

يكن من الأمر فاننا نستطيع أن نقول بوجه عام ان الحجاز اشتهر ونال الأغلبية في الشعر الغزل بأنواعه الثلاثة « الأباحي والعذرى والتقليدى » أو الفني اذا شئت تسميته بهذا الأسم وان هذا الغزل كان أقوى غزل عرفه الأدب العربي في لفظه وأساليبه ناهيك عن مخالفته الشعر الجاهلي في أغراضه ومعانيه فبهذا وبحكم ما أحدثه الدين الأسلامي في نفوس العرب كان هذا الغناء وفقا لروح الموسيقى في ذلك العهد الذى أخذت فيه الثقافة الفنية تزداد يوما بعد يوم وذلك كان في عهد الحجاز الذهبي الذى تغنت به الشعراء وقتئذ من جمال الرياض المحيطة بالمدينة الى لين ودعةفي العيش، الى غنى ومال عظيم ، الى تساهل في الحياة الأجتماعية واذا التفت الناس هناك الى هذه النواحي الجديدة نجد البعض قد اتخذ غرفة خاصة جعلها ناديا يتردد الرجال اليها فيها من الألعاب ألوان كثيرة ومن ضروب التسلية طائفة كبيرة ومن ترددهم أيضا الى حفلات الغناء فقد كانت تعقد حفلات خاصة منها وعامة كان يلبس المغنون في بعضها لباسا خاصا ولقد كانت هذه الحفلات التي تعقد في المدينة هدف الكثيرين من طلاب اللهو لاسيما من أهل مكة ولنا في اخبار بعض شعراء مكة وشبابها ما يفيد انهم كانوا يقدمون بتلهف لمثل هذه الحفلات الغنائية ، وكان في المدينة موضع خاص فهو بروعته وجماله يجذب القلوب اليه وهو في المدينة المكان الأوحد لتهافت الجماهير اليه وكان اكثر مواضعها حظا فيحياة اللهو والمرح والطربوذلك هو وادي (العقيق) وادي المدينة البهيج ومتنزه اهلها ومزار الكثيرين من طلاب اللهو من سائر مدن الحجاز وكثيرا ما كانت على ضفافه ورياضه حلقات الأنس والطرب ويندفع المغنون في انشادهم فتتجاوب في ارجاء ذلك الوادى اصداء اصواتهم مع خرير المياه وهمسات النسيم وتمايل النخيل وكان لبعض الأشراف قصور فيه وكان ابناؤهم يقضون بها أياما متتابعة في لهوهم مع نسائهم وجواريهم وربما انتحى بعضهم ناحية بعيدة عن أعين

الناس أى الرقباء فيجلسون على احدى ضفافه ويضعون أرجلهم في السيل يتبردون وهم يستمعون الى مغنيهم وهو ينشد أطيب الألحان ولقد حاول الرواة أن يصفوا مجالس الحجاز الغنائية فبالغوا في ذلك حتى كادت تظهر صورة الحياة فيها مماثلة لمجالس العصر العباسي ذلك العصر الذى أصبح غرة في جبين الدهر ، هكذا كانت مجالس الغناء في العهد الأموى ولكن سرعان ما انفرط عقد نظامها وتقوضت دعائما وانهدت قواعدها وضل الغناء يئن من المشاحنات السياسية التي كثرت في ذلك العهد الى أن تسلمه العصر العباسي عصر الفنون والأدب والعلم والفتوح •

الباب الثالث

الغناء في العهد العباسي

كان لزوال حكم الدولة الأموية في دمشق واتخاذ دار السلام بغداد عاصمة للدولة العباسية فضل كبير في ترقية الفنون فقد بلغ الغناء العربي أسمى درجاته من الرقي والأزدهار فان البيئة العباسية كانت بيئة مثريـة مترفة يحف حياتها السلام والخصب والرخـــاء ويكتنفها اللهـو والأنس والقصف والمجنون وعقد مجالس الأنس والطرب في قصور الخلفاء ودور الأمراء ورجال الدولة وقد نبغ في هذا العصر كثير من العلماء بفن الموسيقى فألفوا الكتب فيه وساعدوا بتآليفهم على تمكين نهضة هذا الفن ومن حسن حظ الغناء في ذلك العصر انالخليفة اذا أراد أن يختار من بين أبنائه من يعهد اليه بالأمر من بعده لا يكتب له بذلك عهدا وانما كان يأذن لمغن له خاص يغني عنده وبعد خروج المغنى منه يدخل المهنئون ويهنئونه بولاية العهـــد ولم يكن المغنون اذ ذاك موضع اهتمام الخلفاء وحدهم بل كانوا مقربين عند الأمراء والعلماء والحكام وعند عامة الشعب وقد كانت هذه الطبقة تعيش في بحبوبة الطبقة الأرستقراطية وفتحتبوجوههم كنوز العصرالذهبي فحصلوا الجوائز ونالوا الصلات وكانت يومئذ الأصوات تنسب الىواضعيها وملحنيها وتسمى باسماء اصحابها والمغني أحرص على صوته من الكريم على عرضه فاذا صنع صوتا لا يسمح لأحد من المغنين بأخذه حتى يغنيه مرارا وتعرف نسبته اليه وكانت مجالس الغناء عندهم تشبه أن تكون مجالس علم لدراسة هذا الفن وتهذيبه وأن أحدهم اذا سمع خطأً في لحن لا يحجم عن الانتقاد ويبين موضع الخطأ مهما عظم المجلس وشأن صاحبه غير هياب ولا وجل وكثيرا ماتقع منافسات ومجادلات شديدة مما يدل على أن الغناء له صـــبغة جدية فوق صبغة اللهو والطرب وقد نبغ في هذا العصر رجال كثـيرون محسنون وضعوا ألحانا جميلة أخذتعنهم وشاعت بين الناس وأولهم المغني (سياط) فهو الاستاذ الاكبر (لابراهيم الموصلي) وقد نالسياط حظا وافرا

ـد الخليفة المهدى ولقب بهذا الأسم لأنه كان كثير الغناء بهذا البيت :

كأن مزاحف الحيَّات فيـه قبيل الصبح آثار السـياط

وفي سياط يقول بعض الشعراء :

ما سمعت الغناء الا شـجاني من سياط وزاد في وسواسى
غنني ياسياط قد ذهب الليل غنـاءً يطير فيه نعـاسى

واذا غنى سياط استصحب معه من يعزف نايا فيتبعه أو من يعزف له بالعود (وحكى) ان ابراهيم الموصلى غني يوما صوتا لسياط فقال له ابنه اسحق لمن هذا الغناء ياأبتي قال لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله يعنى بذلك الى سياط ومات فجأة وهكذا مات أبوه وبعد موت سياط تزعم (ابراهيم الموصلى) وقبض على صولجان الفن بحنكة ودراية فكان فيه الغريد الطروب ولقد وهبه الله عقلا وافرا وحظا ساميا واشتهر برقة حاسته السمعية ودقـة شعوره مما يدعوا الى الدهشة والأستغراب فقد سمع مرة ثلاثين جاريـة يضربن جميعا بالعيدان بطريقة واحدة فاستطاع أن يرشد جارية كان في عودها وترا ناقصا غير مستو وسأل الرشيد الموصلى مرة كيف تصوغ الألحان وماذا تصنع فقال اخرج ألهم من فكرى وامثل الطرب بين عيني فتنفتح لي مسالك الألحان فاسلكها بدليل الأيقاع فارجع مصيبا ظافرا بما أريد وأول بادرة فنية ابتدرها الموصلى في أول نشأته أنه ألم بجميع مؤهلات الغنـاء فكان نابغة عصره ولذلك لقب « بالنديم » أما سبب تسميته بالموصلى لما نشأ اشتهى الغناء فطلبه واشتد اخواله عليه في ذلك وبلغوا منه فهرب منهم الى الموصل فاقام بها فلما رجع الى الكوفة قال له اخوانه مرحبا بالفتى الموصلى فغلب عليه هذا الاسم ولقب به ولما بلغ الخليفة المهدى خبره امر باشخاصه اليه وكان المهدى لا يشرب فاراده على ملازمته وترك الشرب غير ان الموصلى كان يشرب دون علم من المهدى وكان يغيب عنه أياما فاذا جاءه جاء منتشيا فيغيضه ويأمر بضربه وحبسه وقد دعاه يوما وعاتبه على شربه في منـازل الناس والتبذل معهم فلم ينفع فيه عتاب فغضب المهدى غضبا شديدا وامر أن لا يدخل على ولديه « موسى وهرون » البتة ثم بلغه انه دخل عليهما وشرب

معهما فأمر بضربه ثلثمائة سوط وحبسه فقال في حبسه :

ألا طـــال ليلي اراعي النجوم ... اعالج في الســـاق كبلاً ثقيلا
بدار الهوان وشـــــر الديار ... أسام بها الخسف صبرا جميلا
كثـير الأخلاء عنـــد الرخاء ... فلما حبست أراهم قليـــلا
لطول بلائي مل الصـــــديق ... فلا يأمنن خليـــل خليـــلا

ثم أخرجه المهدى من الحبس وأحلفه بالطلاق والعتاق وكل يمين أن لا يدخل على ابنيه موسى وهرون ابدا وخلى سبيله ولما ولي موسى الهادي الخلافة استتر الموصلى ولم يظهر له بسبب اليمين فكانت منازله تكبس في كل وقت وأهله يروعون حتى أصابه رجال الخليفة فمضوا به اليه فغنى لحنه في شـعره :

يابن خير الملوك لا تتركني ... غرضـــاً للعدو يرمي حبالى
فلقـد في هواك فارقت أهلى ... ثم عرّضت مهجتي للزوال
ولقد عفت في هواك حيـاتي ... وتغربت بـــين أهلى ومالى

فوهبه الهاي في يوم واحد ماية وخمسين ألف دينار وللموصلى فضل كبير في تعليم القيان ولم يكن المغنون قبل الدولة العباسية يعلمون الجواري الحسان بل كان التعليم مقتصرا بالجوارى السود والصفر وقلما ترى قينة جميلة تحسن الغناء فالموصلى أخذ يختار الجوارى الحسان يعلمهن الغنـاء والعزف فكانت داره أشبه شيء بمعهد موسيقي يتخرج منه حسان مغنيات بلغ الفن بهن كل مبلغ ورفع من اقدارهن الى حد كان الفخر به للموصلى وفي الموصلى يقول (ابو عينية) وقد كان يهوى جارية يقال لها (أمان)وقد أغلى بها مولاها السوم :

قلت لمـــا رأيت مولى أمان ... قد طغى سومه بها طغيـــانا
لا جزى الله الموصلى أبا اسـ ... حق عنّا خـيراً ولا احسانا
جاءنا مرسلاً بوحي من الشـ ... يطان أغلى به علينا القيـــانا
من غناء كأنه سكرات الحب ... يصبي القلـــــوب والآذانا

وكان للقيان شأن كبير في الموسيقى والقينة التي تمتاز بالموهبة الفنية يرتفع ثمنها في سوق الرقيق وعلى مقدار السرور واللذة التي كانت تستطيع تلك القينة أن تمنحها لسيدها يكون مقدار احترامه وحسن معاملته لهـا ولتلكم القيان في بعض الأحيان أثمان فاحشة (فأبن غانم) من الكوفة باع قينته (زبيدة) بمائة ألف درهم والقيان الحسان تقدم كالهدايا وتدخل في الميراث والصداق والمستحب منهن الجمال وذلك في المقدمة ثم يتبعه المهارة الموسيقية ثم رجاحة العقل وكثيرات اللواتي يذهبن في حب أسيادهن مذهبا بعيدا ويخلصن لهم الى حد التضحية (وحكى) ابراهيم الموصلي عما كان يجري بينه وبين هرون الرشيد من حسن المنادمة والتقرب منه دون سواه ان الرشيد قال لى يوما يا ابراهيم بكر علي غدا حتى نصطبح فكنت أنـا والصبح كفرسي رهان واذا به خال وبين يديه جارية حلوة المنظر دمثة الشمائل وفي يدها عود فأمرها الرشيد أن تغني فغنت شعرا لأبي نؤاس :

توهمه قلبي فأصـبح خـده ... وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري خاطرا فجرحتـه ... ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر
وصافحه قلبي فألّم كفـه ... فمن غمر قلبي في أناملـه عقر

قال ابراهيم فذهبت والله بعقلى حتى كدت أن أفتضح قلت من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قلبي الغـداة وقلبهـا لي ... فنحن كذاك في جسدين روح

ثم قال لها أن تغني فغنت :

تقول غداة البـين ان نسائكم ... لى الكبد الحرى فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعهـا ... على خدها بيض وفي نحرها صفر

فشرب الخليفة وسقاني ثم سقاها ثم قال غن يا ابراهيم فغنيت حسبما في قلبي غير محتفظ من شيء :

تشرب قلبي حبهـا ومشى به ... تمشى حميّا الكأس في جسم شارب
ودب هواها في عظـامي فشفها ... كما دب في الملسوع سم العقارب

ففطن الرشيد لتعريضي وكانت جهالة مني فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهرا الى مجلسه ولما مضى الشهر دس الي خادما معه رقعة مكتوب فيهـا :

قد تخوفت أن أموت من الو ... جد ولم يدر من هويت بما بي
يا كتابي فاقر السلام على من ... لا اسمي وقل له يا كتابي
ان كفاً اليك قد بعثتني ... في شقاء مواصل وعذاب

ولما أتاني الخادم قلت له ما هذا قال من الجارية التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين فأدركت ما انطوى في ذلك وشتمت الخادم وضربته ضربا شفيت به نفسي وغيضي وركبت الى الرشيد من فوري وأخبرته بالأمر وأعطيته الرقعة فضحك حتى كاد يستلقي على الكرسي وقال على عمد فعلت ذلك بك لأمتحنك وأكون على علم من مذهبك وطريقتك ويعلم الله مافعلت الذى فعلت عفافا ولكن خوفا وكان يهوى جارية اسمها (خنث) لرجل نحاس اسمه قرين وهو مولى (العباسة) بنت المهدى وكانت خنث على جانب عظيم من الجمال وكان لها خال فوق شفتها العليا وتعرف بذات الخال ولأبراهيم فيها أشعار كثيرة يغني فيها فشهرها بشعره وغنائه وبلغ الرشيد خبرها فاشتراها واهداها اليه ولم يكن أحد من يجارى ابراهيم بغنائه غير (اسحق) وهو الذى صحح أجناس الغناء وميزه تمييزا صحيحا لم يقدر عليه أحد قبله ولا بعده وفي اسحق قال المأمون لولا ما سبق على ألسنة الناس عن اسحق واشتهر به عندهم لو ليته القضاء فما أعرف مثله عفةوفقها وكان لاسحق مكانة رفيعة في سائر العلوم وقد اجمع معاصروه من موسيقيين ومؤرخين انه إمام أهل الفن جميعا ومعلمهم في توضيح القواعد الموسيقية وتمهيد العقبات لدروسها وكان يبدأ في اكثر ألحانه من الطبقات الحادة فيتهادى بالنغم برهة ثم يهبط رويدا رويدا الى القرار ثم يصعد ثم يهبط ثم يصعد أيضا خارجا من شدة الى لين ومن لين الى شدة ثم يختم وهذا الأسلوب هو تمام الأتقان في الصناعة بل الكمال بعينه في الفن وقد كان عليما في مقادير الأبعاد الصوتية وقواعد تقسيم الأوتار الى حد يستطيع العزف على

عود فاسد التسوية ومن ذلك ما رواه الأصفهاني قال اجتمع المغنون عند الخليفة الواثق فذكروا الضراب وحذقهم فقدم اسحق (زلزلا) على (ملاحظ) ولملاحظ في ذلك الرآسة على جميعهم فقال الواثق هذا حيف منك فقال اسحق يا أمير المؤمنين أجمع بينهما وامتحنهما فان الأمر سينكشف لك فيهما فأمر بهما فأحضرا فقال اسحق يا أمير المؤمنين ان للضراب أصواتا معروفة فامتحنهما بشيء منها قال أجل افعل فسمى اسحق ثلاثة أصوات فضربا واحدا منها فتقدم زلزل وقصر عنه ملاحظ فتعجب الواثق من كشف عما ادعاه في مجلس واحد فقال ملاحظ ما بالك يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولم لا يضرب هو قال اسحق يا أمير المؤمنين أنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني الا أنكم أعفيتموني فتخليت عنه على أن معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ شوّش عودك وهاته ففعل ملاحظ ذلك فأخذ اسحق العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه فغنى عليه ثم قال يا ملاحظ غني ما شئت فغنى ملاحظ صوتا فضرب عليه بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه ويده تصعد وتنحدر على الدساتين فقال الواثق لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به أطرح هذا على الجواري فقال اسحق هيهات يا أمير المؤمنين هذا شيء لا تعرفه الجواري ولا يصلح لهن فقد بلغني ان الفلهبذ المغني الفارسي ضرب يوما بين يدي كسرى فأحسن فحسده رجل من حذاق أهل صنعته فترقبه حتى قام لبعض شأنه ثم خالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع فضرب وهو لا يدري والملوك لا تصلّح في مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد الى أن فرغ ثم قام وأخبر الملك بالقصة فامتحن الملك العود فعرف مافيه ثم قال (زەزه وزهانزه) هذه لغة فارسية ووصله بصلة كبيرة فلما وقفت على هذه الرواية أخذت نفسي ورضتها على ذلك وقلت لا ينبغي أن يكون « الفلهبذ » أقوى على هذا مني وما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الارض موضع على طبقة من الطبقات الا وأنا أعرف نغمته والمواضع التي يخرج منها

النغم من أعاليها الى أسفلها وهذا شيء لا تستطيعه الجواري فقال (الواثق) صدقت ولئن مت لتموتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم ومن ذلك اليوم نال اسحق من (الواثق) منزلة رفيعة وكان المغنون جميعا يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم الا اسحق فكان يحضره بلا عود للشرب والمجالسة فان أمره الخليفة أن يغني أحضر له عودا فاذا غنى وفرغ يذهب ولا يأتي الى أن يطلبه وكان الواثق كثيرا ما يكنيه رفعة له من أن يدعوه باسمه واذا غنى وفرغ الواثق من الشرب قطع الغناء ولم يعد منه حرفا الا أن يكون في بعض بيت فيتمه ثم يقطع ويضع العود من يده وروى أحمد بن حمدون قال سمعت الواثق يقول ما غناني اسحق قط الا ظننت أنه زيد لي في ملكي ولا سمعته يغني غناء ابن سريج الا ظننت ان ابن سريج قد نشر وقد يحضرني غير اسحق واسحق غائب فيتقدمه عندى ويطيب غناؤه في نفسى حتى اذا حضر اسحق واجتمعا رأيت اسحق يعلو ورأيت من ظننت تقدمه ينقص أن اسحق لنعمة من نعم الملك التي يحظ بمثلها أحد ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكي وحكى يزيد بن محمد المهلبي قال كنت عند الواثق فغنته قنيته (شجى) وقد وهبها له اسحق :

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها فهي قفر بسابس

فقال الواثق لمخارق وعلوية والله لو عاش (معبد) ما شق غبار اسحق في هذا الصوت فقالا له على غير رضى منهما أنه لحسن يا أمير المؤمنين فغضب الواثق وقال ليس عندكما فيه الا هذا ثم أقبل على محمد بن علي المكي فقال دعني من هذين الأحمقين • ان أول بيت في هذا الصوت أربع كلمات الطلول كلمة • والدوارس كلمة • وفارقتها كلمة • والاوانس كلمة • فانظر هل ترك اسحق شيئا من الصنعة يتصرف فيه المغني لم يدخله في هذه الكلمات الاربع لقد بدأ بها نشيدا وتلاه بالبسيط وجعل فيه صياحا وأسجاحا وترجيحا للنغم واختلاسا فيها وعمل هذا كله في أربع كلمات

فهل سمعت أحدا تقدم أو تأخر عمل مثل هذا أو قدر عليه فقال صدق أمير المؤمنين فقد لحق اسحق من قبله وسبق من بعده (وكان) اسحق كأبيه ابراهيم يناصر الغناء القديم ومن المتعصبين لطرائق معبد ولقواعد المدرسة القديمة في الغناء ولذلك كان في حاجة الى بذل جهود كبيرة في بلاط الرشيد لمقاومة المدرسة الجديدة التي ينشر تعاليمها « ابن جامع » وهو من ألد خصومه ومنافسيه التي كان ينشطها ويعزز جانبها (ابراهيم بن المهدى) أخو الخليفة بنفوذه وعلو شأنه وفي زمن اسحق ظهر ابراهيم بن المهدى وهو على جانب عظيم من حسن الصوت وكمال النبرة ولم يكن ابراهيم من طائفة الموسيقيين أهل المهنة ولكنه ترك للتاريخ ذكرى أمير شغوف وقد كان من جراء شغفه هذا بالموسيقى والموسيقيين إن حمل عليه رجال الدين والمحافظين على سمعته حملات شديدة أوسعوه فيها نقدا ولوما وهجوا وقد اشتهر بحسده للمتوفقين من رجال الفن وبغيرته ممن يصيب منهم مبلغا من النجاح فلم يكن يعرف هل هو فرد من الافراد أم أمير من الامراء حتى أنه كان يحذف أو يخفف في الغناء القديم واذا عيب ذلك عليه يقول أنا ملك وابن ملك اغني كما أشتهي وما يطيب لي غناؤه وانما أعمل ذلك تطربا لا تكسبا واغني لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتهي فكان يغني القديم كما يحب ويريد لا كما غناه من ينسب اليه يحذف ويخفف منه فحصلت مشاجرات ومنازعات عديدة وأهمها ما حصل بينه وبين اسحق تلك المنازعات التي اصطدم بها مذهبان مختلفان مذهب المدرسة القديمة التي كانت تعتبر ان كل مخالفة لقانون الأغاني القديمة جريمة لا تغتفر ، ومذهب المدرسة الحديثة التي كانت بحسب أغراضها تعبث بالقواعد الموسيقية التي تركها السلف فابراهيم هو أول من أفسد القديم وجعل للناس طريقا الى الجسارة على تغييره والناس اذ ذاك صنفان صنف اتبع اسحق وتمسك بمبدأه فكان ينكر القديم ويقبح الإقدام عليه ويعيب فعله وصنف من انحاز الى ابراهيم بن المهدى وناصروه وبذلك الاصطدام يقف « الأصفهاني » المؤرخ لفن الغناء موقف الحكم في هذا التنازع الفني منددا

لأعمال المجددين الذين لم يحترموا أعمال السابقين ويتلاعبون بما صنعوا مبرهنا بقوله ان الذين ساعدوا على السلوك بهـذا هم بعض الخاملين من هواة الغناء ممن يلتمسون فيه الصنف الخفيف ويكرهون ما ثقل عمله وثقلت أدواره أي ما كانت موازينه من النوع (الـكبير الثقيل البطيء) لعجزهم عن تأديته ويتبع هؤلاء بعض الجهلاء الذين لا يطيب لهـم أن يبذلوا في سبيل درس الغناء مايستحقه من وقت ومجهودات هذا ما قاله أبو الفرج في حين أنه لم ينس المشاحنات الشخصية التي كانت تقع بـين ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي ومنها ما ذكره (حماد بن اسحق) قال كان أبي عند الرشيد يوما وعنده ندماؤه وخاصته وفيهـم ابراهيم بن المهدى فقال الرشيد لأبي يا اسحق تغن :

شربت مدامة وسقيت اخرى   وراح المنتشون وما انتشيت

قال أبي فغنيته فأقبل عليّ ابراهيم بن المهـــدى فقال لي ما أصبت يا اسحق ولا أحسنت فقلت ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه وان شئت فغنه فان لم أجد انك تخطيء فيه منذ ابتدائك الى انتهائك فدمي حلال ثم أقبلت على الرشيد فقلت يا أمير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة أبي وهي التي قربتنا منك واستخدمتنا لك وأوطأتنا بساطك فاذا نازعنا بها أحد بلا علم لم نجد بداً من الايضاح والذب فقال لا غرو ولا لوم عليك فقـــام الرشيد لحاجة فأقبل ابراهيم بن المهـــدي عليّ وقال ويلك يا اسحق أتجتري عليّ وتقول ما قلت يا لئيم فداخلني ما لم أملك نفسي معه فقلت له أنت تشتمني وأنا أقدر على اجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ولولا ذاك لكنت أشتمك أو ترى اني كنت لا أحسن أن أشتمك ولكن قولي في ذمك ينصرف جميعه الى خالك ولولا خوفي من أن يبلغـــه الخبر ولولا حرمتي لذكرت صنعته ومذهبه قال اسحق وكان بيطارا ثم سكت وعلمت ان ابراهيم سوف يشكوني وان الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه فتلافيت ذلك ثم قلت أنت تظن أن الخلافة تصير اليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسداً له ولولـده

على الأمر فأنت تضعف عنه وعنهم وتستخف بأوليائهم تشفيا وأرجو أن لا يخرجها الله عن يد الرشيد وولده وأن يقتلك دونها فان صارت اليك وبالله العياذ فحرام عليّ العيش يومئذ والموت أطيب من الحياة معك فاصنع حينئذ ما بدا لك قال فلما رجع الرشيد وثب ابراهيم فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين شتمني وذكر امي واستخف بي فغضب وقال ما تقول ويلك قلت لا أعلم فسل من حضر فأقبل على مسرور وحسين فسألهما فجعلا يخبرانه ووجهه يتربد الى أن انتهيا الى ذكر الخلافة فسرى عنه ورجع لونه وقال لابراهيم ماله ذنب شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك ارجع الى موضعك وأمسك عن هذا فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بأن لا أبرح وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري فساء ظني وأوهمتني نفسي فأقبل علي وقال ويلك يا اسحق أتراني لم أفهم قولك ومرادك قد والله سببته ثلاث مرات أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ويلك لا تعد • حدثني عنك لو ضربك ابراهيم أكنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل أتراك لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك فقلت يا أمير المؤمنين قد والله قتلني بهذا الكلام ولئن بلغه ليقتلني وما أشك في أنه قد بلغه الآن فصاح بمسرور الخادم وقال علي بابراهيم الساعة فاحضر وقال قم وانصرف وقلت لجماعة من الخدم وكلهم كان محبا لي والي مائلا ولي مطيعا أخبروني بما يجري فأخبروني من غد أنه لما دخل وبخه وجهّله وقال له أتستخف بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدم عليّ وتستخف بمجلسي وحضرتي (هاه هاه) تقدم على هذا وأمثاله مالك وللغناء وما يدريك ما هو ومن أخذ لحنه وطارحك اياه حتى تتوهم انك تبلغ مبلغ اسحق الذي غذي به وعلمه وهو صناعته ثم تظن انك تخطئه فيما لاتدريه ويدعوك الى اقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه أليس هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك وغلبت لذتك على مروءتك وشرفك ثم اظهارك اياه ولم تحكمه

وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك الناس الى الجهل المفرط ألا تعلم ويلك ان هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح ثم قال والله العظيم وحق رسوله والا فانا نفي من المهدى لئن أصابه أحد بسوء أو سقط عليه حجر من السماء أو سقط من على دابته أو سقط عليه سقفه أو مات فجأة لاقتلنك به فلا تعرض له وأنت أعلم قم الآن فاخرج فخرج وقد كاد أن يموت فلما كان بعد ذلك دخلت اليه وابراهيم عنده فأعرضت عن ابراهيم وجعل الرشيد ينظر اليه مرة والي مرة ويضحك ثم قال له اني لا أعلم محبتك في اسحق وميلك اليه والى الأخذ عنه وان هذا لا يجيئك من جهته كما تريد الا بعد أن يرضى والرضا لا يكون بمكروه ولكن أحسن اليه وأكرمه وأعرفه حقه وبره وصله فاذا فعلت ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبته بيد منبسطة ولسان منطلق ثم قال لي قم الى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه فقمت اليه وقام الي وأصلح الرشيد بيننا ومن ذلك الحين استحكم العداء الفني بينهما وضل كل واحد منهما يضمر لصاحبه ما يحط من صناعته وفنه (ومن ذلك) ان اسحق الموصلي دخل يوما على « محمد بن راشد الخفاف » في منزله وقال له قد جاءت بي اليك حاجة فقال له قل ما شاء الله قال اسحق دعني في بيتك وانطلق أنت الى ابراهيم بن المهدي فانه سيسر بك ثم قل له يا سيدي أسألك عن شيء من صنعتك في صوتك وهو « ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني » ففي الغناء تمد (تاء) ذهبت فتقول (ذهبتو) بالواو فان قلت ذهبت ولم تمدها انقطع اللحن وان مددتها قبح الكلام وصار على كلام النبط فقال ابن راشد لاسحق كيف اخاطب ابراهيم بهذا فقال اسحق هو حاجتي اليك فقال ابن راشد افعل ذلك لموضعك عندى وذهب الى ابراهيم وجلس عنده وتجاريا الحديث الى أن خرجا الى ذكر الغناء فخاطبه ابن راشد بما قال له اسحق فتغير لون ابراهيم وانكسر ثم قال يا محمد ليس هذا من كلامك بل من كلام (الجرمقاني) قل له عني أنتم تصنعون هذه الصناعة ونحن نصنعها للهو واللعب والعبث فاستأذن ابن راشد وعاد الى اسحق وأخبره بما جرى

ويستدل من قول الأصفهاني انه لم يكن راض من عمل ابراهيم بتحريفه للغناء لأن العربي في كل زمان يقدس قديمه ويحافظ عليه وان الاغفال عن محافظته من أكبر العلل ونحن نؤيد قول الأصفهاني ونقول ذلك هو أصل هذا الانقلاب الذى طرأ على موسيقانا وسبب نسيان أساتذة الفن القـــديم وكان الاستاذ اذا غير الغناء لابد وأن يقتدي بـــه تلميذه وهـــكذا بالتوالي نتداول التغير الى حد بعيد حتى أصبح من المستحيل القاء لحن قديم على أصله في حين ان الذين مشوا وراء الموصلي وتمسكوا بمذهبه كثـــيرون كجوارى البلاط العباسي وجوارىالأمراء وأرباب الدولة وجوارىالبرامكة وآل هاشم وآل يحيى وآل الربيع وعريب وجواريها وهن اللواتي اتبعن طريقة اسحق ومع هذا كله ان الأصفهاني لم ينس فضل ابراهيم بنالمهدى رجلا عاقلا فاهما دينا أديبا شاعرا راوية للشعر ولأيام العرب خطيبا فصيحا حسن العارضة وهو أشهر أولاد الخلفاء الذكور منهم والأنـــاث ذكرا في الغناء وأولهم وأتقنهم صنعة فيه وكان اسحق الموصلى بالرغم مما كـــان بين الاثنين في منازعات ومجادلات يقول ما ولد للعباس بن عبدالمطلب بعد عبدالله بن العباس رجلا أفضل من ابراهيم وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات واطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتا وهو من المعدودين في طيب الصوت وكثيرا ما كان يجادل اسحق الموصلى ولكنه كان دوما مغلوبا أمامه وكم من مرة فضحه اسحق وأغصه بريقه بمايظهر عليهمن سقطاتوما يبينه من خطئه ومن عجزه عن معرفة الخطأ الغامض اذا مر به ومن قصوره عن اداء الغناء القديم ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات جمة وكان أحمد بن أبي داود يعيب الغناء ويطعن على أهله فدخل يوما علي (المتعصم) وكان ابراهيم بن المهدى عمه يغني :

هلتطمسون من السماء نجومها	بأكفكم أو تسترون هلالهـــــا
أو تدفعون مقـــــالة من ربكم	جبريل بلغهـــــا النبي فقالهـــا
طرقتك زائرة فحيي خيـــالها	زهراء تخلط بالدلال جمالهـــا .

فبلغ الطرب بأحمد بن أبي داود منتاه ورجع عن رأيه منذ ذلك اليوم

وروى عن ابن أبي طيبه قال كنت اسمع ابراهيم بن المهدى يتنحنح فاطرب وأن ابراهيم اذا بدأ يغنى في مجالس الخلفاء لم يبق في القصر من الخدم والعبيد وأصحاب المهن والصناعات الصغار والكبار الا وترك ما في يده من الأعمال واقترب الى اقرب مكان فيه كي يسمعه حابسا أنفاسه لئلا يفوته نبرة من صوته ومن الأمثال التي كانت تجري على ألسنة العامة في طرقات بغداد أنه لم يسمع لا قبل الاسلام ولا بعده من كان أحسن غناء من ابراهيم بن المهدى واخته علية واستتر ابراهيم مرة عند بعض اهله فوكلت بخدمته جارية جميلة فكانت توفيه حقه في الخدمة والأعظام فجل مقدارها في نفسه الى أن قبّل يوما يدها فقبلت الأرض بين يديه فقال :

يا غزالا لي اليـــه   شـافع من مقلتيـــه
والذي اجللت خـدّ   يه فقبلت يديـــه
أنا ضيف وجزاء الضـ   ـيف احسان اليـــه
بأبي وجهـك ما أكـ   ـثر حسادي عليـــه

ولم يكن ابراهيم المهدى وحده يعبث بالغناء القديم فمن الذين آزره (ابن جامع) وهو من المنافسين لابراهيم الموصلى وابنه اسحق وذكر انه كان مغنيا وملحنا بارعا وقد تسلسل من بيت شريف من قريش وكان شديد التقوى وله أثر ظاهر في جبينه من كثرة السجود وله ولع بالملاهي وشرب النبيذ وقد تبع استاذه « سياط » الى بغداد وكان يقول له المهدى الخليفة العباسى ألا تخجل من احتراف الغناء وانت رجل من قريش وغنى ابن جامع مرة الرشيد في ليلة من ليالى انسه فلما كان الغد انصرف الرشيد واقام جعفر فدخل ابراهيم الموصلى فسأل جعفر عن أمسهم فاخبره كان بن جامع يغنينا الا أنه كان يخرج عن الأيقاع قال ذلك بغية يطيب نفس ابراهيم الموصلى لما كان يعرفه من المنافسة بين الاثنين فقال الموصلى أتريد ان تطيب نفسى بما لا تطيب به لا والله ما عطس أو سعل ابن جامع منذ ثلاثين سنة الا بايقاع فكيف يخرج اليوم منه قال ذلك ابراهيم رغم المنافسة التي بينه وبين ابن جامع وغناء ابن جامع أحسن ما يكون اذا حزن واحب الرشيد أن

يسمع ذلك منه. فقال للفضل ابن الربيع أبعث خريطة فيها نعي أم ابن جامع وكان ابن جامع بارا بأمه فوردت الخريطة على الرشيد وهو في مجلس لهوه فقال له يا اسماعيل وهو اسم ابن جامع جاء في هذه الخريطة نعي أمك فاندفع يغني مرثية بحزن شديد فما ملك جميع من كان في المجلس انفسهم وكان الغلمان يضربون برؤسهم الحيطان والأساطين وبعد ذلك قالوا له ان أمك لم تمت وانما أراد أمير المؤمنين أن يسمعك وأنت حزين ومن ألحان ابن جامع :

فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... وخلفت قلباً في هواك يعذب
ولكنما أحيا بقلب مروّع ... فلاالعيش يصفولي ولاالموت أقرب
تعلمت أسباب الرضا فوق سخطها ... وعلمها حبي لها كيف تغضب

وسأل (برصوم الزامر) عن ابن جامع فقال هوزق عسل ان فتحت فمه خرج عسل حلو وان خرقت جنبه خرج عسل حلو وان فتحت يده خرج عسل حلو كله جيد وفي ذلك الحين قدم على الرشيد من الحجاز (ابن دحمان) واسمه الزبير والمغنون يومئذ حزبين أحدهما في حزب ابراهيم الموصلي وابنه اسحق والآخر في حزب ابراهيم بن المهدى وابن جامع كما ذكرنا فوقف ابن دحمان وقوف المتفرج وهو يقول « كل حزب بما لديهم فرحون » وكان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم والتندم على ما فعله بهم ففطن لذلك بن دحمان فغناه يوما والشعر لامرأة من بني أسد :

من للخصوم اذا جد الخصام بهم ... يوم النزال ومن للضمّر القود
وموقف قد كفيت الناطقين به ... فيمجمع من نواحي الناس مشهود
فرجتّه بلسان غير ملتبس ... عند الحفاظ وقول غير مردود

فقال له الرشيد أعاد فاعاد فقال له ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف بن يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وبكى حتى جرت دموعه ووصل بن دحمان صلة سنية وكان الرشيد متعجب غاية الأعجاب بالزبير بن دحمان

لتضلعه في صناعته وقد جمع المغنين فحضر ابراهيم الموصلي وابن جـامع والزبير بن دحمان والمعلي بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه اسحق وأبو زكار الأعمى وأعطاهم شعرا قاله في حضية له خلفها لمغاضبة كانت بينه وبينها وتشوقها شـوقا شديدا وهو اذ ذاك في (الرقة) وهي في بغداد وهذا هو الشعر :

سـلام على النـازح المقترب ... تحيـة صب بـه مكتئب

أيا من أعـان على نفسـه ... بتخليفه طـائعاً من يحب

سأستر والستر مـن شيمتي ... هـوى من أحب بمن لا أحب

وقال ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا فعملوا فيه عشرين لحنا فما أعجب بها الا بلحن الزبير وحده أعجب به غاية الأعجاب وأجازه خـاصة دون الجماعة بجائزة سنية ومن الذين انحاز الى اسحق الموصلي في تعزيز الغناء القديم استاذه ومعلمه (منصور زلزل) وكان هذا من أمهر أهل زمـانه بالعود وهو من سواد اهل ـ الكوفة ـ ومن اهل الخشونة والبذاءة وبه قال اسحق الموصلي ان زلزلا اول من أحدث العيدان الشبابيط وكانت قديما على عمل عيدان الفرس فجاءت عجبا من العجب ولم ينكر اسحق ان زلزلا علمه الضرب على العود ويقول اسحق أخذ مني منصور زلزل الى أن تعلمت مثل ضربه بالعـود اكثر من مائة الف درهم سـوى ما أخذت له من الخلفاء ومن أبي ـ وكانت ـ لزلزل جارية قد رباها وعلمها الضرب والغناء وكانت مطبوعة وكان يصونها من أن يسمعها أحد فلما مات بلغ اسحق الموصلي انها تعرض في ميراثه للبيع فصار اليها ليعترضها فبكت وغنت :

أقفر من أوتاره العـود ... فالعـود للاوتار معمود

وأوحش المزمار من صـوته ... فما لـه بعـدك تغريد

من للمزامير وعيـدانها ... وعـامر اللـذات مفقـود

الخمر تبكي من أباريقهـا ... والقينة الخمصانة الـرود

وهذا الشعر رثاه به صديق له كان يألفه فابكت عين اسحق وأوجعت

قلبه فدخل الى الرشيدوحدثه بحديثها فأمر باحضارها وقال لها غنني الصوت الذى حدثني اسحق عنه فغنته وهي تبكي فتغرغرت عينا الرشيد وقال لها وتحبين أن اشتريك فقالت ياأمير المؤمنين لقد عرضت علي ما يقصر عنه الأمل ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدى فينتفع بي فازداد الرشيد رقة عليها وقال غنني صوتا آخرا فغنت :

العين تظهر كتماني وتبـــديه   والقلب يكتم ما ضمنته فيـــه
فكيف يتكتم المـــكتوم بينهما   والعـــين تظهره والقلب يخفيه

فأمر بأن تبتاع وتعتق ولم يزل يجري عليها الى أن ماتت•ومن الذين ناصروا الغناء القديم واتبعوا طريقة أسحق الموصلى به (مخارق) وهو من تلامذة ابراهيم الموصلى وعنه أخذ الغناء فبرع به كان مغنيا عديم المثـــال ويقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويغني وهو واقف وفي بعض الأيام غنى (ابن جامع) بين يدي الرشيد (كأن نيرانها في جنب قلعتهم) فطرب الرشيد واستعاده مرارا وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره من المغنين فاكتأب ابراهيم الموصلى فخلا به مخارق وقال له مالي أراك منكسرا فقال ألا ترى اقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت الـذى تقدم به عند أمير المؤمنين فانه لازال والله يستعيده منه ويطرب عليه وكثيرا ما حاولت على اخذه فلم أفلح واني أخشى على نفسي من عاقبة اقبال الخليفة على ابن جامع فقال له قد والله أخذته فقال له ويحك انه الرشيد وابن جامع فاحذر والا فهو الموت قال مخارق دعني اغني به أمام الرشيد فان أحسنت فاليك ينسب وان أسأت فألي يعود فقال ابراهيم للرشيد ياأمير المؤمنين أراك متعجبـا بهذا الصـوت بغير ما يستحقه فقال الرشيد لقد أحسن ابن جامع ما شاء قال ابراهيم فأن عبدك مخارقا يغنيه فنظر الرشيد الى مخارق فقـــال مخارق نعم يا أمير المؤمنين قال هاته فغنى وتحفظ فيه فأتى بالعجائب فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحا ثم قال لأبن جامع ويلك ما هذا فابتدأ يحلف بالطلاق انه ما صنع ذلك الصوت سواه وانها حيلة جرت عليه قال الرشيد لأبراهيم أصدقني بحياتي فصدقه عن قصة مخارق فقال الرشيد لمخارق

اجلس اذن مع اصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم واعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضيعة ومنزلا وكان الواثق يقول خطأ مخارق كصواب علوية وخطأ اسحق كصواب مخارق وما غناني مخارق قط الا قدرت أنه من قلبي خلق ومما يظهر فضل مخارق على جميع أصحابه ان الغلمان الذين كانوا يقفون في السماط كانوا يسمعون الغناء من المغنين جميعا وهم وقوف في أماكنهم ضابطون لأنفسهم حتى اذا غنى مخارق خرجوا عن صورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وازدحموا على الحبل الذي يقفون ورائه وجاء أبو العتاهية الى باب مخارق فطرقه فخرج اليه فقال أبو العتاهية ياحسان هذا الأقليم وياحكيم ارض بابل أصبب في اذني شيئا يفرح به قلبي وتنعم به نفسي فغنى مخارق وجعل أبو العتاهية يبكي ثم قال له يادواء المجانين لقد رققت حتى كدت أن أحسدك فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك ادما ولو كان شرابا لكان ماء الحياة وجمع ابراهيم المهدى المغنين ذات يوم في منزله وأقاموا ولما دخلوا في الليل ثمل مخارق وسكر سكرا شديدا فسألوه أن يغني فغنى شعر عمر بن ابي ربيعة :

سائل الربع بالبُلَيّ وقولا ... هجت شوقاً لنا الغداة طويلا
أي حي حلوك اذا أنت محفو ... ف بهم آهل أراك جميلا
قال ساروا بأجمع واستقلوا ... وبرغمي لو استطعت سبيلا

ولما انتهى الى قوله « واستقلوا » انثنى نائما فقال ابراهيم المهدى مهدوه ولا تزعجوه ونام حتى مضى من الليل اكثره ثم أفاق من نومه وهو يغني تمام البيت « وبرغمي لو استطعت سبيلا » وذكر ان مخارقا كان يهوى جارية لأم جعفر اسمها نهار فبلغ ذلك ام جعفر فاقصته ومنعته من المرور ببابها فمر ليلة بدارها فرأى الشمع يزهر فيها فلما صار بمسمع منها ومرأى اندفع يغني :

ان يمنعوني ممري قرب دارهم ... فسوف أنظر من بعد الى الدار
سيما الهوى شهرت حتى عرفت بها ... اني محب وما في الحب من عار
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم ... لولا شقائي اقبالى وادباري

لا يقدرون على منعي ولو جهدوا   اذا مررت بتسليمي باضـــماري

فسمعت ام جعفر وقالت مخارق والله ردوه فصاحوا به فصمد وأمرت له ام جعفر بكرسى وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجوارى فغنين ثم ضربن عليه فغنى شعر الأحنف :

أغيب عنـــك بود ما يغــيره   نأي المحل ولا صرف من الزمن
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا   وان أمت فقتيل الهـم والحزن
قد يحسن الله في عيني ماصنعت   حتى أرى حسناً ماليس بالحسن

فاندفعت نهار وغنت كأنها تباينه وانما أجابته عن معنى مـا عرض لهـــا به :

تعتل بالشغل عنا ما تلم بنـــا   والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففطنت ام جعفر انها خاطبته بما في نفسها فضحكت ووهبتها له .

هؤلاء الرجال الذين اتبعوا الموصلى أما الجوارى اللواتي اقتدين به وأخذن بمذهبه ونبغن بالغناء وصناعة الألحان اكثر من الرجال لمـــا كن عليه من الجمال والأدب والتفنن في ضروب الغنج والأغراء وفي مقدمتهن (عريب) فكانت سيدة القيان في الدولة العباسية فهي مغنية محسنة وشاعرة صـــالحة الشعر مليحة الخط والمذهب في الكلام وأتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار ولم ير في النساء القديمات « من جميلة وعزة الميلاء وسلامة القس » ومن جرى مجراهن على قلة عددهن نظير لها ويقال انها من بنات البرامكـــة استرقت بعد نكبتهم وكانت لصاحب مراكب الرشيد فاشتراها الأمين وبعـد مقتله هربت الى مولاها فاشتراها المأمون بمئة الف درهم ودفع لأســـحق الموصلى واسطة في شرائها مئة الف درهم اخرى وبقيت عنده حتى سميت « بعريب المأمونية » فلما مات المأمون بيعت الى المعتصم بمئة الف درهـــم وأعتقها ومن حسن حظ عريب ان تسعة خلفاء تداولوها وكان جمال عريب فتان احتفظت به حتى ماتت في سن متقدمة عاشت ستا وتسعين ســـنة وقد جارتها بصنعتها المغنية (بصبص) فكانت فريدة زمانها ومن الطبقة الأولى في الغنـــاء وهي مولدة من مولدات المدينة أخذت الغناء عن خيرة المغنـين

اشتراها المهدى في حياة أبيه بمئة الف درهم فغلبت عليه حتى كانت تقول زوجته « الخزران » ما ملك المهدى امرأة أغلظ علي منها وفيها يقول بن أبي الزوائد :

بصبص أنت الشمس مزدانة ... فان تبديت فأنت الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا ... فيما مضى كان يكون الجمال

اذا دعت في العود في مشهد ... وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناءً يستفز الفتى ... حذقاً وزان الحذق منها الدلال

وبصبص هي ام عليه بنت المهدى وفيها يقول عبدالله بن مصعب بن الزبير يخاطب ابا جعفر المنصور لما انصرف من الحج ومر بالمدينة :

أرائح أنت أبا جعفر ... من قبل أن تسمعا من بصبصا

هيهات أن تسمع منها اذا ... جاوزت العيس بك الأعوصا

فخذ عليها مجلس لذة ... ومجلساً من قبل أن تشخصا

أحلف بالله يميناً ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا

لو أنها تدعو الى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

وقد يكون البيت الاخير اشارة على تأصل روح الثورة على الخلفاء في نفوس آل الزبير وأن تكن الغاية التي يريدها عبدالله أن يشق العصا من أجلها تباين الغايات التي شق العصا من أجلها جده الزبير وعمه عبدالله ووالده مصعب . قيل أنه لما بلغت الأبيات أبا جعفر اشتد غضبه وقال أما انكم ياآل الزبير قديما قادتكم النساء وشققتم معهن عصا الطاعة وقد أشار في كلامه هذا الى انقياد الزبير ابن العوام جد عبدالله الى رأى عائشة بنت أبي بكر والى انقياد عبدالله بن الزبير عم عبدالله بن مصعب الى رأى أمه اسماء حين دفعته الى المضى في قتال الحجاج حتى الموت والى انقياد مصعب والد عبدالله الى رأى زوجته عائشة بنت طلحه فلم يكن يوما أمرا الا استشارها ، واذا أجمعنا على أن بصبص كانت مغنية مجيدة وأديبة كاملة فابنتها عليه كانت نابغة زمانها وفريدة أوانها في فن الغناء ولم تنبغ من النساء

العربيات امرأة سواها وربما كانت نساء عربيات غيرها نابغات في صياغة الألحان ولكنهن لم يشتهرن مثلها لأن المرأة العربية لم تكن تتخذ الغناء مهنة لها فتشتهر به ولم تتوسع الشهرة لعلية الا لكونها من بنات الخلفاء وعاشت في البلاط وغنت أخاها الرشيد وابنى أخيها الامين والمأمون وكان في علية عيب ظاهر وهو فضل سعة في جبينها فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر واليواقيت تستر به جبينها ويزعمون في سبب وفاتها هو أن ابن أخيها المأمون ضمها اليه بعد ان غنته صوتا وجعل يقبل رأسها وكان وجهها مغطى وشرقت وسعلت حتى حمت عقب ذلك أياما وماتت وهذا ما لا يقبله العقل ويرتاح له الضمير وانما هذه اقاويل ملفقة وأسطورة من أساطير المؤرخين الذين اعتادوا أن يوردوا مثل هذه الحكاية وفي الوقت الذى كانت تغني به علية لم يكن أحد يستطيع مزاحمتها من النساء المغنيات غير المغنية(دفاق)وهي جارية(يحيى بن الربيع)وأم ولده فقد أتقنت الصنعة والأداء اتقانا صحيحا واشتهرت بجمال الوجه والظرف والفتون وكانت شؤما على من يتزوجها فقد تزوجها بعد موت مولاها ثلاثا من أكابر القواد فماتوا فهجاها عيسي بن زينب بقوله :

قلت لما رأيت دار دفاق ... حسنها قد أضر بالعشاق
حذّر الرابع الشقي دفاقاً ... لا يكونن نجمه في محاق

وكانت دفاق مشهورة باتخاذها العطر فأنها لاتخلو يوما من المسك فيجلب لها من سائر البلاد وكثيرا ماتهديه الى بعض المغنيات اللواتي اشتهرن في زمانها ومنهن المغنية (بذل) وهي التي كانت تروى ثلاثين الف صوت وكانت فتنة قصر الخليفة الهادى مع جمال بارع وأدب ذائع وضاءة المحيا صفراء اللون كالذهب المصفى طويلة القامة ذات صوت جميل لا تشوبه شائبة بارعة في الغناء وكانت تزاحم (ابراهيم المهدى) بصناعته كما كانت تنافس اسحق الموصلي بالغناء القديم (ويروى) انها غنت يوما في حضرة المأمون صوتا خالفها فيه اسحق وأنكر نسبته فامسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات واحدا بعد واحد وسألت اسحق عن صانعها فلم يعرفه فقالت

للمأمون هي والله لأبيه أخذتها من فيه فاذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتد ذلك على اسحق وسكت وضل واجما وقد تخرج عن بذل مغنيات كثيرات وأحسنهن فنا وصنعة (متيم الهاشمية) ثم (دنانير) وبعدها (محبوبة) أما متيم فكانت صفراء جذابة تأخذ بمجامع القلوب وهي مولدة من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت أخذت الغناء عن اسحق الموصلي وأبيه من قبله خرجتها بذل وعلمتها فكانت من أحسن القيان غناء وأداء اشتراها (علي بن هشام) وتزوجها فهي أم ولده وكانت من أجمل أهل زمانها كاملة الصنعة وقد اشتهرت بولعها بالبنفسج فلا ترى الا وكمها مملوء به وهي اول من عقد من النساء في طرف الأزار زنارا وخيط ابريسم تجعله في رأسها فيثبت الأزار ولا يتحرك ولا يزول ولما قتل علي بن هشام عتقت وكان المأمون يبعث اليها فتجيئه وتغنيه وقد مرت يوما مع نسوة وهي مستخفية بقصر علي بن هشام بعد ان قتل فلما رأت بابه مغلقا لا أنيس عليه وقد علاه التراب وقفت وغنت :

يا منزلا لم تبل أطلالـــه	حاشا لاطلالك أن تبـــلى
لم أبك أطـلالك لـــكنني	بكيت عيشى فيـــك اذ ولى
قد كان لي فيـك هوى مرة	غيّبـــه الترب وما هـــلا
فصرت أبكي جاهدا فقـده	عنـــد اذكاري حيثما حلا
فالعيش أولى مابـكاه الفتى	لابد للمحزون أن يســلى

ثم بكت حتى سقطت فحملتها النسوة وسرن بهاتتهادى حتى تجاوزت الموضع هذه متيم الهاشمية وهذا هو ولائها لزوجها أما (دنانير) فهي مولاة « يحيى بن خالد » وكانت من أحسن الناس وجهـا وأظرفهن وأكملهن واكثرهن رواية للشعر والغناء وكان غناؤها يضارع غناء ابراهيم الموصـلى وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره الى مولاها ويقيم عندها ويبرها حتى شكته « زبيدة » الى اهله وعمومته فعاتبوه على ذلك وكان اعتماد دنانير في غنائها على ما أخذته من بذل استاذتها كما انها أخذت عن ابراهيم الموصلى حتى كانت تغني غناؤه فتحكيه فيه فلا ترى بينهما فرقا وكان ابراهيم يقول

ليحيى متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني وبقيت عنده الى أن قتل الرشيد البرامكة وفي دنانير يقول ابو حفص الشطرنجي :

هذي دنانير تنساني فأذكرها | وكيف تنسى محباً ليس ينساها
والله والله لو كانت اذا برزت | نفس المتيم في كفيه ألقاها

وأما المغنية (محبوبة) فهي محبوبة « المتوكل » ومحضيته المقربة منه فهي شاعرة متقدمة كانت تلحن أشعارها بسهولة وتغنيها على العود وكثيرا ما كان يلحن أشعارها المغنون ملكها جعفر المتوكل وهي عذراء أهداها له « عبدالله بن طاهر » ومن ألطف ما يحكى أن المتوكل دخل على جارية له كانت من أعز جواريه لديه واسمها « قبيحه » وقد كتبت على خدها بغالية من نوع الطيب اسمه فاعجبه سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد فسأل « علي بن الجهم » أن يقول في ذلك شعراً فدعا بدواة وكانت محبوبة حاضرة فقالت على البديهة ومن غير تفكير ولا رويّة :

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا | بنفسي مخط المسك من حيث اثرا
لئن كتبت في الخد سطرا بكفها | لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا
فيا من لمملوك لملك يمينه | مطيع له فيما أسرَّ وأظهرا
ويا من مناها في السريرة جعفر | سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

وكان علي بن الجهم لا زال يفكر فما ان سمع شعر محبوبة حتى مكث واجماً لا ينطق بحرف وأمر المتوكل بالأبيات فبعث بها الى « عريب » لتغنيها ومن ولاء محبوبة للمتوكل انها ما طربت مدة حياتها بعده ولما قتل تفرقت جواريه فصار الى وزيره « وصيف » عدة منهن كانت محبوبة بينهن فاصطبح وصيف يوما وأمر باحضار جواري المتوكل فاحضرن وعليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلى وقد تعطرن الا محبوبة فانها جاءت حزينة عليها ثياب غير فاخرة حزناً على المتوكل فغنى الجواري جميعا وشربن وطرب الوزير وصيف وشرب وقال لمحبوبة غني وأخذت العود وغنت وهي تبكي :

أي عيش يطيب لي | لا أرى فيه جعفرا
ملكاً قد رأته عيـ | ـني قتيلا معفرا
كل من كان ذا هيا | م وحزن فقد برا

غـير محبوبـة التي لو ترى المـوت يشترا
ان موت الـكئيب أصـ ـلح من أن يعمـرا

فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها فاستوهبها منه من كان حاضـراً فوهبها له وأعتقها وأمر باخراجها وأن تكون بحيث تختار من البلاد فخرجت من سامراء الى بغداد وخمل ذكرها بقية حياتها ، هذا ما كتبناه عن أشـهر المغنيات في الدولة العباسية اللواتي انتصرن للغناء القديم واتبعن فيـه مذهب ابراهيم الموصلي وابنه اسحق واذا كان غناء اللهو والطرب أي الجـديد أخذت سمومه تنبث في ذلك العصر بفضل مروجيه فان فنون الغناء القـديم وأن يكن قد سكت عنها على أثر التجدد فيها فهي لم تمت ولكن أكثرهـ اذا استثنينا منها آي الذكر الحكيم قد ضعف وضئول ولم ترد اغاني حماسية الا ما قل وندر ولم ينقل من غناء النواح على أن الشعر الداخل في النـواح كان كثيرا الا نواح (قتيلة بنت الحرث) على أخيها النضر :

يا راكباً أن الأثيـل مطيـةً من صبح خامسـة وأنت موفق
أبلغ بهـا ميتا بأن تحيـة ما أن تزال بها النجائب تخفق
مني عليـك وعبرة مسفوحـة جادت بواكفها واخرى تخنق
هل يسمعنَّ النضر ان ناديتـه أم كيف يسمع ميتا لا ينطـق
أمحمد يا خـير ضيء كريمة في قومهـا والفحل فحل معرق
ما كان ضـرك لو مننت وربما منَّ الفتى وهـو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من اسرت قرابة وأحقهـم ان كان عتقـا يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشـه لله أرحـام هنـاك تشقق
صبراً يقاد الى المنيـة مشبعا رسف المقيـد وهو عان موثق

قال (ابن هشام) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغني قبل قتله ما قتلته وكان صلوات الله عليه أمر عليَّ بن ابي طالب عليه السلام بضرب عنقه صبراً بين يديه •

ونواح (زبيدة بنت جعفر) على ولدها الأمين بأبيات :

أروى بالفين من لم يترك الناسا فمنح فؤادك عن مقتولك الباسا
لما رأيت المنايا قد قصدن لـه أصبن منه سواد القلب والراسا

فبت متكئاً أرعى النجوم لــــه   أخال سنته في الليل قرطاســـا
والموت كان به والسهم قارنــه   حتى سقاه التي أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال بــه   وقد بنيت له للــــدهر آساسا
فليس من مات مردود لنا أبدا   حتى يرد علينا قبلــــه ناسـا

ورثاء زوجته (لبانة ابنة علي بن المهدي) ولم يكن قد دخل بها :

أبكيك لا للنعيــم والانس   بل للمعالى والسيف والترس
أبكي على ملك فجعت بـــه   أرملني قبل ليلـــة العرس
يا ســـيداً بالعراق مطّرحاً   خانته أشراطـه مع الحرس

وخلاصة هذا البحث فالمرأة العباسية اذا كانت احدى دعائم النهضة في الغناء بعصرها ونبوغ عشرات من القيان وأثرهن الفني في بغداد دليل واضح على عملها الرائع في حقل الموسيقى وكل اللواتي نبغن كن محســـنات في الضرب على العود والمعازف بارعات في الايقاع وصناعة الالحان كل هذا كان يعلي شأنهن في البيئة الأسلامية ويمكن سيطرتهن على رجال الدولة وظل الغناء يسمو في ذلك العهد ولم تزل شمسه مشرقة في سماء العراق حتـــى أواخر الدولة العباسية وأخذت اذ ذاك تدنو الى الافول وفي سنة ٦٥٦هجرية استولى (هلاكو) على بغداد دار السلام ودرة تاج الاسلام ومهبط الحضــارة ومجمع العجائب ودمرها تدميراً شنيعاً قضى على معالمها الأثرية وآثارها الفنية.

الباب الرابع

الغناء في الأندلس

شاءت الطبيعة الفنية أن تقاوم الازمنة العاتية بكل ما استطاعت من حيل وقوة وأن تسمو بالموسيقى العربية الى ما هو أبعد من أن تسموه رغم الحوادث العاتية والظروف القاسية التي طرأت عليها في أواخر الدولة العباسية وبعد سقوطها لم يطرأ على الغناء أي تبدل ولم يصبه أي شيء فقد قيض الله له دولة اسلامية أخرى بلغت من المدنية والرقي شأواً وجعلها تتنافس مع الدولة العباسية زمنا طويلا بلغت فيه الفنون درجة من العلى لم تبلغه من قبل وجعلت مجد قرطبة يضاهي عز بغداد وسؤددها فلقد انجبت الاندلس من رجال العلم والادب والموسيقى لايقلون في كفايتهم ونتائج قرائحهم عمن أنجبهم الشرق الاسلامي ممن قامت بتآليفهم هياكل المدنية في كل علم من العلوم المختلفة حتى أخذ أهل الاندلس يفاضلون بين (ابن رشد الطوسي وبين ابن زهر وابن سينا وبين ابن فرناس والفارابي وبين يحيى الخدج وأبي الفرج الاصفهاني وبين ابن هاني والمتنبي وبين ابن زيدون والبحتري وبين ابن عبدون والاصمعي وبين ابن ضمضم والخوارزمي وبين ابن أبي مروان البصير وأبي العلاء المعري) بوجود الشبه بين كل من هؤلاء علومهم ومعارفهم الخاصة التي برزوا فيها كما كانوا يفاضلون بين (الناصر والرشيد وبين الحكم والمأمون) لكثرة الشبه بينهم في سياستهم وغزارة معارفهم وكمال رياستهم كما كانوا يفاضلون بين قرطبة وبغداد وبين اشبيلية وحمص وبين غرناطة ودمشق) لكثرة الشبه بينهما في ضخامة البنيان وواسع العمران وكثرة الزرع ورواج سوق الفن والادب وانتشار الموسيقى وقد برز في فن الموسيقى (ابن فتحون وابن باجه) و (يحيى الخدج) ولهم فيها مؤلفات كانت أهلاً لترتيب النغمات الافرنجية وتقييدها في مذكرتها الخاصة أي في (نوتتها) وان الذي كان ينبغ منهم في مادة لايمنع نبوغه فيها عند بروزه في مواد أخرى كأبن رشد مثلا فانه كان عالما دينيا وأديبا عاقلا وشاعرا عبقريا وطبيبا حاذقا وكاتبا جزلا وفيلسوفا عظيما وكذلك كان ابن باجه ومع هذا كله كان

موسيقيا فنانا وبذلك أوجد المغنون في الاندلس مرتعا خصبا ومجالا واسعا لخفق العيدان وعزف الطنابير (وذكر) نورالدين علي بن سعيد في كتابه (المعرب في حلى المغرب) ان أول معلم برع في الالحان وعلمها هو (أبو عامر محمد بن الجمارة الغرناطي) اشتهر عنه انه كان يعمد الى الشجر فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عوداً للغناء وكان ينظم الشعر ويلحنه ومن شعره قوله :

ادا ظن وكرى مقلتي طائر الكرى رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل .

(وكان) الافراط في اظهار الأبهة والعظمة في مجالس الغناء في قرطبه لايقل نظيره في بغداد فقد اجتمع في حفلة اقيمت في قصر أحد الخلفاء الأندلسيين مائتان من المغنين والمغنيات يضربن على العيدان والمزامير وكان الخلفاء مولعين بالضرب على الأوتار تواقين الى سماع الغناء حتى انهم أخذوا يتنسمون أخبار المغنين والمغنيات من كل صوب وحدب فاتصلوا اذ ذاك باهل المدينة في مواسم الحج واستماعهم غناء الجواري المدنيات فاشتهر أمرهن بينهم فاستقدم (عبدالرحمن بن الحكم) صاحب الاندلس جماعة منهن وابتنى لهن دارا خاصة دعيت (بدار المدنيات) وكانت أكبر معهد للموسيقى لتعليم الغناء على اختلافه من ضروب وألحان وأنغام واوزان مع تعليم الشعر بسائر عروضه ولقد غصت تلك الدار بالمتعلمين ومن هناك انبثن تلك الجواري المدنيات في الأسر الأندلسية يعلمن نسوتها الغناء في حشمة ووقار ولم تكن المرأة الاندلسية أقل شغفاً بالغناء من اختها العراقية لاسيما وان طبيعة البلاد الجميلة وحياة أهلها الزاهية كانتا أول عامل من عوامل الانس والطرب ومن شغف عبدالرحمن بن الحكم بالجواري فقد اكتظ قصره منهن (وحكايته) مع جاريته (طروب) أشهر من أن نتصدى لها (وخلاصتها) أنه أغضبها يوماً فعاقبته بالهجر والصدود وحاول أن يترضاها وأرسل لها من خاصته من يرغمها فاغلقت حجرتها دونهم واستأذنوه في كسر الباب عليها فلم يطاوعه قلبه ولما أعيته الحيل لجأ الى ترضيتها فسد عليها الباب من خارجه ببدر الدراهم وتضرع اليها أن تراجعه على ان تكون جميع الدراهم لها فخرجت اليه مكبة على رجليه تقبلها وأحرزت المال كله وفيها يقول متشوقا ومتحمسا وقد

طالت غيبته في غزوة من غزواته :

اذا ما بدت لي شمس النهـــار طالعـة ذكرتني طـــــــروبا
الاقي بوجهي سموم الهجـــير اذا كاد منه الحصى أن يـذوبا
تدارك بالله دين الهـــــــدى فأحييتـــــه وأمت الصـــليبا
وسرت الى الشـرك في جحفل ملأت الحزون بـه والسـهوبا
أنا ابن الهـــاشميين من غالب أشب حروباً وأطفي حــروبا

وفي ذلك العهد قدم (زرياب) المغني من العراق وافداً على الاندلس فتلقاه عبدالرحمن وبالغ في اكرامه وأغدق عليه نعماً لا تحصى واجرى له راتباً كراتب الامراء وزاد في افتتانه به وثقته بسلامة ذوقه الى حد أن حكمه في كل ما يختص في الاذواق والعادات وتعيين ما يصح ارتداءه في فصـــول السنة فبهذا يصح أن يطلق على عبدالرحمن أنه نصير فن الموسيقى في بلاده التي عرفت كيف تنتفع بمواهب هذا الفنان العبقري • وبعد ان كانت العادة الجارية هناك قبل مجيء زرياب أن يكرر اللحن حتى يتم للتلميذ أخـــذه بتمامه فوضع زرياب طريقة قسّم فيها العمل الى ثلاثة أقسام (الاول) أن يتعلم التلميذ أولا ميزان الشعر ويقرأ الاشعار وهو ينقر على الدف ليـــدله على مفاصيل الميزان الشعري وليبين له مواضع الحركات (والثاني) تعليم التلميذ تعليما ساذجا مجردا عن كل زخرفة ليتسنى له أخذ الدرس تماما وليكون على علم منه (والثالث) أن يتعلم الزخرفة وتنميق الضروب وما يتبعهما على أن هذه الطريقة لاتستعمل الا مع ذوي الاصوات الحسنة من التلاميذ بعد اختيارهم وتجربتهم اذ كان لابد لهم أن يجلسوا على مقعد عال ويصيحوا بكل ما في صدورهم من قوة قائلين (آه) ممدودة على درجات السلم الموسيقي ويقـرر الاستاذ بعد هذه التجربة درجة صوت التلميذ من حسن الجودة والقوة وبهذا الاثر الجليل الذي أحدثه زرياب والذى أدخل نظام الغناء في نظام الشـــعر كان زرياب موضع اعجاب الناس فصاروا يتحـــــدثون به في مجالســـــهم واجتماعاتهم وأول ما يتبادر الى الذهن ويسترعي الانتباه هو تقدير الاندلسيين لزرياب ذلك التقدير الذى وصلوا به الى حد التقديس ، نعم ان هذا الاحتفاء النادر الذى لقيه ذلك الموسيقي الفنان وهذا التقدير الذى تغالوا فيه الى هذا

انحد مما يدل على شيء من الاهمية هو شغف الاندلسيين بفن الغناء وعنايتهم بأمره عناية ربما رجحت على عناية الغربيين بهذا الفن اليوم ولا جرم انولوع الانسان بالغناء أمر طبيعي لايستطيع ان يتخلص منه كل فرد الا من أوتي جبلة غير جبلة البشر وكيف لا وقد وجد ذلك الفرد اقبالا من الملوك والامـراء على هذا الفن فانه بما فيه من حب طبيعي للغناء وبما فيه من حب التقليـد حتى ولو كان مخالفا لطباعه يندفع في تحبيذه اندفاعا لا مثيل له على سـنة (الناس على دين ملوكهم) واذا زدنا على ذلك ماكان بين الغرب والشـرق من المنافسة في كل شيء تقريبا واوضحنا ان زريابا كان تلميذاسحاق الموصلي وان اسحاقا قد رأى فيه منافسا خطراً فهدده بالوعيد مرة وأغراه باللـين اخرى ليغادر بغداد الى بلاد الاندلس لما رأى من اقبال هرون الرشيد عليه لذلك أكبرالاثر في نفس زرياب فسعى للتفوق على استاذه وساعدته الفرص التي أتاحت له منافسته وهو في قرطبة ◆ واذا ذكرنا ما لقيه زرياب من ضروب التقدير والتشجيع اللذين لم يكن يحلم بهما من قبل ومن الهيمنة التامة على الاذواق والتصرف في نفوس الناس كما يشاء ثم أضفنا الى ذلك نبوغـه واستعداده العظيمين والتفوق على كل معاصريه في الشرق والغرب وأبسطنا بجانب ذلك ما في طبيعة الاندلسيين من حب الغنـاء بسبب موقع اقليمهم الجغرافي وراعينا كل هذه الاعتبارات لم نستغرب قط ما وصل اليه سـلطان الغناء في النفوس ولم يدهشنا ما نراه من انتشار مجالس الغنـاء في بلاد الاندلس بكل صقع من اصقاعها حتى أصبح الفلاح وهو وراء محـرائه لايقل ولعه عن ولع الامراء فيه ولا نغالي اذا قلنا ان اكثر المغنيات في الاندلس هن تلامذة زرياب ومنه أخذن وتخرجن عليه وممن اشتهر منهن (حمدونه) بنت زريات و (هندية) و (غزالات) واول جارية اشتهرت ونالت حظا وافراً بغنائها وكان يشار اليها بالبنان هي جاريته (منفعة) أدبها وثقفها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وشب معها جمالها الرائق وانصرفت يوما بين يدي الامـير عبدالرحمن تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أخذت تجيد في غنائها وأبدت له دلائل الرغبة فأبى الا التستر بهذه الابيات :

يا من يغطي هـواه … من ذا يغطي النهـارا
قـد كنت أملك قلبي … حتى علقت فطـارا

يا ويلتــــا أتراه لي كان أو مستعارا
يا بأبــي قرشــــي خلعت فيــه العذارا

(ويحكى) ان هذه الابيات كانت للمغنية (منفعة) قالتهـــا في الامير عبدالرحمن ثم انكشف أمرها فاهداها اليه زرياب فحضيت عنـــده ويعقب تلك المغنية (مصابيح) جارية الكاتب ابو حفص (عمر بن قلهيل) وكانت على غاية في الحسن والجمال وفيها يقول (ابن عبد ربه) صاحب كتاب (العقد الفريد) حينما ضنت عليه بسماع صوتها وكتب به الى مولاها :

يا من يضن بصوت الطـائر الغرد ماكنت أحسب هذا الضن من أحد
لو ان أسماع أهل الارض قاطبـة أصغت الىالصوت لم ينقصولميزد

واشتهرت (فضل) المدنية وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وهي من جواري احدى بنات هرون الرشيد نشأت وتعلمت في بغداد ودرجتللمدينة المنورة بعد ان عتقت فزادت شهرتها ووصلت للامير عبدالرحمن مع صاحبتها (علم) المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب (دارالمدنيات) وكان عبدالرحمن يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن ويضاف اليهن جارية اسمها (قلم) وهي اندلسية الاصل من سبى (البشكينس) حملت صـــبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبي (ص) وتعلمت هناك الغناء وحذقته وكانت أديبة تنافس المغنية (قمر) جارية (ابراهيم بن حجاج اللخمي) صاحب اشبيليـة وقمر على جانب عظيم من الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان مع فهم بارع وجمال رائع جلبت من بغداد ولها أبيات في مولاها تمدحه :

ما في المغارب من كريم يرتجى الا حليف الجود ابراهيـــم
اني حللت لـــديه منزل نعمة كل المنازل ما عـــداه ذميم

ولها أبيات تتشوق بها الى بغداد :

آه على بغـــدادها وعراقهـــا وظبائها والسحر في أحداقهـــا
ومجالس عند الفرات بأوجـــه تبدو أهلتهـــا على أطواقهـــا
متبخترات في النعيـــم كأنما خلقالهوى العذري منأخلاقها
نفسي الفـداء لها لأي محاسن فيالدهر تشرق منسنا اشراقها

ومن بين تلك الجواري أشرق فن (العجفاء) في سماء الاندلس فكانت

بديعة بغنائها ورقة صوتها (قال) الأرقمي قال لي أبو السائب وكان من أهل اليمنيك : هل لك في أحسن الناس غناءً قلت : وأين ذلك • فجئنا الى دار (مسلم بن يحيى) مولى بني زهرة فأذن فدخلنا بيتا عرضه اثنى عشر ذراعا في مثلها وطوله في السماء ستة عشر ذراعا وفي البيت مقعدان قد ذهب عنهما اللحمة وبقي السدي وقد حشيًا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم طلعت علينا جارية عجفاء كلفاء عليها هروي أصفر غسيل فقلت لابي السائب بأبي أنت ما هذه • فقال : اسكت • وتناولت الجارية العود وغنت :

بيـــد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهـــم
فاستبقني اني كلفت بكـــم ثم افعلي ما شئت عن علـــم
قد كان صـــرم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصـــرم

قال فتحسنت في عيني وبدا ما اذهب الكلف عنها وبعد ان علمت انها هي العجفاء المغنية بقينا نتردد اليها حتى صارت عند الامير عبدالرحمن • (ولما) أخذ الغناء مكانه في الاندلس لم يبق مختصرا عند عامة الناس بل تعدى الى خواصهم وربما وجد عند اولاد الخلفاء وبناتهم ولم يشـتهر منهم الا (ولادة بنت المستكفي) ولم تمارس هذا الفن الا للذتها الخاصـة فهي في المغرب (كعلية بنت المهدي) في المشرق الا ان ولادة تزيدها بمزية الحسن الفايق فكتبت على الطراز الأيمن :

أنا والله أصـــلح للمعالى وأمشي مشيتي وأتيه تيهـــا

وكتبت على الطراز الايسر :

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلـــة من يشتهيها

وهي مع ذلك مشهورة بالعفاف ضلت طول حياتها بكـــراً لم تتزوج وعمَّرت طويلا وقال (ابن بشكول) كانت ولادة في نهـــاية من الادب والظرف وكان مجلسها في قرطبة منتدى الاحرار وفناؤها ملعبا لجياد النثر والنظم يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهافت أفراد الشعراء والكتاب الى حلاوة عشرتها تساجل الادباء حسنة المحاضرة طيبة الذاكرة وعلى سهولة حجابها وكثرة ما انتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بفن الغناء ، والغناء

يومئذ ضارباً أطنابه في سماء الأندلس لا يستغني عنه الكبير والصغير ، والصعلوك والامير و(ولادة) من الذين هاموا به وتفننوا فيه مما سبب خلع عذار (بن زيدون) فيها وقد أنشد بها القصائد والمقطعات ومن قوله فيها :

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطا اذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسنا ... حفظ الله زماناً أطلعك
أن يطل بعدك ليلي فلكم ... بت أشكو قصر الليل معك

وكان لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة ان ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه :

لو كنت تنصف فيالهوى مابيننا ... لم تهو جارتي ولم تتخير
وتركت غصناً مثمراً بجماله ... وجنحت للغصن الذي لم يثمر
ولقد علمت بأنني بدر السما ... لكن ولعت لشقوتي بالمشتري

وهكذا بقيت ولادة تتمتع بسلطان جمالها القاهر وحريتها المطلقة طائرة في سماء الفن تواقة الى الغناء مناصرة لنظام الموسيقى الجديد ذلكالنظام الذي وضعه (زرياب) في الاندلس والذى اتبع فيه نظام (البزنيطي) القديم وهو نفس نظام الموسيقى المتبع في العراق وقد بدأت نغماته تزود حتى بلغت أربعا وعشرين نغمة وأصبحت هي المتفق عليها وهذه الانغام هي السبب في اختراع (الموشحات) الاندلسية التي سنبحث عنها انشاء الله ◦ ولما انتشر الغناء في الاندلس وتوفرت فيه أسباب الانس والطرب فصار أهلها لا يحرمون أنفسهم من الملاذ في أوقات راحتهم وكانوا يخرجون الى النزهة في البساتين التي كانت منعزلة عن أماكنهم ومعهم المغنون والضاربون على الآلات الوترية فيقضون يومهم بين كل ما لذ وطاب مع صفوة أحباب وجمال أتراب ويمكننا أن نتخيل وصف هذه المجتمعات من قول (المقري) قال كتب (أبو عامر بن بق) الى (هند) جارية (ابن مسلمة الشاطبي) وكانت أديبة شاعرة ولها صوت جميل ومعرفة تامة في الموسيقى :

يا هند هل لك في زيارة فتية ... نبذو المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا ... نغمات عودك في (الثقيل الأول)

فكتبت اليه في ظهر رقعته :

يا سيداً حاز العلى عن سادة ... شم الانوف من الطراز الأول
حسبي من الاسراع نحوك أنني ... كنت الجواب مع الرسول المقبل

وقد كان لمجالس الغناء في دور الاندلس أثر كبير في الادب بسبب ما كان يقوم في النفوس من التبسط بعوامل السرور والتوسع في عالم الخيال فتجيش بالشعر وتحرك العواطف ومن ذلك نبغن كثيرات من النساء في عالم الادب وبرزن في الشعر والنثر بحيث أصبحن في مقدمة أهله لطفاً وظرفا وبديهة ومتانة فمنهن (أم العلاء الحجازية) وقد كانت أديبة في شعرها لطيفة في منادمتها ومن شعرها :

كلما يصدر منكم حسن ... وبعلياكم تحلّى الزمن
تعطف العين على منظركم ... وبذكراكم تلذ الأعين
من يعش دونكم في عمره ... فهو في نيل الأماني يغبن

ومنهن (ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح) ملك المرية ويقال انها كانت تحت فتى من عامة الناس ومن قولها فيه :

يا معشر الناس ألا فاعجبوا ... مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل بدر الدجى ... من افقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه ... فارقني تابعه قلبي

ومنهن (أمة العزيز) ومن شعرها :

لحاظكم تجرحنا بالحشا ... ولحظنا يجرحكم بالخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجب جرح الصدود

ومنهن (حفصة الركونية) وقد كتبت الى (عبدالمؤمن بن علي) سلطان الموحدين وكان من عادتهم أن يبدؤا كتابتهم بقولهم (الحمد لله وحده) :

يا سيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده
أمنن عليّ بطرس ... يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه ... الحمد لله وحده

ومن قولها في نفسها :

عيون مها الصريم فداء عيني ... وأجياد الظباء فداء جيدي

أزيــن بالعقود وان نحري　　لأزين للعقود من العقــود
ولا أشكو من الأحباب ثقلا　　وتشكو قامتي ثقل النهــود

وقد بلغت هذه الابيات الى (المقتفي) أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا مايكون أجمل منها فقال اسألوا عن عفافها قالوا هي أعف الناس فارسل اليها مالا جزيلا لتستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها ومنهن (العبادية) جارية (المعتضد) وكان يحبها وقد سهر ليلة بجوارها وهي نائمة فقال :

تنــام ومدنفهــا يسهر　　وتصبر عنــه ولا يصبر

فأجابته بديهة بقولها :

لئن دام هذا وهذا لــه　　سيهلك وجداً ولا يشعر

ومنهن (حمدونة) ويلقبونها بخنساء المغرب ومن شعرها :

ولما أبى الواشــون الا فراقنا　　وما لهم عندي وعنـدك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غــارة　　وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهــم من مقلتيك وأدمعي　　ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

ومنهن (عائشة بنت أحمد القرطبية) وكانت من عجائب زمانها وكانت تحسن الخط وتكتب المصاحف وقد دخلت يوما على (المظفـر بن المنصور بن أبي عامر) وبين يديه ولده فارتجلت :

أراك الله فيه ما تريــــد　　ولا برحت معاليـه تزيد
فقد دلت مخايله على ما　　تؤمله وطالعــــه السعيد
تشوقت الجياد له وهز ال　　حسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته　　الى العليا ضراغمة اسود
فسوف تراه بدراً في سماء　　من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل　　زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأي كشيخ　　وشيخكمو لدى حرب وليد

ومنهن (مريم بنت يعقوب الانصاري) ومن شعرها وقد كبرت :

وما يرتجى من بنت سبعين حجــة　　وســبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا　　وتمشي بها مشي الأسير المكبل

ومنهن (نزهون الغرناطية) وكانت تقرأ (على أبي بكر المخـــزومي الاعمى) فدخل عليها (ابو بكر الكندي) فقال يخاطب المخزومي مستجيزاً

لو كنت تبصـــر من تجالســه

فافحم وأطال الفكر وماوجد شيئاً يجيز به فقالت نزهون :

لغـــدوت اخرس من خلالـــه

البـــدر يطلع من ازرّتـــه والغصن يمرح من غلائلـــه

وكانت مجالس الغناء لاتخلو من الشراب وقد أكثر الشعراء من شعرهم في الخمرة ومن قول أحد القادمين من العرب الى غرناطة :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضـهم وشرب الحميا وهو شيء محرم
فرارا الى نار الجحيم فانهــــا أخف علينا من (شلير) وأرحم

و(شلير) جبل من أعمال (البيرة) لايفارقه الثلج شتاءً ولا صيفا ومن قول (عامر بن هاشم القرطبي) :

يا ليت لي عمر نوح في اقامتها وأن مالي فيـــــه كنز قارون
كلاكما كنت أفنيـــه على نشوا تالراح نهباً ووصل الحور والعين
وانما أسفي أني أهيـــم بهـا وأن حظي فيهــا حظ مغبون

ومن أبدع ما قيل في الخمرة وساقيها قول (المعتمد بن عبّاد) :

لله ســـــاق مهفف غنج قام ليسقي فجـــاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته من جامد ذائب الـــذهب

ولهذا ترى الاندلسيين بعد دولة الامويين استسلموا للشهوات وشاعت فيهم مجالس الخمر والسماع ورقص الراقصات على نغمات الاوتار وفي ذلك قال (بن حمديس) يصف مجالس الرقص على نغمات الموسيقي :

وعدنا الى هالـــــة أطلعت على قضب البــان أقمارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم تثــور فيقتـــل ثوارها
وقد سكنت حركات الأســى قيـــان تحرك أوتارهـــا
فهذي تعـــانق لي عودها وتلك تقبّـــل مزمارها
وراقصة لقّطت رجلهــــا حساب يد نقـــرت طارها

وأحسن ما قيل في الشراب قول (المعتضد) :

شربنا وجفن الليل يملىء جفنه بماء صباح والنسيم رقيـــق
معتقـــــة كالتبر أما بخــــارها فضخم وأما جسمها فدقيــق

الموشحات في الاندلس

لم يشع ضرب الموشح بجزيرة الاندلس الا بعد ان انتزعها (موسى بن نصير) من سيطرة (القوطيين) وتوغل المسلمون فيها وفشلت مساعي الفرنجة وصارت تحت سيطرتهم « قرطبة وطليطلة والجزيرة الخضراء وأمثـالها من الحصون القاهرة والمدن المنيعة وصفت الدولة بها للامويين وكثر الشعر وتهذبت مناحيه وفنونه ورقت ضروبه وأساليبه وأخذ الشعراء يتغنون بـــه وبأعاريضه واندفعوا الى زيادة أوزانه نظرا الى زيادة الالحان والانغام ولـــم يقفوا به عند حد الذي وقف عنده أسلافهم وهو ان يتقيدوا بخمسة عشر بحرا الموضوعة له فلا يحيدون عنها ولا يتخطونها بل جعلوه اسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا يكثرون فيها من أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتـا واحدا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتاليات فيما بعد الى القطعـة واكثر ما تنتهي عندهم الى السبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان حسب الاغراض والمذاهب وسموه (موشحاً) وليس لهذا التطور العظيم في الشعر من سبب سوى الغناء حيث الغناء في الموشح أمر مألوف • وان نظرة واحدة الى نسق الموشحات وطريقة انشائها تقنعنا انها لم تخلق الا ليغنى بها ولهذا أخذ الشعراء يتغزلون ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاروا فيه واستطرفه الناس لسهولة تناوله وقرب طريقه أما سبب تسميته بالموشح فكأنهم جعلوا تسميطه وتنميقه بمنزلة الوشاح ويقال (ظبيّة موشحة) اذا كانت بجنبيهـا طرتان ولعل من سماه موشحاً نظر الى ذلك لما جعل قافية كل سمط من الدور غير قافية سمط الثاني فصار تغاير قوافي السمطين بمنزلة الخطين للـــــدور فسماه موشحاً ، والتوشيح عند علماء (البديع) أن يكون أول الكلام دالا على آخره ، أما المخترع له فهو (مقدم ابن معافر الفريري) شاعر الامير (عبدالله ابن محمد المرواني) وأخذ عنه (أحمد بن عبد ربه) صاحب كتاب (العقد الفريد) وفي ذلك الوقت كانت الموشحات في بادىء أمرها غير ناضجة فظلت

بين غث وسمين الى ان انقرضت دولة بني مروان بالاندلس وانتقل الملك الى ملوك الطوائف فكان أول من برع في فن الموشح وأقام عماده (عبادة القزاز) شاعر (المعتصم بن صمادح) صاحب المرية واشتهر به اشتهارا عظيما حتى كأنه لم يسمع بالاندلس الا منه وما أخذ الا عنه فلقد أحدث به التصغير واعتمد على موضع الوقف في المركز ، وقد ذكر الاعلم (البطليوسي) انه سمع (ابا بكر بن زهر) يقول كل الوشاحين عيال على عبادة ومن أحسن موشحاته هو:

بدر تم شمس ضحا غصن نقا مسك شم
ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما أتم
لاجرم من لمحا قد عشقا قد جرم

وجاء بعده (ابن ارفع) شاعر المأمون بن ذنون ملك طليطلة وقد أحسن في موشحه الذي مطلعه :

العود قد ترنم ، بأبدع التلحين ، وسقت المذانب ، رياض البساتين

وله بهذا الموشح تخلص عجيب في بابه وهو :

تخطر ولا تسلم ، عساك المأمون ، موَدع الكتائب ، يحيى بن ذي النون

ونبغ (الاعمى التنطيلي) وأحسن موشحاته موشح مطلعه :

ضاحك عن جمان ، سافر عن در ، ضاق عنه الزمان ، وحواه صدري

وقد عارضه (أبو عبدالله العربي العقيلي) صاحب رسالة (الروض العاطر) التي كتبت عن لسان (أبي عبدالله محمد) الذي انقرضت بخلعه مملكة الاندلس بموشحين هما آخر الموشحات الاندلسية ، ونبغ (أبو بكر الابيض) بموشح مطلعه :

ما لذ لي شرب راح ، على رياض الأقاح ، لولا هضيم الوشاح ،
اذا أتى في الصباح

ونبغ الحكيم (أبو بكر ابن الصايغ) المعروف بأبن باجه وحضر يوما مجلس (مخدومه بن تيفلويت) صاحب سرقسطه فالقى على على قيانه موشحا وهو :

جرر الذيل ايما جر وصل الشكر منك بالشكر

وطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله :

عقد الله رايـة النصـــر للأمير العـــــلا أبي بكر

وما طرق ذلك التلحين سمع (ابن تيفلويت) حتى صاح (واطرباه) وشق ثيابه وقال ما أحسن مابدأت به وختمتوحلف الايمان المغلظة لايمشي ابن باجه الى داره الا على الذهب فخاف ابن باجه ســوء العاقبة واحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه ، ونبغ (محمد بن ابي الفضل بن اشرف) وابن بهردوس وأبو اسحق المؤمني والمهر ابن الفرس بغرناطة وابنحزمون بمرسية واشتهر (أبو بكر ابن زهر) بموشحاته وأحسنها :

ما للموله من ســـكره لا يفيق   يا لـــه سكرانا
من غير خمر للكئيب المشـــوق   يندب الأوطـانا

وهذا من أبدع المطالع عند أهل المغرب أما موشحه الذي مطلعه :

أيهـــا الساقي اليـــك المشتكي   قد دعـــوناك وان لم تســـمع

فقد نسب خطأ الى (عبدالله ابن المعتز) وثبت في ديوان شعره المطبوع في مطبعة (الاقبال) في مدينة بيروت ولم أدر كيف فات الشيخ (محيالدين الخياط) هذا الخطأ المشين وهو الواقف علىطبع ديوان ابن المعتز ويعلم الله انه ما خط حرفاً واحداً وفي وقت الذي نظمه ابن زهر عارضه (يحيىبنبقي) بقـــوله :

عبث الشـــوق بقلبي فاشتكى   ألـــم الوجـد فلبت أدمعـــي

(ولابن زيدون) موشح بغاية من الرقة والاحساس ينم عن عواطفه الفياضة وشوقه الى ذكريات قرطبة ومطلعه :

سقى الله أطلال الأحبة بالحمى   وحاك عليها ثوب وشـــي منمنما
وأطلع فيهـا للأزاهير انجمـــاً   فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى

اذ العيش غض والزمان غـــلام

وبرع في فن الموشح (ابراهيم بن سهل) شاعر اشبيلية وسبته وله عدة موشحات ومنها ما مطلعه :

هلدرىظبي الحمىإن قد حمى   قلب صـّب حلـــه عن مكنس
فهو في حـــر وخفق مثلمـــا   لعبت ريـــح الصـــبا بالقبس

وعارضه (لسانالدين الخطيب) بموشحه الذي غنت به الركبـــان

وستغنى به جيلا بعد جيل وهو أول من عارضه فغير في وجهه ثم تلاه جماعة من الشعراء جاروه فيه وقد أورده (ابن خلدون) ناقص سمطين ومطلعه :

جادك الغيث اذا الغيث همــا يا زمــان الوصــل بالاندلس
لم يكن وصــلك الا حلمــاً في الكرى او خلسة المختلس

هذه هي أشهر الموشحات في المغرب أما الموشحات في المشرق فانها لم تشع كما شاعت في المغرب بل نبغ بها أناس معدودون تلقوه من المغــاربة وكان انتقاله الى المشرق وشياعه فيه في القرن السادس للهجرة ، وأول من أجاد فيه (ابن سناءالملك) المصري وأحسن موشح له هو :

كللي • يا سحب تيجان الربى • واجعلي • سوارك منعطف الجدول
يا سما •فيك وفي الارض نجوم•وما • كلما أغربت نجماً أشرقت أنجما
وهي ما تهطل الا بالطــلا والــدمى

ومن نوابغ وشاحي المشرق (غيلان الغول) المصري اشتهر بموشحه الذي مطلعه :

شــربنا ســلافاً بلا آنيــه فلا تحسبوا عينهــا آنيــه

وعارضه (صفيالدين الحلي) والتزم في توشيحه التجنيس المقلوب وأولــه :

لنا نشوة في الدجـى ناشــيه بادراكهــا أصلحت شــانيه

وعندي أن الصفي الحلي أحسن من برع في الموشح بالمشرق بعصره فلقد كان مقتدرا على تنسيق الالفاظ أكثر من غــيره ، وممن برع في فن الموشح بالمشرق شهابالدين (العزازي) وأول موشح اشتهر به :

يا ليلــة الوصل وكأس العقار علمتماني كيف خلع العذاردون استتار

أما قرننا هذا الرابع عشر فقد ضاهى القرون الماضية فقد تفنن الشعراء في نظم الموشح حتى فات حد الغزل والمديح والوصف وسلك أربابه فيــه مسلك التصوف ومسالك أخرى فقد نظم الشاعر (معروف الرصافي) موشح ضمنّه علم تكوين الارض والنجوم على رأي الفلاسفة طبع في ديوان شعره ومطلعه :

خبر في الارض أوحته السما لاولي العلم برســل الفــكر

وكذلك نظم الشيخ رضا الشبيبي موشح درج في (المقتطف) ومطلعه:

النجوم الزهر كانت سـدماً حائـرات في الزمـان الاول

وللسيد محمدسعيد الحبوبي النجفي موشحات كثيرة في الغزل والنسيب ووصف الطبيعة ثبتت في ديوان شعره وكان رحمه الله كثيرا ما تنزع روحه الى التصوف وقوله في موشح له دليل واضح على ذلك وهو :

غنني باسم الـذي لذ أسـمه حربه حربي وسلمي سـلمه
جسمه روحي وروحي جسمه « أنا من أهوى ومن أهوى أنا »

وأحسن موشح له في الغزل وهو الاول من موشحاته الذي مطلعه :

هاج برق السعد قمريّ الهنـا فتغنى هزجـاً في هـزج
وسرت باليمن من روض المنى نسـمة هبّت بطيـب الارج

ولنعد الى الموشحات في الاندلس وما آل اليها الامر فانها بقيت يغنى بها حتى سقوط الخلافة في قرطبة وقيام ملوك الطوائف ، ورغمـا على الانقلاب الذي طرأ هناك فان الغناء لم يزل يسمو بطبيعته الفنية الى أن استـولت جيوش المسيحية على الاندلس فحرم على أهلها الغناء والموسـيقي تلك الموسيقى التي سحرت القلوب واستفزت النفوس وأخذت حينذاك في التدهور والضعف فضاع الكثير منها بعد أن تناولته الايدي ولاكتها الالسن ومرت عليها أدوار تتابعت بها الحوادث السياسية تتابعا كانت بضمنه الامة العـربية موضوع تناهش وتنازع فلا تستقر بمكان الا وانجلت عنه تاركة ورائها كل ما انتجته فنونها من تشييد المباني وبث العلوم والآداب والموسيقى وسـائر الصناعات المحفوفة بالأبهة والزينة والتي كانت في كل مكان ظـاهرة من ظواهرها ، وعلى أثر ذلك التنازع وتوسعه طلع الهلال العثماني شاهرا خنجره مشرقا في سماء البلاد العربية محتفلا بفتوحاته في (ما بين النهرين وسورية وفلسطين وتونس ومراكش والجزائر) حتى بدأ يسـير في بلاد فارس وأرمينيا والهند والصين فأصبح ذلك الجندى الطوراني بعد خشونة طبـاعه رقيق العاطفة لين العريكة يرتقي بسرعة فائقة فينال حياة جديدة وحضارة سامية ويستولي بجده واجتهاده على ما بقى من فن الموسيقى العربية ويحتفظ بذلك الاثر الثمين والمجد الخالد .

ومن أحسن النماذج التي اخترناها من الموشحات لكتابنا هذا هو موشح زهر وغيره من الموشحات لتتم الفائدة •

ايها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته   وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته   جذب الكأس اليه واتكى
وسقاني أربعا في أربع
ما لعيني عشيت بالنظر   أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبري   عشيت عيناي من طول البكا
وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى   مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الأحشاء موهون القوى   كلما فكر في البين بكى
ويحه يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد   يا لقومي عذلوا وأجتهدوا
وانكروا شكواي مما أجد   مثل حالي حقه أن يشتكى
كمد اليأس وذل الطمع
كبد حرّى ودمع يكف   يذرف الدمع ولا ينذرف
أيها المعرض عما أصف   قد نما حبي بقلبي وزكا
لاتقل في الحب اني مدعي
(موشح) يحيى بن بقى :
غلب الشوق بقلبي فأشتكى   ألم الوجد فلبّت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف   وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه وقلبي يكف   أيها الشادن من علمكا
بسهام اللحظ قتل السبع
بدر تم تحت ليل أغطش   طالع في غصن بان منتش
أهيف القد بخد أرقش   ساحر الطرف وكم ذا فتكا
بقلوب الأسد بين الأضلع
أي ريم رمته فاجتنبا   وانثنى يهتز من سكر الصبا

كقضيب هـــزه ريح الصـــبا قلت هب لي يا حبيبي وصـــلكا
وأطرّح أسباب هجـري ودع
قال خـدي زهـرة مذفـــوّفا جردت عيناي سيفا مرهفـــا
حـذراً منـــه بان لا يقطفـــا أن مـن رام جنـــاه هلـــكا
فأزل عنـك غـلال الطمع
ذاب قلبي في هوى ظبي غرير وجهه في الليل صبح مســتنير
وفؤادي بين كفيـــه أســـير لم أجد للصبر منـــه مسلكا
فانتصاري بانسكاب الأدمع

(موشح) ابن زيدون :

سقى الله أطلال الأحبة بالحمى وحاك عليها ثوب وشـــي منمنما
وأطلع فيهـــا للازاهير أنجمـاً فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
اذ العيش غض والزمان غـلام
أهيم بجبـــار يعز وأخضـــع شذا المسك من أردانه يتضوع
اذا جئت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا في شيء من الوصل أطمع
ولا أن يزور المقلتـين منـــام
قضيب من الريحان أثمر بالبدر لواحظ عينيه ملئن من الســحر
وديباج خديه حلى رونق الخمر والفاظه في النطق كالؤلؤ النثر
وريقته في الارتشاف مدام
سقى جنبات القصر صوب الغمائم وغنى على الاغصان ورق الحمائم
بقرطبـــة الغراء دار الأكـارم بلاد بهـــا شق الشـباب تمائمي
وأنجبني قوم هناك كرام
فكم لي فيها من مساء وأصـباح بكل غزال مشرق الوجه وضاح
يقدّم أفواه الكؤوس بتفـــاح اذا طلعت في راحة أنجم الراح
فانا لأعظـــام المـدام قيام
ويوم لدى (النبتي) في شاطيء النهر تدار علينا الراح في فتية زهـر
وليس لنا فرش سوى يانع الزهر يدور بها عذب اللما أهيف الخصر
بفيه من الثغر الشنيب نظام

ويوم بجو (في الرصافة) مبهج ‏ مررنا بروض الاقحوان المدبج
وقابلنــا فيه نسيم البنفســج ‏ ولاح لنا ورد كخـد مضـرج

تراه أمـام الورد وهو امام

وأكرم بايام (العقاب) السوالف ‏ ولهــو أثرناه بتلك المعـاطف
بسود أثيث الشعر بيض السوالف ‏ اذا رفلوا في وشي تلك المطارف

فليس على خلع العذار ملام

وكم مشهد عند (العقيق) وجسره ‏ قعدنا على حمر النبات وصـفره
وظبي يسقّنا سـلافة خمـره ‏ حكى جسدي في السقم رقة خصره

لواحظـه عند الرنو سهام

فقل لزمان قد تولى نعيمــه ‏ ورثت على مر الليالي رســومه
فكم رق فيه بالعشى نسـيمه ‏ ولاحت لساري الليل فيه نجومه

«عليك من الصب المشوق سلام»

(موشح ابن سهل) :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى ‏ قلب صــب حله عـن مكنس
فهو في حرّ وخفق مثــل ما ‏ لعبت ريــح الصــبا بالقبس

يا بدوراً أشرقت يوم النــوى ‏ غرراً تسلك في نهـج الغــرر
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى ‏ منكم الحسن ومن عيني النظر
اجتني اللذات مكلوم الجـوى ‏ والتداني من حبيبي بالفــكر
كلما أشكوه وجــدي بسما ‏ كالربى بالعــارض المنبجس
اذ يقيم القطر فيهـا مأتمـاً ‏ وهي من بهجتهــا في عرس

غـالب لي غــالب بالتـؤده ‏ بابي افــديه من جاف رقيــق
ما علمنا مثــل ثغر نضّــده ‏ اقحواناً عصـرت منــه رحيق
أخذت عيناه منــه العـربدة ‏ وفؤادي ســكره ما أن يفيـق
فاحم اللمــة معســول اللمى ‏ ساحر الغنج شـــهي اللعس
وجهه يتلو الضـحى مبتســماً ‏ وهــو من أعراضــه في عبس

أيها السائل عن جرمي لديه ... لي جزاء الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه ... مشرقاً للشمس فيه مغرب
ذهب الدمع باشواقي اليه ... وله خد بلحظي مذهب
ينبت الورد بغرس كلما ... لاحظته مقلتي في الخلس
ليت شعري أي شيء حرما ... ذلك الورد على المغترس

كلما أشكو اليه حرقي ... غادرتني مقلتاه دنفا
تركت الحاظه من رمقي ... أثر النمل على صم الصفا
وأنا أشكره فيما بقي ... لست ألحاه على ما اتلفا
فهو عندي عادل ان ظلما ... وعذولي نطقه كالخرس
ليس لي في الامر حكم بعدما ... حل من نفسي محل النفس

أضرم الدمع باحشائي ضرام ... تتلظى كل حين ما تشا
هي في خديه برد وسلام ... وهي ضر وحريق في الحشا
أتقي منه على حكم الغرام ... أسداً ورداً وأهواه رشا
قلت لما أن تبدى معلماً ... وهو من الحاظه في حرس
أيها الآخذ قلبي مغنما ... أجعل الوصل مكان الخمس

(موشح ابن الخطيب) :

جادك الغيث اذا لغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك اِلا حلماً ... في الكرى أو خلسة المختلس

اِذ يقود الدهر أسباب المنى ... تنقل الخطو على ما ترسم
زمراً بين فرادى وثنى ... مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا ... فسنا الأزهار فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما ... كيف يروي مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوباً معلماً ... يزدهي منه بابهى ملبس

في ليال كتمت سر الهوى ... بالدجى لولا شموس القدر

مال نجم الكأس فيها وهــوى مستقيم السير سعد الأســر
وطر ما فيه من عيب سـوى أنــه مر كلمــح البصــر
حين لذ النوم منا أو كمــا هجم الصبح نجـوم الحرس
غارت الشهب بنــا أو ربمــا أثرت فينــا عيــون النرجس

أي شي لامرىء قد خلصــا فيكون الروض قد كنن فيــه
تنهب الأزهـار فيه الفرصــا أمنت من مكــره ما تتقيــه
فاذا المـــاء تنـاجى والحصــى وخـلا كل خليــل باخيــه
تبصر الورد غيــوراً بعــدما يكتسي من غيضه ما يكتســي
وترى الآس لبيبــا فهمــا يسرق الـدمع بادنى فرس

يا أهيل الحي من وادي الغضا وبقلبي مســكن أنتــم بــه
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا لا أبالي شرقــه من غــربه
فاعيدوا عهد أنس قد مضــى تنقـذوا عائدكــم من كــربه
فاتقو الله وأحيــوا مغــرماً يتلاشــى نفســـاً في نفس
حبس القلب عليــكم كــرماً أفترضــون خــراب الحبس

وبقلبي فيــكمو مقتـــرب باحاديث المنى وهــو بعيــد
قمــر أطلع منــــه المغــرب شقوة المغري بــه وهو سـعيد
قد تســاوى محسن أو مذنب في هواه بين وعــد ووعيــد
ساحر المقلة معســـول للمى جال في النفس مجــال النفس
سدد السهم وسـمى ورمــى بفـــؤادي نهبـــة المفترس

إن يكن جار وخــاب الأمل وفؤاد الصــب بالشـوق يذوب
فهــو للنفس حبيـــب أول ليس في الحب لمحبوب ذنوب
أمــره محتمـــل ممتثــل في ضلوع قد براهــا وقلوب
حكم اللحظ بهــا فاحتــكما لم يراقب في ضعاف الأنفس
ينصف المظلـوم ممن ظلمــا ويجازي البر منهــا والمســي

ما لقلبي كلمـــا هبت صـــبا عاده عيـد من الشوق جـــديد
كان في اللـــوح بـــه مكتتباً قولـه « إن عذابي لشـــديد »
جلب الهـــم لـه والوصـــبا فهو للاشجان في جهـد جهيـد
لاعج في أضلعي قد أضـرما فهـــي نار في هشـــيم اليبس
لـم تدع في مهجتي اِلا الذمـا كبقـــاء الصـــبح بعد الغلس

(موشح) ابن سناء الملك :

كللي ياسحب تيجان الربى • واجعلي ســـوارك منعطف الجـــدول

ياسماً • فيك وفي الارض نجوم وما كلما • أغربت نجماً أشرقت أنجما
وهي ما • تهطل اِلا بالطلا والدمى واهطلي • على كروم الكرم كي تمتلي
وانقلي • للدن طعم الشهد والفـوفلي

تتقد كالكوكب الدري للمرتصـد يعتقد • فيها المجوسي بما يعتقـد
فاتئد ، ياساقي الراح بها واعتمـد وامل لي • حتى تراني منك في معزل
قلل • فالراح صرفاً ان يزد يقتـــل

من ظلم • في دولة الحسن اذا ماحكم فالسدم • يجول في باطنـه والندم
والقلم • يكتب ما سطر فوق القمم من ولي • في دولة الحسن ولم يعدل
يعزل • اِلا لحاظ الرشأ الأكحـــل

لااريم عن شرب صهباء وعن عشق ريم فالنعيم • عيش جـديد ومدام قديم
لا أهيم • اِلا بهـذين فقم يانديم وانهل • من اكؤس صـوّرن في صندل
أفضل • من نكهـة العنبر والمنـــدل

هل يعود • عيش قطعناه بوادي زرود والجنود • في حضرتي تضرب جنكاً وعود
والحسود ، في معزل منا غدا لايسود عـذلي • لاتعذلوني فالهوى لذ لي
ما الخلي • في الحب مثل العاشق المبتلي

أسفرت • ليلتنا بالأنس قد أقمرت بشرت • بملتقى المحبوب واستبشرت
شمرت • فقلت للظلماء مذ قصرت طوّلي • يا ليلة الوصل ولا تبخلي
واسبلي • سترك للمحبوب في منزلي

(موشح) صفي الدين الحلي :

لنا نشوة في الدجـــى ناشــيه ... بادراكهـــا اصلحت شـــانيه
تـــرى ظلهـــا في ... الضـحى والمقيـــل
أشـــد وطـــاءً وأقـ ... ـــوم قيـــل
والقت عـلى الضـد ... قـــولا ثقيـــل
فكانت لأنفســنا هـــاديه ... ولكنهـــا للعدى داهيـــه
تبـــدت لنـــا ... فمللنـــا الحبـــا
وقلنـــا لهـــا ... مرحبـــاً مرحبـــا
بشـــمس بـــدت ... قبل رفـــع الخـــبا
وشـــاهدت أنوارهـــا باديه ... فصـــبرت تذكارهـــا باديـه
رآهـــا انـــاس ... بعـــين القلـــوب
فـــذان الوجـــود ... لهـــم بالوجـــوب
وســـحت عليهـــم ... غيـــوث الغيـــوب
عليهـــا ســـحائبها هـــاميه ... ولم يدر غـيرهم ما هيـــه
فهمنـــا بهـــا رمـــز ... ســـر الوجـــود
لفـــوز العقـــول ... بحـــل العقـــود
فقمـــت لهـــا ... بوفـــاء العهـــود
فكانت لشـــهوتنا نافيـــه ... على أنهـــا لـــذة فانيـــه
رأينـــا الدعـــاء ... لديهـــا يجـــاب
وكم دون أبصـــا ... رها من حجـــاب
وأشـــهدنا الغيب ... شـــيئاً عجـــاب
فعشـــنا بها عيشة راضـــيه ... وأسد حقائقنـــا ضـــاريه

(موشح) شهاب الدين العزازي :

يا ليلة الوصل وكأس العقار ، دون استتار ، علمتماني ، كيف خلع العذار

اغتنم اللذات قبـــل الذهـــاب ... وجر أذيال الصبا والشـــباب
واشرب فقد طابت كؤوس الشـراب
على خدود تنبت الجلنار ، ذات احمرار ، طرزها الحسن بآس العذار

الراح لاشك حيـــاة النفوس فخل منهــا عاطلات الكؤوس
وافتضــها بين النــدامى عــروس
تجلى على خطابها في أزار ، من النضــار ، حبابها قام مقــام النثــار
أما ترى وجــه الندى قد بدا وطــائر الأسحار قــد غردا
والروض قـد وشاه قطر النـــدى
فكمل اللهو بكأس تدار ، على افترار ، مباسم النـوار غب القطــار
واجن من الوصــل ثمار المنى وواصــل الكأس بمـــا أمكنا
مــع طيب الريقــة حلــو الجنى
ذو مقلة أفتك من ذي‌الفقار ، ذات احورار ، منصورة الاجفان‌بالانكسار
زار وقــد حل عقود الجفـــا يختال في ثوب الرضـــا والوفا
فقلت والعش بــه قــد صــــفا
يا ليلة أنعم فيها وزار ، شمس النهار ، حييت من دون الليالي القصار

(موشح) معروف الرصافي :
خبر في الأرض أوحته السـما لأولي العلم برســل الفــكر
ان هــذه الارض كانت أولا ما ترى بحــراً بها أو جبــلا
أو سهولا أو ربى ً أو ســبلا أو رياضاً زهرهــا الغض نمـا
من ســـحاب جادهـــا بالمطـــر
إنمــا كانت كتلك الأخــوات من نجـــوم سائرات دائرات
حول شمس هي احدى النيرات كن من قبـل عليهـــا سـدما
كتــلة واحــــــدة في النظـــر
ثم بعد انفصلت من ذا الســديم قطــع منهــا صغير وجسيم
ضمن أفلاك بهـــا الدور تديم فاستقر الكل فيهــا أنجمـــا
حــول غير الشمس لم تســـتدر
أولا (نبتون) منــه انفصــلا ثم (اورانس) يهدي زحــلا
ثم للمشـــترى مــريخ تلا ثم هذي الارض فالزهــرة ما
بعـــدها غير أخيهـــا الأشــــهر
وأخو الزهرة بالشمس اهتدى ولهـــا أقرب ســيار غــــدا

وهي سارت خلفه طول المدى فأمـــام الارض ذان انتظمـــا
خلفهـــا المـــريخ ثـم المشـــترى

أرضنا كانت لظـــى مشـــتعله مذمن الشمس غـدت منفصـله
لـــم تزل في دورهـــا منتقله كتلة فيهـــا اللهيب احتـــدما
وهـــي ترمي في الفضـــا بالشـــرر

كان فيح النـــار فيها مصـــعدا وهجـــاً في الجو عنهـــا مبعدا
حيث لا يمـــكن أن ينعقـــدا فوقهـــا منها بخـــار ديمـــا
هاطـــلات بالحيـــا المنهمـــر

بقيت حينـــا وهذا أمرهـــا وهـي بالاشعاع يخبو حـــرها
وانثنى يبرد من ذا ظهـــرها فاكتست قشراً يحاكي السـدما
واســـتمرت بطنهـــا في ســـعر

ثم قد صار على مـر الزمـــان قشرهـــا يغلظ آن بعـــد آن
بيـــد أن النار عند الهيجـــان قد أعادت قشـــرها منخـــرما
بصدوع مدهشـــات البصـــر

شخصت أطراف هاتيك الصدوع بجبـــال شمخت منها الفروع
ولها في العـين أشـــكال تروع تقذف الأفـــواه منهـــا حمما
صـــار منهن ركـــام الحجـــر

حصلت من قذف هاتيك المـواد حيث يجمدن جبـــال ووهـاد
وركاز وصـــخور وجمـــاد بعضـــها دق وبعض عظمـــا
وهو صلب الجسم صعب المكســـر

وهناك انعقدت فيهـــا الغيـوم من بخار كان في الجو يعـــوم
رده البرد ميـــاهاً في التخـوم فجرى السيل عليهـــا مفعما
كـــل غـــور فوقهـــا منحـــدر

عمها السيل فغطّى حـين سـال سطحها مجترفاً منهـــا الرمـال
فطما المـــاء ولـــكن الجبـــال شخصت في المـــاء لما ان طمـا
وعلت كالســـفن فوق الأبحـــر

غمـر المـــاء بهـــا ما غمـــرا ثم خلّى بعضـــها منحســـرا

مجدثاً في السطح منها جــزرا   أنزل المــاء بهــا ما حطمــا
من طفــال وحتــات المــدر
بسيول المـاء كم فيهــا ارتكم   من رمــال رسبت فيها أكــم
ولكم خـدت أخـاديد وكــم   قـد بنت في طبقــات علمــا
نضــدت فيــه صــفيح المــرمر
ثم صارت وهي من قبل موات   تصـلح الأقطار منهــا للحيـاة
فانبرت تنبت في البــدء النبات   ثم أبدت من قواهــا النســما
وارتقــت فيهــا لنوع البشـــر
فغدت إذ ذاك تزهو في الرياض   وبهــا الأرواح تنمو في الغياض
ثم ترميهــا أكف الانقراض   بانحطام حيث تمســي فحمــا
حجــرياً بمــرور الأعصـــر
في حطام الخلق في الارض هضاب   كونتهــن أكف الانقـــلاب
مــا تراب الارض والله تراب   إنمــا ذاك حطــام قــدما
في جســوم باليـــات الكســر
كم على الارض رفات باليـــات   من جسوم طحنتها الـدائرات
فاحتفر في الارض تلك الطبقات   تجـد الأنقاض فيـــه رممــا
هـــي للاحيـــــاء أو للشـــجر
كل وجه الارض للخلق قبــور   خفف الوطء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغــور   إنمــا أنت ستفنى مثلمــا
قــد فنوا والمــوت دام الظفــر
ظلت الارض على كر الدهــور   تبحـر الأجبل منهـا والبحـور
فوقهــا تجبل والمــاء يغــور   وعلى ذاك اســتدل الحــكما
بجبــال الســمك والمســتحجر
علماء الارض لــم تبرح ترى   حيــوان البـــرد لمــا دثرا
منــه في الأبحـــر أبقى أثــرا   وكذا في البـــر ألفى العلمــا
أثــراً من حيـــوان الأبحـــر
كل ما في الارض من قفر وبيد   وجبـــال شهقت فوق الصعيد

عن زهاء الربع منهـــا لا يزيد وســـوى ذلك منهـــا انكتمـــا
تحـــت ماء البحـــــر لم ينحســـــر
في صـــعيد الأبحـــر المنغمس مثلمـــا يوجـــــد فوق اليبس
من جبـــال ناتئـــات الأرؤس ووهـــاد تستزل القــــــدما
وربـــى مخلتفــــات القــــــدر
ما ترى اليوم من المـــاء الحميم والبراكين التي تحـــكى الجحيم
ومن الزلزال ذي الهول العظيم دل أن الارض فيهـــا قـــدما
ذات جــــرم ذائـــــب مســـتعر
كل ما كان بحال الســـــيلان فهو يغـــدو كرة في الـــدوران
وكذاك الارض في ماضي الزمان كرويا قـــد غـــــدا ملتئمـــا
جرمهـــــا من ســـــيلان العنصـــر
ثم إن الارض من قبل الجمود ولدت منهـــا وليست بالولـــود
قمـــــراً دار عليهـــا بسعود وجلا في الليـــل عنهـــا الظلما
فهـــــي بنت الشمس أم القمـــــر

(موشح) محمدسعيد الحبوبي :

هاج شرق السعد قمري الهنـــا فتغنـــى هزجـــاً في هـــزج
وسرت باليمن من روض المنـــا نســــــمة هبّت بطيب الارج

وحمـــام البشــــــر غنى وتلا ســـير اللهـــو بنادي الطـــــرب
قد رقى منبـــر بان واعتــــلى في مروج كمـــروج الـــذهب
فهـــو لا ينفك يملي للمـــلا أعنقت بالحـــزن عنقـــا مغربي
بغنـــى ناهيك فيــــه من غنـــى خمرة للهو بـــه لـــم تمـــزج
أترى (معبـــد) القى المـــدنا لحمــــام السقط والمنعـــرج

وترى منتظـــم الطل الســـقيط فيـــه بطن الواديين اتشـــــحا
والصبا قد حملت عرف الخليط ولذا كانت لقلبي أروحـــــــا
فصلت هـــــذي وذياك بخيط مطرف الزهر فيكســـو الابطحا
إذ حدى الرعد يســـوق المـــزنا مثقـــلات كالضعين المـــدلج

ودعا عند محـــاني المنحنى يا ربوع ابتشـــري وابتهـــج

فتري فيها الفضـــا لما ارتدى وله من لامع البرق شـــنوف
يرقص القطر زفوناً إذ غـــدى يضرب الرعـــد بجنبيه دفوف
وترى الآكـــام في قطر الندى زهرت في مده مثل الحروف
وترى فيهـــا الرواسي ســـفناً ســـبحت ماخـــرة في لجج
وترى الضـب يؤوم المكمنـــا ثانيـــاً برثنـــه لـــم يعـــج

عارض الوسمّي كـم قد روضا وجـه وهـــد وكثيب أوعس
وكأن المـــاء لمـــا غيّضـــا قيـل يا أرض أبلعي ثم اكتسي
وألبسي أخضر لـــكن فضفضا بالأقاحـــي فهـو أسنى ملبسي
ألحمت آســـاً وسدت سوسنا يـد أزهـــار الربيـــع الأبهج
ثم حاكتـــه تباهي اليمنـــا هكذا صـــنعاء أو لا تنســـج

دولة للزهـــر ترتاح النفـوس في تجليهـــا وفي أطوارهـــا
أرغمت كرتهـــا انف المجوس إذ تجلى المـــاء في ازهـــارها
كم ترى نجماً ولكن الشموس ليس تخفيـــه ســـنا أنوارها
وترى وشـــياً يروق الأعينـــا يرقص الاغصان رقص الغنـــج
والشقيق الغض يسبي الغصـنا اذ بدا في خـــده المضـــرج

والثريا مثـــل كف بضـــة للدجى أومت فلبـــاها الغسق
أو كعنقـود بدى من فضـــة قد جلاهـــا الافق فالافق طبق
وسـهيل خـــد خود غضـــة لثمت فاحمـــر منهـــا وخفق
أو كقلب في المـــلاح افتتنـــا فهـــو خفـــاق كثير الوهـــج
بات ينزو مســـتطيراً شجنـــا إذ أتـى الليـــل بظل سجسج

وتداني بعـــد صـــد ونفـــار واصـــلاً حبلي بـــه من قطعـا
زار ليلا فغـــدى الليل نهـــار قمر في أفق شـــعر طلعـــا
كلما خط عن الثغـــر الخمـــار شـــيم برق بالثنـــايا سطعا

فارتجينــا غيث انس هتنــا　　　يرتوي فيــه أوام المرتجـي
جابراً صــدعي فيه مــذ دنا　　　يصدع الليــل بوجه ابلــج

من أبـــاريق اذا ما عربدت　　　أشرقت اكؤســها بين الرياض
بابنــة الكرم علينــا قد بدت　　　ففضضنا ختمهــا لا عن تراض
زوجت من غير عقد فغـــدت　　　تنتج اللؤلؤ من غــير مخاض
ولدت أفـــراخ در بيننــا　　　حضــنتها كـف ذات الدملج
اِذ غـــدا يحسو رضاباً وجنـا　　　من ثنــايا شـعشعت بالبلــج

فغدى البــدر لـديه يستشيط　　　رام أن يفضــحه فافتضـــحا
أخجل البدر فذا الطل السقيط　　　عرق من وجهــه قد رشـحا
ولئن سـح على وجه البســيط　　　فبمنديل الدجــى قد مســحا
وهو لو أنصــفه كــان دنا　　　وتدنى في مكــان الــدملج
أم رأى القـــرط يود الأذنا　　　ورأى الساق بحجل حــرج

كلما ارتج وهــي رمل الكثيب　　　خجــلاً من موجـة من ردفه
واذا ماس انحنى الغصن الرطيب　　　طرباً في هــزة من عطفــه
واذا الريح سرت منــه قريب　　　طــار قلبي خشية من قصفه
واذا ما كســر اللحظ لنــا　　　فتكـــت لظتــه بالمهـــج
كم رمانــا بســهام اذ رنــا　　　ذلك الــريم بطرف غنـــج

قائلا لمــا جــلالي شــنفه　　　شــم به برق المنى يا مبتغــي
قلت ورد الخـد أبغي قطفــه　　　قال يا عقرب صدغي الدغــي
قلت يا نفس ترجــي عطفـه　　　أوكل البـذل لـواو الاصدغ
فغدى يضحك منــي وانثنــى　　　ينظم القول بســلك الغنــج
قال طب نفساً فقــد نلت المنى　　　ما على أهل الهوى من حــرج

قســماً بالراقصــات الضــمر　　　ترامــى للمصلى والحجــون
وبمـــن يحملن من معتمـــر　　　مسعر القلب بنــيران الشجون

بادر النســك بقلب مقصــــر | وقضى من منسك الحج شـؤون
وبمن بات ثـلاثاً في منـى | ضارعـا في همـه المعتلـج
ذاهـل اللب عنـاه ما عنـى | فالتجى حيث يغـاث الملتجي

ومبيت الركب في روضة (خاخ) | بين أحقـاف النقـا والأبرق
وبمن يقنصن من غـير فخاخ | متهمات كـل ركب معـرق
كم مولّ ثار عن قلب أنـاخ | فهـي أشتات بـه لا تلتقـي
كم رأت عينـي وجهـاً حسنا | بين هاتيـك الربى والفـرج
من ظبـاء الخيف إذ غنت لنـا | بين ادمـاء وخشف أدعـج

وبمسري العيس للحادي اللجوج | قد كسـاها الليل ثوب الحلك
في بدور أشرقت بين الحـدوج | قد سبت حسـناً بدور الفلك
تخذت من فاحم الشعر بروج | وحبـاك الرمل ذات الحبـك
في قـدود كأنابيب القنـا | بسوى الادلال لـم تنعـوج
كم رأى من جـاز ذاك الضعنا | بدر تم مشـرق في هـودج

وبمن يجـررن ريط الأزر | يختلسن الخطـو تيهاً لا حـذار
كـل غيـداء سـعت للمشعر | قد جلى معصمها رمـى الجـار
وانثنت في بدنهـا للمنحـر | ولهـا أشـفار عينيها شـفار
ليت شـعري لِـم تسوق البدنا | ولمن تغدي بسـفك المهـج
كل من حـج اليهـا افتتنـا | قـد أصاب البر من لم يحجج

لقد اِثاقلت عـن دين الهـوى | وتخلت عن يدي أفراسـه
اذ ذوى غصن شبابي والتـوى | ونسيمي ركـدت أنفاسـه
أوَ للغيـد أرى نهجاً سـوى | والصـبا قد عريت أفراسـه
كان ذاك الورد غض المجتنـى | وشـفيعا موليـا ما ارتجـي
خلتـه يبقى فلم يبـق لنـا | وتقضـي ليلـه في دلـج

الباب الخامس

معرفة الموسيقى والأصوات

ان علم الموسيقى من العلوم الرياضية يبحث عن النغمات والمقامات وكيف يحصل منها التنفر والاستلذاذ وفي لفظة لغتان احداهما (موسيقى) والاخرى (موسقى) بحذف الياء الاولى وهي كلمة يونانية معناها علم النغمات والالحان وهذا هو الاصل وخواص علماء هذا الفن يعبرون عن اللفظ بعبارات مختلفة لاختلاف معانيه فتارة يعبرون ب (موسيقى) أو (موسقى) ويعنون الآلة التي يصوت بها كالعود وغيره من سائر الآلات حيث قالوا كل صناعة متعلقة باليد فموضوعها الجسم المشتمل على الالحان المخصوصة وغير خاف أن تعلق الصناعة باليد على الآلة فقط وان هذا العلم النفيس اسمه (موسيقى) واعتباره ما يترتب عليه من النغمات والالحان و (الموسيقى) هي التي عبر عنها (اسحق الموصلي) انها الاصوات ذات النغم والايقاع المؤلفة على اعداد هندسية وكذلك النغمات هي جمع نغمة بمعنى الصوت الفرد الساذج وقد تتركب الاصوات وتترتب بتراتيب مختلفة سواء أقرنت بكلام أو لم تقترن وانها بهذا الاعتبار يقال لها (مقامات) وتسمى باسماء خاصة وعدتها ثمانية وعشرون مقاما تقسم الى (اصول وفروع) أما الاصول فعدتها سبعة فقط ومسماة باسماء مرتبة بعضها فوق بعض بالترقي درجة فوق درجة سبعة فقط ومسماة باسماء مرتبة بعضها فوق بعض بالترقي درجة فوق درجة حسب مراتب العدد المسرود على التوالي اولها (يگاه) وثانيها (دوگاه) وثالثها (سيگاه) ورابعها (جهارگاه) وخامسها (پنجگاه) وسادسها (ششگاه) وسابعها (هفتگاه) وكل من هذه الاسماء السبعة مركبة من كلمتين فارسيتين احداهما وهي (گاه) بالكاف الفارسية بمعنى مقام والاخرى وهي (يك) في الاولى بمعنى واحد و (دو) في الثاني بمعنى اثنين (سي) في الثالث بمعنى ثلاثة و (جهار) في الرابع بمعنى أربعة (پنج) في الخامس بمعنى خمسة و (شش) في السادس بمعنى ستة و (هفت) في السابع بمعنى سبعة وهذا التركيب يكون أما اضافيا بمعنى المقام واحد مقام ثاني مقام ثالث الى آخره وأما توصيفيا بمعنى مقام الاول ، مقام الثاني ، مقام الثالث جريا على عادتهم

في التقديم والتأخير حسب لغتهم ثم ان بعض هذه السبعة قد بقي على حاله في التسمية وهو (الدوگاه والسيگاه والجهارگاه) وبعضها سمي باسم آخر زيادة على اسمه الاول حيث سمت العرب (اليِنجگاه) بـ (النوى) (الششگاه) بـ (الحسيني) و (الهفتگاه) بـ (العراق) تارة وبـ (الارج) اخرى نظرا الى انه الاعلى وهو السابع وسمت الفرس (اليكاه) بـ (الراست) وهي كلمة فارسية معناها المستقيم وانما زادوه هذا الاسم على اسم المقر الذي هو (اليگاه) نظرا لتركيبه الجارى على الترتيب الطبيعي حيث بدأ في (الدوگاه) والثاني في (السيگاه) والثالث في (الاوج) فبسبب ما حازه من تلك المزية كان جديرا بأن يزاد عليه هذا الاسم الدال على الاستقامة دونها • أما الفروع فعدتها واحد وعشرون فرعا تنقسم بالقسمة الى « عربات ونيمات عربات وتيكات عربات » نظرا الى مسافة البعد بين الدرجات الواقعة بين كل أصلين من أصول السبعة المارة الذكر واذا كانت الاصول كاملة تسمى (پردات) لان الصوت قبل ظهوره يكون مستوراوراء حجب واذا كانت هذه الپردة ناقصة تسمى (عربة) أو (نيم‌عربة) أو (تيك عربة) ونيم كلمة فارسية معناها نصف ومصطلح عليها في الموسيقى التركية لرفع وخفض الپردات ونصف درجة أي نصف مسافة فيتين مما تقدم أن الاصوات الموسيقية درجات متتابعة الواحدة فوق الاخرى وان الاصول هي الاساس المحكم لهذا الفن الجميل وعلى هذا الاساس تقام صروح الالحان لتكون مأوى لكافة الطرب وقد يتبادر الى الذهن عن معرفة الطرب وحالته وأسباب دواعيه فنقول ان الطرب الناتج من صناعة الموسيقى هو على ثلاثة أوجه (الاول) يكون طرب محرك ومستخف الاريحية ينعش النفس ويبعث دواعي الشيم و (الثاني) طرب شجن وحزن لاسيما اذا كان الشعر يتغنى فيه بذكر أيام الشباب والشوق الى الاوطان والصبر على فراق الاحبة (والثالث) يكون من صفاء ولطافة الحس وسماع الالحان الملائمة لصورة التأليف وتلك كثيرة فمنها ما يحدث الانبساط والانقباض والحركة والسكون فاللحن الذى تنبسط اليه النفس ويرتاح له الجسم هو (الراست والعجم) والذى يحدث لانقباض ويبكي ويكمد هو (العشاق والجارگاه) والذى يحرك العواطف

ويفـــرح القلب هو (الاوج) والذي يسكّن ويهـــدء النفس هو (الصبا والنهاوند) أما الالحان السريعة فهي التي تحرك النفوس الى النشـــاط والتهيج بخلاف الالحان البسيطة فانها تسكّن الاعصاب وهذه الالحان لها علاقة كبيرة بالاصوات الحسنة فانها هي العامل القوي لتأدية الرسالة الفنية واذا ما أردنا أن نتكلم عن ماهية الاصوات ، فالظاهر لدينا ان الاصــوات الحسنة فانها هي العامل القوي لتأدية الرسالة الفنية واذا ما أردنا أن نتكلم عن ماهية الاصوات ، فالظاهر لدينا ان الاصوات تنقسم الى نوعين حيوانية وغير حيوانية والاخيرة تنقسم الى نوعين طبيعية وآلية فالطبيعية كصــوت الحجر والخشب وسائر الجمادات . والآلية كصوت الطبل والبوق والمزامير والاوتار وما شاكلهما أما الحيوانية فهي أيضا نوعان منطقية وغير منطقيـة فغير المنطقية هي الاصوات التي لسائر الحيوانات الغير ناطقة ، وأما المنطقية فهي أصوات الناس وهي نوعان دالة وغير دالة أما الغير دالة كالضـــحك والبكاء والصياح وبالجملة كل صوت لاهجاء له وأما الدالة فهي الكـلام والاقاويل التي لها هجاء وهذه أيضا نوعان مستلذ ومستنكر فالمستلذ هـو الصوت الحسن الذي أنعم الله به على صاحبه ونعته بالقرآن الكريم فقال عز من قائل (يزيد في الخلق ما يشاء) وقد فسره بعض المفسرين هـــو الصوت الحسن أما المستنكر فهو الصوت الفظيع وقد ذمه الله سبحانه وتعالى (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) يدل مفهومه على مدح الصوت الحسن فان الله جل شأنه على هذا الاعتبار مدحه ضمن تناسب النغمات . فالصوت اذا كان على تناسب في الهمس والجهر والرخاوة والشدة والضعف يكون ملائما وملذاً فالتناسب هو الذي يوجد له الحسن وقد يكون بسيطا ويكون الكثير من الناس مطبوعا عليه لايحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة وكثير من القراء يقرأون القرآن ولايجيدون في الترتيل فيطربون بحسن مســاقهم وتناسب نغماتهم امتثالا لما ورد في الحديث الشريف (حسنوا القــــرآن باصواتكم فأن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً) ومن ذلك التناســـب ما يحدث بالتركيب وليس كل انسان يستوي بمعرفته ولا كل الطبــــاع توافق صاحبها في العمل به وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى

حيث الاصوات وخاصة صوت الانسان فانه لم يكن على طريقة واحدةونسبة محدودة فمنه القبيح المنبوذ والحسن المطلـــوب وأول الصـــوت الحسن (الشجي) وهو أكثره حلاوة وأصفاه نغما وأعذبه انسجاما و (الجهوري) وهو الغليظ الحاد الممزوج بنغمات طيبة ونبرات مفخمة (والناعم) وهـو الذي يكون بطبيعته رقيقا صافيا بملاحة وحسن ترجيع (والادغن) وهو المجبول على الغناء بحلاوة ورقة نغم (والرطب) وهو الذى يجري عـــلى السماع كجريان الماء صفاءً وتسلسلا بلا كلفة ولا توقف ، هذهي الاصوات الحسنة التي وهبها الله للانسان وزاده بها على سواه في المخلـــوقات أمـــا الاصوات القبيحة فهي كثيرة بنسبة الاصـــوات الحسنة وأقبحهـــا الصوت (المصهرج) وهو الثقيل الخالي من نغمة وترجيع و (المصلصل) وهواليابس الجاف العاري عن كل حركة فنية (والمرتعد) وهو ما كان صاحبه مبتلي بعلة أو مقرور بحمّى و (الصياحي) وهو النافر من الوتر الى زيادة أو نقصان ويسمى اليوم باصطلاح الموسيقيين (نشاز) وهذه الكلمة محـرفة وأصلها شاذ وفي اللغة شذ يشذ شذوذاً انفرد عن غيره أي نفر فهو شـاذ (والدقيق) وهو ما يضعف عند السماع أو يكاد يخفي (والمبلبل) وهو الذي تختلف فيه الانغام وتزول عن مراكزها (والأخن) وهو الذي يخرج من أنف صاحبه ويتغير فيه النغم (والقطيع) وهو الذى لايصلح للغناء قطيعـا فالمغني الذى عافاه الله ووقاه من هذه العاهات التي هي الواسطة الكبـــرى لتشويه فن الموسيقى عليه أن يجتهد اجتهادا صحيحا ويلم بجميع فواصل الغناء وقواطعه الماما كافيا وأن يسترسل فيه استرسالا يؤهله التنقل من نوع الى نوع آخر والعودة الى الاول بكل جدارة ومهارة وأن يتفقد أزمـــــان الاصوات وفصولها تفقد الملحن البارع لتلحينه كي يمعن في الغناء وينتقـل فيه من شدة الى لين ومن لين الى شدة فالمغني الحاذق من يملأ الانفـــاس ويعدل الاوزان ويفخم الالفاظ ويعرف الصواب ويقيم الاعراب ويصيب أجناس الايقاع والايقاع بمعنى أوقع أي وزن ومن لم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عنه أو سرعـة فيه وفي الايقاع قال (اسحق الموصـــلي) (من لحن بالتشديد فهو منا ومن خرج عن الايقاع ولم يعلم بذلك فيقلع عنه

فليس منا) والمغني الحاذق من جمع علمه وعمله وأدرك مواضيع الخطأ والصواب وحفظ أشعار العرب وألم بأخبارهم وأطلع على وقائعهم واستشهد بأمثالهم وتأدب بآدابهم وفاخر بمفاخرهم ، والمغنني الحاذق ان مدح فخم وان ذكر الوقائع أرهب وان ذكر الغزل رقق وان رثا ناح وان ذكر الشباب تأسف وأن يكون جميل الخلق صافي الحلق ذا حلاوة وطلاوة وان رزق الجمال فقد بلغ الغاية القصوى من الكمال ومما يؤيد ذلك مارواه (ابن وحمدن) ان (الحسن بن دحمان) قال كنت في المدينة فخلالي الطريق فجعلت أتغنى بشعر ذي اليزن :

ما بال قومك يا رباب   خزر كأنهموا غضاب

واذا كوة فتحت وبدا منها وجه تتبعه لحية حمراء وقال لي يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة وغنى الصوت غناءً لم أسمع مثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا فقال نشأت وأنا غلام ويعجبني الاخذ عن المغنين فقالت لي أمي يا بني أن المغنى اذا لم يكن جميل الوجه كامل الأوصاف لم يلتفت اليه فدع عنك الغناء وأطلب الفقه فتركت الغناء واتبعت الفقهاء فبلغ الله بي الى ما ترى فقلت أعد الصوت فقال أتريد أن تقول اخذته (عن مالك ابن انس) قال ابن دحمان فتركته وذهبت ٠

ومثله ما ذكر ان (الأوقص المخزومي) ولي قضاء مكة فما روى مثله في العفاف والنبل فبيما هو نائم ذات ليلة في علية له اذ مر به سكران يتغنى ويلحن في غنائه فاشرف المخزومي عليه فقال : ياهذا شربت حراما وأيقظت نياما وغنيت خطأ خذه عني وأصلحه عليه ٠ وقال (المخزومي) قالت لي أمي أي بني إنك خلقت في صورة لاتصلح معها لجماعة الفتيان في بيوت القيان فعليك بالدين فان الله يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعني اللهبقولها ٠

الباب السادس

الشعر والموسيقى

كل لغة على وجه الأرض لا تستطيع الوقوف امام لغة الموسيقى في التعبير عن العواطف لا سيما اذا نطقت بالشعر فيوم خلقت الموسيقى خلق الشعر فهما صنوان متشابهان كلاهما يملأ صنوه حياة ونوراً ويزيده حسناً وجمالا وكلاهما يهب للآخر الروح والقوة ويزيد معانيه معنى وخياله خيالا ولا نشك اذا قلنا ان حياتهما أقرب من صلة الرح بالجسد ، فالموسيقى كالفتاة الحسناء تملأ الحياة بهجة وسروراً والشعر كالشاب الظريف يبعث الى الوجود قوة ونشاطاً ، عاشت الموسيقى في عزلة مملة وانفراد موحش وعاش الشعر طريداً في كهوف الجبال وبطون الاودية فالموسيقى لاتحلو لها الحياة بغير الشعر والشعر لا يشعر بلذة دونها ، الموسيقى جميلة بمادتها والشعر لطيف بمعانيه وكلاهما من آثار نبوغ البشر فبأنضمامهما وامتزاجهما يتضاعف جمالهما جمالا وتزداد عذوبتهما عذوبة ، للموسيقى موازين كموازين الشعر وان العروض هو ميزان الشعر يعرف به المستوى من المزحف وهو ثمانية مقاطيع (فاعلن مفعولن مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلن مفعولات) وهذه الثمانية مركبة من ثلاثة أصول وهي (السبب والوتد والفاصلة) فالسبب حرفان حرف متحرك وآخر ساكن مثل (هل ومن) وما شاكلهما والوتد ثلاثة أحرف اثنان متحركان وواحد ساكن مثل (غلبت وفعلت) وما شاكلهما ولا يفوت القاريء ان كل حرف مشدد يعد في العروض حرفين أولهما ساكن والثاني متحرك فهذه هي موازين الشعر أما موازين الغناء والألحان فهي أيضا ثلاثة أصول (سبب ووتد وفاصلة) فالسبب نقرة متحركة يتلوها ساكن مثل (تن تن تن) ويكرر دائماً والوتد نقرتان يتلوهما سكون مثل (تنن تنن تنن) فهذه الثلاثة هي الأصل ومن هذه النقرات يستطيع الضارب على احدى الآلات الوترية كالعود وغيره أن يصور ما ركب من الاغاني القديمة (الثقيل الاول وخفيفه • والثقيل الثاني وخفيفه • والرمل وخفيفه والهزج وخفيفه) فهذه الثمانية أنواع هي

الاصل ومنها يتفرع سائرها في دوائر العروض واختلف فيمن وضعها فقيل (بطليموس) وهو أول من أفرد لها كتابا سماه (اللحون الثمانية) والصحيح انها كانت قديمة وموجودة في تعاليم الفلاسفة الاول والالحان لغة جمع لحن بالسكون صوت من الاصوات المصنوعة اصطلاحا ما ركب من نغمات بعضها يعلو ويسفل على نسب معلومة مقرونة بالشعر وسائر فنونه السبعة وهي أولا (القريض) و (الموشح) و (المواليا) و (الدوبيت) و (الزجل) و (القوما) و (الكان و كان) أما القريض فهو قرض الشعر بأصناف عدة وهو الذي لايخرج عن دوائر العروض وأحسنه ما يوافق الغناء هو (الفخر) و (المديح) و (الغزل) و (الشكوى) و (العتاب) و (الارق) و (السهاد) و (الوداع) و (الاستعطاف) و (التجني) و (النحول) فمثال الفخر كقول الشاعر :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبجدي فخرت لا بجدودي
ولهم فخر كل من نطق الضاد ... وعوذ الجاني وغوث الطريد

والمدح كقول الشاعر :

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والبحر ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها بقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فاليتق الله سائله

والغزل كقول الشاعر :

تأمله طرفي فألّم خده ... فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه كفي فألّم كفه ... ومن صفح كفي في أنامله عقر
ومر بفكرى خاطراً فجرحته ... ولم أر خلقاً قط يجرحه الفكر

والشكوى كقول البهاء زهير :

أين من يرحمني أشكو له ... إنما أشكوى الى من يرحم
أنا من قلبي ومنها آيس ... لم يكن من مقلتيها يسلم
أيها السائل عن وجدى بها ... انه أعظم مما تزعم

والعتاب كقول (امامة) محبوبة بن الدمينة :

وأنت الذى أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للنـــاس ثم تركتني لهم عرضـاً أرمي وأنت سـليم
ولو ان قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشـاة كلوم

والارق والسهاد كقول (ابن زيدون) :ـ

ياليل طل أو لم تطل لابد لي أن اسـهرك
لو بات عنـدي قمري مـا بت أرعى قمرك

والخيال كقول الشاعر :

بالله إن ســألوك عني قل لهم عبدي وملك يـدي وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهـم أدري بذا وأنـا الذي شـوقته
يا حسن طيف في خيالك زارني من فرحتي بلقـاك مـا حققتـه

والوداع كقول (ابن زريق البغدادي) :

استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبـودى لو يـودعني صـفو الحياة واني لا أودعـه

والاستعطاف كقول (ابن زيدون) :

ياهـــلالاً تراءاه نفوس لا عيـــون
عجباً للقلب يقســو منك والعطف يلين
ماالذى ضرك لو سر بمرآك الحـزين
وتلطفت بصـــب حينه فيك يحـين
فوجوه اللطف شتى والمعـاذير فنـون

والتجني كقول (ابن نباته) :

لو كنت أخضع في الدنيا لنائبه خضعت من هجرها أو من تجنيها
تسـتعذب الدمع عيني في محبتها كأن ما تمتريه العـين من فيهـا

والنحول كقول (ابن الرومي) :

يا خليـــلاً جعل الله مفتاحــــاً لظلمي
ليس في الأرض عليل غير جفنيك وجســمي

المواليـــــا

ومثل هذه المنتخبات الشعرية تليق بالغناء ويليق بالمغني أن يتـــرنم بها . أما الموشح فقد تكلمنا عنه وليس في الاعـــادة افادة فنقول عـــن

(المواليا) لانه يدخل في الغناء وانه يسمى اليوم (موال) وهو من الغناء المنتشر في سائر الاقطار العربية وأول من نطق به أهل (واسط) وهي مدينة بناها (الحجاج بن يوسف الثقفي) سنة ٨٢هـ وفرغ منها سنة ٨٦ وجعلها دار الامارة وقد أيد هذا شهاب الدين في كتابه (سفينة الملك) قال ان أول من نطق به أهل واسط وأول بيت منه قاله بعضهم :

منازل كنت فيها بعد بعدك درس
خراب لا للعزا تصلح ولا للعرس
فأين عينيك تنظر كيف فيها الفرس
تحكم وألسنة المدّاح فيها خرس

وذكر (السيوطي في شرح الموشح النحوي) ان هرون الرشيد لما قتل البرامكة ومن بينهم جعفر البرمكي أمر أن يرثى بشعر فرثته جارية بهذا الوزن وجعلت تقول (يامواليا) وأول ما نظمت قولها :

يادار أين ملوك الأرض أين الفرس   أين الذين حموها بالقنا والترس
قالت تراهم رمماً تحت الاراضي الدرس
سكوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

وقد اختلف في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل سمي به لموالات قوافيه بعضها ببعض وقيل سمي بذلك لان أول من نطق به موالي بني برمك وكان أحدهم اذا نطق به ونعى مواليه قال (يا مواليا) وهذا هو الاصح وقال (السيوطي) هو موال بظم الميم وفتح الواد ومخففة وبعد الالف لام مفتوحة على صيغة اسم المفعول من ولاه يوليه اذا تابعه وقيل موالي بفتح الميم والواو وكسر اللام على صيغة الجمع أو مواليا زيادة ياء المتكلم . وادغام البلء ولحوق الالف للاشباع ويحتمل عدم تشديد الياء تخفيفا ومن أمعن النظر في المواليا يتحقق لديه انه بحر من بحور الشعر (البسيط) وانه من الفنون التي لايلزم فيها مراعاة قوانين اللغة العربية من اعراب أواخر الكلمات بل انه يحب اللحن ويجوز فيه استعمال الالفاظ الجارية في تخاطب العوام من الناس لفظا وخطا لانك لو نطقت به حيث التخاطب واخذت تكتب على قوانين الرسم مراعيا للحروف لغيرت وضع ما نطقت به وخالفت حروفه

وكسرت وزنه وفاتك غرض الناظم من تجنيس او غيره من محسنات الكلام . والموال ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول ويسمى (رباعي) والثاني (أعرج) والثالث (نعماني) فالرباعي يتقوّم من أربعة أشطر وهو :

وحق يا بدر تغريبك وتغريبي لا تتبع النفس تغريبك وتغريبي
خل المقادير تجريبك وتجريبي وتنظر الناس تجريبك وتجريبي

و (الاعرج) يتقوّم من خمسة أشطر وهو :

محاسن اللفظ جوهر مبسمك حلّت وأسهم اللحظ تجرح أينما حلت
وساحرات الجفون عقد الطلا حلت
وكان عهدي بها التحريم في الكاسات
لكنها مذ غدت من مبسمك حلت

و (النعماني) يتقوم من سبعة أشطر وهو :

أهيف من العرب له ألحاظ محدودين
خلا القلب والحشا بالأسر مجدودين
روحي فدى ظبي جاب الأسد محدودين
الله أكبر على شرب الطلا من فيه
هو سبب كل سقمي وانتحالي فيه
يا بدر يكفي الجفا أين الوصل من فيه
واجعل وصالك له أوقات محدودين

ولما شاع المولیا في العراق نبغ شعراء كثيرون كان في مقدمتهم (السيد الموالي) من سادات (الحويزة) وبعده (محمد الحلي المشهور بابن الخلفه) وفيه نظم شجرة على حروف الهجاء باللغة العامية العراقيه وأهل بغداد يسمون المواليا (ازهيري) نسبة الى رجل اشتهر في بغداد واسمه (ملا جادر الزهيري) والمواليا أي الزهيري يغنى اليوم كثيرا في المقامات العراقية ومن نظم الملا جادر هذا :

معادن الود تظهر من معاديني واحگوك الأصحاب او فيها معاديني
والصاحب اللي گرن دينه معاديني
من غيمة الريب جوّى لم يزل صاحبي

واللي شرب كاس خمـــر اموذني صـــــاحبي
اكره صـحيب الـــذي يحجي كفـا صـــاحبي
واللي يعـــادي صحيبي هو معاديني

الـــــدوبيت

أما (الدوبيت) فهو أيضا من بحور الشعر المهملة ولفظة (دوبيت) مركبة من كلمتين الاولى فارسية بمعنى اثنين والثانية بمعناها العربي ولاينظم به الا بيتان بيتان في أي معنى يريد الناظم ولايجوز فيه اللحن مطلقا ويشترط أن يكون الصدر من البيت الثاني مخالفا للاشطر الباقية في القافية وتكون الثلاثة الاخرى على قافية واحدة ويستحسن في نظم الدوبيت التزام الجناس ومثالـــه :

القلب اليك مال شـوقاً وصـبا   والصب جوى يبيت يشكو وصبا
بالله عليك لا تطل هجر شـــج   قد هيّج وجـــده شـمال وصبا

وله نوع آخر يقال له (دوبيت مردوف) ومنه :

أغصـــــان هواك بقلبي غربت   من غير كلام
أشكو غداً اذا النجوم انكدرت   في يوم زحام
والصحف اذا تطايرت وانتشرت   والنـاس نيام
نفس ســـألت بـأي ذنب قتلت   والقتل حرام

ونوع آخر يقال له (دوبيت مردوف المردوف) ومنه :

عينـاك وحاجباك قد أســـرفتا   والطرف كحيل مع لـــين قوام
أطلق برضاك في الهوى أسرفتى   حـــيران ذليـل يقنع بســـلام
في ثغرك خمرتـــان قـد حرمتا   من غـــير دليل يا بـدر تمـــام
والعاشق ضمآن فيـــا حر متى   تســـقيه قليل من ريق مـدام

وقد استحسن كثير من القدماء ووضع التلاحين على أوزان الدوبيت بجميع فروعه لان الدوبيت يليق بتلحين الموشحات لجلاء معانيه وخفةوزنه.

الزجـــــــل

وأما (الزجل) فانه من مبتكرات الاندلسيين وذلك ان فن التوشيح

لما شاع في أهل الاندلس وأخذ به الجمور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع ابتدائه نسجت العامة من أهل الامصار على منواله ونظموا طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلزموا بها اعرابا واستحدثوه فأسموه بـ (الزجل) والتزموا النظم فيه على مناصبهم الى هذا العهد فجاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة ولقد ذكر ان أول من ابدع هذه الطريقة الزجلية هو (أبو بكر بن قزمان) فهي وأن قيلت في الاندلس لكن لم يظهر حلاها وما انسكبت معانيها واشتهرت رشاقتها الا في زمانه وهو امام الزجالين على الاطلاق نشأ بقرطبة وكان كثير التردد على (اشبيلية) ولقد وصلت شهرته الى حد ان عده الناس في الزجل (كالمتنبي) في الشعر وذاعت أزجاله وذكر (ابن سعيد) قال رأيت أزجال ابن قزمان ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر الغرب ثم جاء (عبدالله) المعروف (بمد غلميس) بعد ابن قزمان فكان خليفته بحق وقد زادت شهرته حتى عد في الزجل (كأبي تمام) في الشعر وانما شبه ابن قزمان بالمتنبي ومد غلميس بأبي تمام لالتفات الاول الى المعنى والثاني الى اللفظ وقد عم فن الزجل في الاندلس الامر الذى دعى أرباب اللغة أن لايعترضوا على كيفية نظمه والتغني به والزجل هو في اللغة صوت وسمي زجلا لانه يلتذ به ويفهم مقاطيع أوزانه ولزوم القافية حتى يغنى ويصوت ولما كان فن الزجل من وضع العامة اتبعوا فيه ونظموا به من سائر البحور الشعرية ومثاله :

يا حادي العيس ازجر بالمطايا زجر

وقف على منزل الاحباب قبل الفجر

وصيح في حَيهم يا من يريد الأجر ينهض يصلي على ميت قتيل الهجر

ومما اختاره (ابن خلدون) من زجل أهل مصر وأحسن في اختياره كل الاستحسان قول بعضهم في ذلك العصر :

هذي جراحي طريا والدما تنضح

وقاتلي يا أخيا في الفلا يمرح

قالوا ونأخذ بثارك قلت ذا أقبح

أما اليوم فالزجل شائع فيمصر وسوريا شيوعا عظيما ويعبر عن الذي

ينظم به (زجال) بالتشديد ولم أر في هذا الوقت في العراق من ينظم به ولا من يغني •

القـــــوما

وأما (القوما) فهو من فنون المولدين وأول من اخترعهالبغداديون في عهد الدولة العباسية وذلك في شهر رمضان وقت السحور وسمي بهـــذا الاسم من قول المغنين بعضـــهم لبعض (قوما لنسّحر) فغلب عليه هـــذا الاسم وفي كتاب (المستطرف) ما ذكره (الأبشيهي) عن هـذا الغناء قال ان أحد الشعراء مدح أحد الخلفاء (ليسّحر) في رمضان قوله :

ولا برحت مهنّـــا ـــ بكل صـــوم وعيد
في الدهر أنت فريد ـــ وفي صـفاك وحيـــد
والخلق شعر منقّح ـــ وأنت بيت القصـيد

الـكان وكان

وأما (الكانوكان) فهو أحد الفنون الجارية على ألسنة العامة اخترعه البغداديون أيضا وسموه بذلك لانهم نظموا فيه الحكايات الخرافية فضلاعلى اعتناء العلماء والادباء فيه وقد نظم بعض فضلاء بغداد على منوالـه كالامام (ابن الجوزي وشمس الدين الكوفي) في المواعظ والحكم وغير ذلك مما جعل الناس لاينفكون من سماعه في كل وقت ومثاله :

يا قاسي القلب مـالك ـــ تسـمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظـــي ـــ قـــد لانت الأحجـار
أفنيت حالك ومـــالك ـــ في كل مـــا ينفعـك
ليتك على ذي الحالـة ـــ تقلع عن الأصـــرار

ولم يبق الان في بغداد من يتخذ مثل هذا النظم في وعظه سوى في الحكايات وهي (كانوكان) وذلك في بعض بيوتات بغداد فتجلس امـرأة

ومن حولها نسوة وأولاد صغار تتحدث اليهم وتستهل حديثها بكلمة كان وكان كناية الى حديثها الخرافي وتشفعه بالدعاء الى السلطان أي چـــان ما چان الله ينصر السلطان) وبعد هذا تسرد حكايتها • هذه هي الفنـــون الشعرية التي كان يتغنى بها وهذه علاقة الشعر الوثيقة بالموسيقى الخالدة •

الباب السابع

تأثير الغناء على الانسان والحيوان

للغناء تأثير شديد على النفوس التي تدرك الطرب لأن الأصوات الحسنة اذا كانت متناسبة في الغناء أمرها عجيب وتصرفها في الارواح أعجب لذلك اتخذت في ساحات الحروب الآلات الموسيقية فيحدق العزافون بالمحاربين ويعزفون فيحركون نفوس الشجعان الى خوض غمار الحرب ، فالعرب الأقدمون كان يتغنى لهم أمام المواكب بالشعر فتجيش همم الابطال ويسارعون الى حومة الوغى وفي ذلك قالوا ان الغناء أصله الشعر ولامر ما قال النبي (ص) لحسان بن ثابت الانصاري (شن الغارة على بني عبد مناف والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام) تنويها بما له من التأثير في المشاعر والارواح وكان أكثر شعر حسان يغنى به وكثيرا ما كان يسمع فيزيد في الروح نشوة حتى ان حسانا نفسه بكى من تأثره حينما سمع (عزة ورائقة) تغنيان من شعره في وليمة ختان اقيمت في المدينة وقديما قال الشاعر تبيانا لوقع الغناء في القلوب وأثره في فرحها وطربها :

رب سماع حسنٍ سمعته من حسن
مقرب من فرح مبعّد من حزن
لا فارقاني أبداً في صحة من بدن

وبعد هذا فهل على الارض من رعديد مستطار الفؤاد يغني بقول (الخطفي) :

قل للجبان وان تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناج

إلا ثاب اليه روحه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل تقطعت أطرافه لؤماً (يغنى) بقول (حاتم الطائي) :

يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى من ماله سبلا

ولم تنبسط أنامله وتسح أطرافه ، أم هل على الارض من غريب نازح الدار بعيد المزار يغني بقول (علي ابن الجهم) :

يا وحشة للغريب النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه وما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

ولم يتقطع قلبه حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه ولقد تصبو النفوس الى الغناء حتى يفرط عليها السرور فتقلق وربما يؤدي قلقها الى الرقص وقد يرمي الرجل بنفسه من شاهق الى حيث لايعلم واحيانا يكمد في النفوس فيغشى على صاحبه • وان الذين استمالهم الغناء لكثيرون لم يفت منهم بعض الخلفاء الامويين والعباسيين سواء كان ذلك في الشام أو في بغداد • وروي أن معاوية بن أبي سفيان أتى عاما الى الحج ونزل المدينة ومرّ بدار (عبدالله بن جعفر) فسمع غناء على أوتار فوقف مصغيا وهو ويقول «خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » فلما بلغ ذلك بن جعفر أولم له ودعاه الى منزله وأحضر (ابن صيَّاد) المغني وقال له : اذا رأيت معاويةواضعا يده في الطعام حرّك وغن • فلما وضع معاوية يده في الطعام حرّك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر (عدي بن زيد العبادي) وكان معاوية يعجب به •

يا لبيني أوقدي النارا إن من تهوين قد حارا
ربَّ نارٍ بت أرمقها تقضم الهندي والغارا
ولها ظبي يؤججها عاقد في الخصر زنّارا

فأعجب معاوية وقبض عن الطعام وجعل يضرب برجله طربا ويقول لابأس بحكمة الشعر وحكمة الالحان • أما ابنه يزيد فكان أوفر حظا منه في هذا السبيل لانه في أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وظهر شرب الشراب ، ومن شغف عبدالله بن جعفر بالغناء انه مرّ يوما في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه واذا بصوت رقيق شجي لقينة تغني :

قل للكرام ببابنا يلجوا ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبدالله عن دابته ودخل القوم بلا اذن فقاموا اليه إجلالاً ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل فقال له يابن عم رسول الله (ص) دخلت منزلنا بلا اذن وما كنت لهذا بخليق • قال عبدالله : لم أدخل بلا اذن •قال:

ومن أذن لك • قال : قينتك هذه سمعتها تقول : (قل للكرام ببابنا يلجوا) فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاماً خرجنا مذمومين • فضحك صاحب المنزل وقال لعبدالله ما أنت الا أكرم الاكرمين • واذا تعدينا في البحث الى بعض الخلفاء المتأخرين كيزيد ابن عبدالملك والوليد ابنه فلقد انهكما به الى أكثر من استمالتهم فيه وروى (الجاحظ) خبراً قال : قلت (لاسحق بن ابراهيم الموصلي) هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للندماء والمغنين • قال : أما معاوية ومروان وعبدالملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد فكان بينهم وبين الندماء ستارة وكان لايظهر أحد من الندماء على ما يظهره الخليفة اذا طرب الى الغناء والتذه حتى يتقلب ويمشي ويحرك كتفيه ويتجرد حيث لا يراه الا خواص جواريه الا انه كان اذا ارتفع الصوت من خلف الستارة أو زفير تجاوز المقدار قال صاحب الستارة حسبك ياجارية كفي اقصري ، يوهم السامع ان الفاعل لذلك بعض الجواري ، وأما الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يتجردوا أو يحضروا عراة بين الندماء والمغنين وقد اسرف يزيد بن عبدالملك والوليد بن يزيد فكانا لا يباليان بما يصنعان أما يزيد بن عبدالملك فأمره مشهور مع مغنيتيه (حبابة وسلامة) فقد ذكر المسعودي بكتابه (مروج الذهب) قال : جلس يزيد ذات يوم وقد غنتاه (حبابة وسلامة) فطرب طربا شديدا ثم قال أريد أن أطير فقالت حبابة يامولاي فعلى من تدع الامة وتدعنا • أما الوليد ابنه فانه فاق أباه في الاندفاع في هذا السبيل فلقد حضر عنده يوما (ابن عائشة) المغني فقال له غنني فغناه :

إني رأيت صبيحة النحر ... حور نفين عزيمة الصبر
مثل الكواكب في مطالعها ... عند العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغي الاجر محتسباً ... فرجعت موقوراً من الوزر

فصاح الوليد وا طرباه ونزع ثيابه والقاها على ابن عائشة وبقى مجردا الى أن أتوه بثياب غيرها • وقد يظهر ان بعض خلفاء بني أمية قد شجعوا الغناء وساعدوا على ازدهاره في دمشق آخر القرن الاول حتى كان تأثير الغناء عظيما في النفوس • ومما يروى ان عراقيا قدم الى المدينة بعدل من

خمر العراق ـ جمع خمار ـ وهو ثوب تغطي به المرأة رأسها فباعها صاحبها كلها الا اللون الاسود منها فشكا ذلك الى (الدارمي) وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد • فقال ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك • قال ما شئت فعمد الدارمي الى ثياب نسكه فأقصاها عنه وعاد الى مثل شأنه الاول من العبث وقال شعرا دفعه الى صديق له من المغنين فغنى به وهو :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمّر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا رجع (الدارمي) وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق مليحة الا اشترت خماراً أسوداً وباع التاجر ماكان معه فلما أنفقه عاد الدارمي الى نسكه ومن الذين فرط فيه الغناء (عمر بن أبي ربيعة المخزومي) وذلك حين سمع (جميلة) تغني شعره وهو :

ولقد قالت لجارات لها كالمها يلعبن في حجرتها
خذن عني الظل لا يتبعني ومضت تسعي الى قبتها
لم تعانق رجلا فيما مضى طفلة غيداء في حلتها
لم يطش قط لها سهم ومن ترمه لم ينج من رميتها

لم يتمالك عمر نفسه بل صاح ويلاه وعمد الى جيب قميصه وشقه الى أسفله ثم آب اليه عقله • ومما يروى ان (الغريض) المغني أنشد (الحارث ابن خالد المخزومي) والي مكة لعبد الملك بن مروان :

عفت الديار وما بها أهل حزّانها ودمائها السهل

فقال (ياغريض لو لم يكن في ولايتي مكة حظ الا أنت لكان حظا كافيا وافيا يا غريض انما الدنيا زينة فازين الزينة ما فرح النفس ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء) وغنى أشعب رجلا من مكة من بني هاشم :

ما زلت أمتحن الدساكر دونها حتى ولجت على خفي المولج
ووضعت كفي عندمقطع خصرها فتنفست نفساً ولم تتلهج

قالت وحق أخي وحرمة والدي　　لانبهن الحـــي ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتبســمت　　فعلمت ان يمينهـــا لم تحرج
فرشفت فاها آخذاً بقرونهـــا　　رشف النزيف ببرد ماء حشرج

فصاح الهاشمي أحسنت والله أحسنت يا أشعب فطرح عليه حلة كان يرتديها • وغير ذلك ان شيخا كان على جانب عظيم من النسك والورع صحب جماعة في سفينة ومعهم جارية مغنية فقالوا له ان معنا جارية تغني ونحن نجلك فاذا أذنت لنا فعلنا قال أنا اعتزل عنكم وافعلوا ما شئتم فتنحا عنهم وغنت الجارية :

حتى اذا الليل بدا ضـــوءه　　وغـــابت الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفي كمـــا　　ينســـاب من مكمنه الأرقم

فرمى الناسك بنفسه في الفرات وصاح أنا الارقم وهو يخبط بيـــديه طربا وأخرجوه وقالوا له ما صنعت قال : والله أنا أعلم من تأويله مالا تعلمون• ومثال ذلك ما روى ان رجلا يقال له (طريفة) وقف بين يدي (أيوب) المغني وقال :

اني قصـــدت اليك من أهلي　　في حاجة يســعى لهـا مثلي
لاابتغي شـــيئاً لديك ســوى　　حي الحمول بجــانب الرمل

فقال أيوب انزل لك ما طلبت فنزل فاخرج عوده وغنى بقـــول (امريء القيس) :

حي الحمول بجـانب الرمل　　اذ لا يلائم شــكلها شــكلي

فلبط طريفة فاذا هو على التراب منجدل فلما أفاق أخذ يمســـح التراب عن وجهه فقيل له ويحك ما الذي حل بك قال ارتفع من رجلـي [illegible] اسحق الموصلي (ان أبا ريحانة) رجل من المتسولين كان جالسا في يــوم شديد البرد وعليه قميص خلق رقيق فمر به (سياط) المغني فوثب عليــه

وأخذ بلجامه وقال له يا سيدي بالله عليك غنني صوت (ابن جندب) فغناه وهـــو :

فوآدي رهين في هواك ومهجتي تـذوب وأجفـــاني عليك همـول

فشق أبو ريحانة قميصه حتى خرج منه عاريا وغشى عليه واجتمـع الناس حوله وسياط واقف يتعجب من أمره ثم أفاق وقام اليه ثانيا فرحمه سياط وقال له مالك يا مشؤوم وأي شيء تريد فقال غنني :

ودع أمامة حان منك رحيل ان الوداع مع المحب قليـــل
مثل القضيب تمايلت أعطافه فالريح تجـــذب متنه فيميل
ان كان شأنكم الدلال فانــه حســن دلالك يا أميم جميل

فغناه اياد فلطم وجهه وخرج الدم من انفه ووقع صريعا ومضـــى سياط وحمل الناس ابا ريحانة الى الشمس فلما أفاق قال له بعضهم ويحك خرقت قميصك وليس لك غيره قال الغناء الحسن من المغني المطرب ادفـأ للمقرور من حمام الخليفة (المهدي) اذا أوقدت سبعة أيام وبعد كل هذا فان حادثة الفتك بالبرامكة دليل واضح على تأثير الغناء بالانسان فان اعداء البرامكة لما أعيتهم الحيل من التغلب على سلطانهم لجؤا الى تأثير (الرشيد) بالغناء فلقنوا احدى قيانه هذين البيتين من قصيدة لعمر بن ابي ربيعة :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد وشفت انفســنا ممــا تجد
واستبدت مرة واحـــدة انما العاجز من لا يستبد

ولما انتهت القينة من غنائها قال الرشيد لنفسه نعم اني عاجز وذكـر سلطان البرامكة وقوة نفوذهم فكان ذلك سببا في القضاء عليهم •

هذا هو تأثير الغناء بالانسان فالغناء يحرك الهمم ولهذا السبباستخرج الحكماء لحنا كانوا يستعملونه في دار المرضى ويشفى كثيرا من الامراض لان الموسيقى لها تأثير كبير في مجموع تركيب الجسم البشري فاذا طرقت بعض الانغام آذان المرضى لابد وان تحدث في دمهم حركة وتأثير في مجرى

الدم ودورته في مجاري التنفس وما يتبع من التشنج والتقلص في الاعصاب. ولحن آخر يستعمل عند المصائب فيسكن الحزن ويخفف الهم . وآخر يستعمل في الاشغال المتعبة يستعمله البناؤون ونوتيوا الزوارق وأصحاب البواخر والسفن وغيرهم ولايزال أصحاب الحرف المتعبة حتى يومنا هذا يحمسون نفوسهم في العمل بغنائهم وتستعمل النساء ألحانا للاطفال تسكن بكاءها وتجلب لها النوم ولا يقتصر تأثير الصوت على الانسان وحده فهو يتناول كذلك الحيوانات والبهائم والطيور فللجمال الحداء وللخيل والغنم والبقر الصفير عند ورودها الماء وقد قيل في ذلك :

ولا تشرب بلا طرب فـأني　　　رأيت الخيل تشرب بالصفير

وفيه قال صاحب (الفلاحات) النحل أطرب الحيوانات كلها وان افراخها تستنزل بمثل الصوت الزجل والصوت الحسن كقول الراجز :

والطير قد يسوقه للموت　　　اصغاؤه الى حنين الصوت

وتستلذه جميع الحيوانات التي لها حاسة السمع حتى ان بعضها كان يموت من شدة الطرب وكذلك الابل تمد اعناقها مصغية لغناء الحادي فتهيم وتسرع في سيرها مع ثقل الاحمال وهي لاتشعر في تعب وملل بسبب نشاطها الحاصل من تأثير الغناء وفي ذلك ما حكاه (أبو بكر محمد بن داود الدنيوري) قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم فأدخلني في خبائه فرأيت عبدا اسودا مقيدا بقيد ورأيت قباله جمال قد ماتت وبقى منها جمل ناحل كان ينزع روحه فقال لي الغلام أنت ضيف ولك أن تشفع لي من مولاي فأنه مكرم لضيفه ولايرد شفاعتك في هذا القدر فلما حضر الطعام قلت لا آكل ما لم أشفع لهذا العبد فقال ان هذا العبد أفقرني وأهلك جميع مالي فقلت وماذا فعل قال ان له صوتا طيبا واني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقيلة وكان يحدو لها حتى

قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته ولما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمر أن يحدو لجمل قوي ليستسقي الماء من بئر فلما رفع صوته بالحداء هام ذلك الجمل وقطّع حباله فوقعت على وجهي فما أظن اني سمعت صوتا أحسن منه ونظير ذلك ان سلام الحادي من العرب في الدولة العباسية يضرب المثل بحدائه قال للخليفة (المنصور) مر الجمالين أن يضمئوا الابل ثم يوردوها الماء فأني آخذ في الحداء فترفع رؤوسها ففعلوا ما قال وارتجز :

ألا يابانة الحادى | بشاطي نهر بغداد
شجاني منك صيّاح | طروب فوق ميّاد
يذكرني ترنمه | ترنم ربة الوادي
فأن جاشة بنغمتها | فمن انجشة الحادي

فرفعت الأبل رؤوسها عند سماعه واعجب من هذا ما فعله (مخارق) المغني حينما كان مع أصحاب له في بعض المنتزهات وقد شاهد قوسا مذهبة مع من خرج معه فسأله اياها فضن بها وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس اذا تغنيت وعطفت هذه الظباء علينا تدفع لي هذه القوس قال نعم واندفع مخارق يغني :

ماذا تقول الظباء | أفرقة أم لقاء
وعهدها بسليمي | وفي البيان شفاء
مرت بنا سانحات | وقد دنا الأمساء
فما أحارت جواباً | وطال فيه العناء

فعطفت الظباء راجعة اليه حتى وقفن بالقرب منه مستشرقة مصغية الى صوته فتعجب من حضر وناوله القوس الرجل فأخذها وقطع الغناء فعادت الظباء الى نفارها ومضت راجعة فمن هذا يظهر ان الموسيقى يلتذها كل مخلوق على وجه الارض سواء كان انسان أو حيوان وبهيمة أو طائر وكيف لا وهي موجودة في كل مظهر من مظاهر الطبيعة في الريح العاصفة والموج

الهادر وسكون الليل وغوغاء النهار وفي الكائنات كلها ناطقة أو صامتة تحن اليها النفوس وان لم تسمعها الاذن وقد قيل كل هذا من لا يطربه الصوت الحسن فهو صلد صخر في رجيمة قبر وجملة القول اذا كانت أصوات الطيور في تغاريدها تطرب ولا تدل على معنى يفهم وتجذب القلوب ولاتعرب عن كلام يدرك فما القول بكلام يسمعه السامع فيعيه ويعلم معانيه لاسيما اذا اقترن بألحان وأنغام طيبة •

البــاب الثامن

آلات الطرب

آلات الطرب قديمة وقديمة جداً تبدأ بابتداء العالم وذلك لما عمر الله سبحانه وتعالى الأرض بالسكان وعرف الأنسان ماهية الحياة اكتشف اول واسطة للأنس والطرب آلتين طبيعتين خلقتا في البشر وهما (الفم واليد) فكان الفم للغناء واليد للتصفيق وبعد ان عرف الأنسان الطرب وأدرك نغماته فهي وان كانت بسيطة فأن النفوس أشد اليها ميلاً وأسرع لها قبولاً فضل يبحث بحثاً دقيقا بمرور السنين والأعوام حتى اهتدى الى آلات للطرب كثيرة وجميع الآلات التي اكتشفها لا تتعدى الى ثلاثة أنواع (الاول) وهي الآلات المختصة بالضرب (كالطبول والدفوف) وما شاكلها (والثاني) آلات النفخ (كالناي والمزمار) وما شاكلهما (والثالث) الآلات الوترية (كالعود والقانون والربابة) وغيرها فمن هذه الآلات ما يشد عليه وتر ومنها ما يشد عليه سلك من حديد أو نحاس ومنها ما يشد عليه شيء من شعر الخيل ومن هذه الأنواع تنوعت سائر الآلات التي سنبحث عن الأهم منها والمشهور عنها اذ ليس باستطاعتنا أن نتكلم عن جميع الآلات الموسيقية ورائدنا هو الآلات التي اعتنى بها العرب والتي كانوا ينظرون اليها نظرهم الى الفن الجميل • فنقول بعد ان جمع العرب آلات غناء كثيرة من بعض الأمم (كالفرس والروم والأنباط والهند) واختاروا منها ما وافقهم ولائم أذواقهم ، أضف الى ذلك ما اخترعوه من شتى الآلات التي كانت معروفة عندهم(كالأرغون والبزق والمعزفة والعنق والشلياق والطنبور والقانون والربابة والشهروذ) وهو الذى اخترعه (حكيم بن أحوص السندى) ببغداد •

العـــود

إن أعظم آلة موسيقية عند العرب هو (العود)فهو سلطان هذه الآلات بالاجماع ، ففي سماعه نفع للجسد وتعديل للمزاج وكان (اسكندر ذو

القرنين) اذا وجد في نفسه ما يعي مزاجه من انقباض أو حدس يأمر تلميذه أن يعزف له بالعود فيزول عنه ما كان يجده وفي اختراعه أقوال كثيرة اختلف فيها المؤرخون وتباعدت مذاهبهم وتباينت استدلالاتهم فمنهم من قال ان اول من اخترعه هو (لامك بن متوشالح بن محويل بن عياد بن اخنوخ بن قاين بن آدم عليه السلام) وكان للامك ولد يحبه حباً شديداً اختطفه الموت فعلق جثته بشجرة فتقطعت اوصاله ولم يبق منها الا الفخذ والساق مع الأصابع فأخذ قطعة من الخشب وهذّبها وصنع منها عاموداً جاعلا صدره بشكل الفخذ وعنقه شكل الساق ورأسه بشكل الملاوي مثل بها الأصابع ، والأوتار مثل بها العروق ولما انتهى من ذلك عزف عليه فخرج منه صوت جميل وأنشد نشيداً محزناً • هذا ما قاله بعض المؤرخين وليتنا نعلم ما هي الأوتار التي ربطت عليه ومن أين أتى بها لامك ان هذا القول ما هو الا أسطورة سطَّرها المؤرخون وحكاية تافهة الصقت بلامك وقد أظن ان المؤرخ أراد بهذه الرواية ان العود هو أقدم الآلات الموسيقية ليس الا وفي تاريخ (الكامل للمبرد) ان اول من صنعه (نوح عليه السلام) وانعدم عند الطوفان • وقيل اول من صنعه (جمشيد) ملك من ملوك الفرس وأسماه (البربط) وتفسيره باب النجاة وجعل أوتاره حسب طبائع الأنسان (فالزير) ازاء الصفراء وهو باصطلاح اليوم (النوى) و (المثنى) ازاء الدم وهو باصطلاح اليوم (العشيران) و (البم) ازاء السوداء وهو باصطلاح اليوم (اليكاه) فاذا اعتدلت أوتاره ورتبت ترتيباً صحيحاً جانست طبائع الأنسان وانتجت الطرب وللتفكهة ندع (أبا الفرج الأصفهاني) صاحب كتاب (الأغاني) يقول في بعض رواياته عن البربط قال : حدّث اعرابي بما رأى في حاضر المسلمين يوم عرس ثم قال الأعرابي في آخر حديثه وكان معنا شاب لا آبة له فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاءفخرج من البيت وجاء بخشبة عيناها في صدرها وفيها خيوط أربعة واستخرج من خلالها عود فوضعه خلف اذنه ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده فنطقت وربالكعبة واذا هيأحسن قينة رأيتها وسمعتها وغنى عليها وأطربني حتى استخفني من في المجلس فوثبت وجلست بين يديه فقلت بأبي وأمي أنت

ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت الا قريباً فقال هذي (البربط) فقلت وما هذا الخيط الأسفل قال (الزير) قلت فما الذى يليه قال (المثنى) قلت والثالث قال (المثلث) قلت فالأعلى قـــال (البم) قلت آمنت بالله أولا وبك ثانياً وبالبربط ثالثا وباليم رابعا • ولا زالت أوتار العود أربعة الى أن ظهر (أبو الحسن علي ابن نافع) الملقب (بزرياب) وهذا لقب غلب عليه لسواد لونه أوتشبيهاً بطائر حسن التغريد يقال له(الزرياب) فصبغ الأوتار فجعل لكل طبيعة من طبائع الأنسان لوناً خاصا فللصفراء أصفر وللدمأحمر وللبلغم أبيض وللسوداءأسود وزاد وترا خامسا أسماهالنفس لعدم قيام الطبايع الأربعة بدونها ولم يكتف بصبغ الأوتار بل اخترع مضرابا للعود من قوادم النسر عوض الخشب الرقيق وهو اليوم مستعمل في كل البلاد العربية وكان بعض أوتار عود (زرياب) من حرير فوتر (البـــم والمثلث) قد اتخذهما من مصران شبل أسد فلها من رقة الترنم وصفاء الجهر وشدة الحدة اضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوانات فضـــلا عن تأثير وقع المضراب مما ليس لغيرها وقيل ان (الفارابي) لما مات والده جعله على طبائع الأنسان وقال هذا أبي ليتسلى به وعمل لهلولبا تربط فيـــه الأوتار ولكنه لم يجوّف بطنه ولم يثقب له وجه كما هو اليوم وجعلـــه مسدوداً فلما ضرب عليه لم يظهر له طنين بل خرس فتركه وصار يقول أبي أخرس ثم تفقده بعد حين فأخذه وضرب عليه فظهر له صوت عال فنظر اليه واذا الفار قد نقره فقال هذا ليس بأبي بل الفار أبي ومن ذلك الوقت لقب به أى الفارابي وهذا غير صحيح وبعيد كل البعد عن الصدق وانمـا هذه حكاية خرافية لفقها بعض المؤرخين الذين ما انفكوا من تحبير مثـل هذه الحكاية التي لا يدركها العقل • والمعتمد عليه هو أن الفارابي منسوب الى مدينة(فاراب)وهو الذى اخترع آلة موسيقية غير آلة العود وسنوردها مع ترجمته في بحث آلة (القانون) وجاء في (الصحاح) ان آلة العود من آلات المعازف وان صاحبها لم يذكر الا ما نطقت به العرب والفارابي ما ظهر الا بعد ان انقرض من يعتمد عليه بلغة العربية فيظهر مما تقدم ان العود من مخترعات الأمم السابقة وليس للفارابي اى علاقة فيه ويجوز انه اتقنـــه

وزاد فيه ألحانا ولو أمعنا النظر جيداً الى العصور الماضية وقايسناها بعصرنا هذا لوجدنا ان العود عندنا اليوم هو غير ذلك العود الذى نحن بصدده وان الألحان والأنغام غير التي كانت تعزف من قبل فالعود عندنا اليوم يشـــد عليه خمسة أوتار مزدوجة لأجل ضخامة الصوت وهذه الأوتار مختلفة في الغلظ والدقة فالوتر الأول في شمال العود يسمى (يكاه) والوتر الذى عن يمينه يجعلونه (عشيران) والوتر الثالث يسمى (دوگاه) والرابع يسمى (نوى) والخامس يسمى (كردان) وقلما يزيدون عليه وترا سادسا فاذا كان ذلك فانه يكون جوابا الى (الچارگاه) او الى (الدوگاه) ولقد شاع تعليم العود شيوعا عظيما في عصرنا هذا حتى ان تعليمه دخل في اكثر البيوت وتعليمه لم يخرج عن دائرة (النوته) ولا أعرف من هو اول مفكر وواضع لها ولكن أعلم ان هذه النوته توافق الحروف الأبجدية في الكلام مثـــلا وفائدتها هي تدوين ما ألفه الملحنون من الأنغام خوف الضياع والاختلاف في اصولها باختلاف النقل فهي اذن لا دخل لها في قواعد الموسيقى مطلقـا ومتى مثلناها بالأبجدية فعلى ذلك يمكن القول ان الأبجدية ليست هي كل اللغة وانما هي اول ما يتعلمه المبتدىء ويتقنه الصغير حتى يبني بواسطتها المعلومات الدقيقة بعد فهمها جيدا فتمكن المبتدىء أن يتسع بمعرفة الاصول والنحو والقواعد وغير ذلك (والنوته) التي نبحث عنها تتكون من سبع حركات وهي(ري ، مي ، فا ، صول ، لا ، سي ، دو)وهذه الرموز السبعة في النوته (الافرنجية) مقسمة الى رتبتين كبيرة وصغيرة او غليضة ورفيعة فمثلا لو عزفت على العود حركات النوتة تبدأ من اعلى الوتر الغليظ (نهفت) بحركة (ري) ثم تستمر مع تحريك أصابعك في الامكنة المخصصة لكل حركة هكذا (مي ، فا ، صول ، لا ، سي ، دو) وبعد ذلك تكون قدوصلت الى الوتر المسمى (نوى) فترجع بالحركة الاولى وهي (رى) وتستمر مع تحريك أصابعك على الوترين الباقيين وهما (النوى والكردان) هكـــذا (م ، ف ، ص ، ل ، س ، د ، ر) ثم تعود بالجواب فتكون قد عزفت ما يقال له في الموسيقى (سلّم) وهذا السلم مقسم كما ترى الى خمس عشـــرة حركة السبع حركات الأصلية واعادتها والجواب (رى) هذا وهنـــاك

حركات اخرى فرعية وهذه الحركات عندما تكون نغمة زائدة أو ناقصة ويعبر عنها بكلمتين افرنجيتين وهما (بيمول) و (ديز) فالأولى عندما تزيد الحركة نصف نغمة والثانية عندما تنقص الحركة نصف نغمتها ولبيان ذلك يجب على المتعلم أن يحيط علماً (بالوحدة) وقد تكلمنا عنها فيما مضى ولا يفوت المتعلم ان الضرب على العود وسائر الآلات لا يمكن أن يتعلمه عملياً الا بتدريب استاذ ماهر في الموسيقى فالعود أقرب للتعليم وأسهل من جميع سائر الآلات وللشعراء المتقدمين أشعار كثيرة في العود وقعنا على البعض منها نذكرها لما لهذه الآلة من الأهمية العظمى بين غيرها من الآلات وأحسنها قول من قال :

كأنما العود فيما بيننا ملك ... يمشي الهوينا وتتبعه عساكره
كأنه إذ تخطى وهو يتبعه ... كسرى بن هرمز تقفوه أساوره
لو كان زرياب حياً ثم اسمعه ... لمات من حسد إذ لا يناظره

وقول (أبي بكر الصولي) :

ربّ لحن أرق من دمعة الـ ... ـصب وشكوى المتيم المهجوري
صافح السمع بالذي يشتهيه ... وأذاق النفوس طعم السرور

وقول (مجد الدين بن تميم) :

ومهاة قد راضت العود حتى ... عاد بعد اللجاج وهو ذلول
خاف من عرك اذنه إذ عصاها ... فلهذا كما تقول يقول

وقول (ابن معصوم) :

وعود به عود المسرات مورق ... يغني كما غنَّت عليه الحمائم
يرنّح من يصغي اليه صبابة ... كما رنحته في الرياض النسائم

وقول (صفي الدين الحلي) :

وعود به عاد السرور لأنه ... حوى اللهو قدماً وهو ريان ناعم
يعذب في تغريده وكأنما ... يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقول (أحمد الطيبي) :

من أين للعود هذا الصوت تطربنا ... ألحانه بأطاريف الأناشيد

أظن حـــين نشـــا في الدوح علـّمه ـــ سـجع الحمـائم ترجيع الأغاريد

وقول (أحمد الجوهري) :

فاق كل الأنـــام في اللحن عـود ـــ حـــين تعلـو أصــــواته وترن
فكـــأن الحمـــام دهـــر طويل ـــ علمتـــه ألحانهـــا وهو غصـــن

وقول (برهان الدين القيراطي) :

يا صاح قم فالكأس صح مزاجها ـــ ووفت لك الأيـــام بالمقصـــود
والعـود لاطفـه طبيب بالغنـــا ـــ درب اذا مـا جس نبض العـود

وقول (الشامي) :

وكأنه في حجرها ولد لهـــا ـــ ضمّته بين ترائب ولبـــــان
وغدت تدغدغ بطنه فاذا سها ـــ عركت له اذنـــاً من الآذان

وقول (الحمدوني) :

ونـاطق بلســـان لا ضـمير له ـــ كـــأنه فخـذ نيطت الى قـــدم
يبدي ضميرسواه فيالحديث كما ـــ يبدي ضـمير سـواه ناطق فهم

هذا هو العود وما قيل فيه :

القـــانون

أليس المثل الأعلى لكل مخترع أن تسفر نتيجة اختراعه عن اكتشاف شيء ثمين يخلد بخلود البشرية أجل اخترعت آلة من الآلات الموسيقيـــة عرفت (بالقانون) سدت فراغاً كان في عالم الطرب وملأت ارجاء المعمورة انساً وفرحاً • ولقد خيـّل لمخترع هذه الآلة العجيبة انه أضاف حسنة فنية الى حسناته العلمية وفعلاً تم له ما أراد ، رحم الله (الفارابي) ومرحاً (لأبي النصر) فانه قلد جيد الفن بهذه التحفة الثمينة فهي لا تزال تنشد له نشيد الفخر والأعجاب ، اخترع الفارابي هذه الآلة العجيبة الصنع الغريبـــة التركيب فجاءت آية من آيات الفن ومعجزة من معجزات العلم اخترعهـــا بشكل هندسي وركب أوتارها بكيفيات متناسبة فكانت ملائمة وكانت ملـذة ألفتها الطباع وارتاحت اليها النفوس ، وان من يرهف السمع لهذه الآلة

لابد وأن يسمع صوت آلتين تعزفان معاً ولابد من أن يدفعه حب الأستطلاع على سنة (العلم بالشيء ولا الجهل به) لمعرفة كنه هذا السر وما هو هـذا المغيّب بين الوتر والخشب ذلك هو ثمرة اشتغال يد العازف وتنقلهـا من مكان الى آخر باصول فنية وحركات متزنة لا يعرفها الا أربابها ، فالعازف بهذه الآلة تكون في وقت العزف جميع المقامات التي يحتاجها من قراراتها وجواباتها مبسوطة امامه ويداه متفرغتان للعزف عليها فيكون المسموع من الآلة صوتين قراراً وجواباً والاشتغال بها محصور ضمن المقامات الموضوعة لها وعددها (أربعة وعشرون مقاما) هذا من جهة الوضع وأما من جهـة تركيب الأوتار أى (الدوزان) هو أن يشد لكل مقام منالأربعة والعشرين المارة الذكر ثلاثة أوتار متساوية وهذه الثلاثة تسمى باصطلاح الموسيقيين وتر واحد ويكون أغلظ مما فوقه وأرق مما تحته هذا هو (القانون) الذى اخترعه ووضعه (أبو النصر محمد بن طرخان) الملقب (بالفارابي) نسبة الى مدينة (فاراب) وهي من مدن تركستان ما وراء (نهر جيحون) ولـد هذا الحكيم بهذه المدينة سنة ٢٥٩هـ وينسب اليها أيضاً (أبو نصر اسماعيل بن حمـّـاد الجوهري) صاحب (الصحاح) المتوفى سنة ٣٩٨هـ ولما نزح الفارابي من هذه المدينة كان صغيراً لم يبلغ الحلم وحل ببغداد عاصـــمة العلوم والفنون حيث أتقن اللغة العربية ومهر في الطب وتفرد بالمنطـــق واشتهر في الفلسفة وتفنن في الموسيقى وبعد ان ذاع صيته وطبقت الخافقين شهرته اختار المقام في مدينة (حلب) بظل (سيف الدولة الحمداني)فكان موضع أعجابه ومن المقربين اليه الى أن وافاه الأجل المحتوم بمدينة (دمشق) سنة ٣٣٩هـ ولم يخترع الفارابي آلة (القانون) وحدها بل اخترع آلـــة موسيقية غيرها تتألف من عيدان يركبها ويضرب عليها فكلما اختلف تركيبها اختلفت أنغامها • ومما يحكى انه كان مرة في مجلس (سيف الدولة) فسأله هل تحسن العزف أجاب نعم وأخرج من وسطه خريطة ففتحهـــا وأخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك كل من كان في المجلس ثم فكها وغـّـير تركيبها الأول ولعب بها أيضا فأبكاهم ورجع غـّير تركيبها مرة ثالثة فناموا جميعا حتى البواب وخرج دون أن يشعر به أحد ، هذا ما رواه

(ابن خلكان) ومما يدل على سعة اطلاع الفارابي ومقدرته الفنية بعلم الموسيقى مؤلفاته العديدة وأشهرها كتاب (الموسيقى) وكتاب (المدخل) فلقد قارنهما بالقواعد التي كان يرغب في ادخالها بهذا الفن الذى كانت تسمعه اذناه وتتداوله الناس من حوله وعلى مقربة منه وبعد جهد جهيد وبحث متواصل تمكن من اضافة شروحات وتفصيلات كافية ولولاها لبقى علم الموسيقى كما هو عليه في ذلك الزمن الى يومنا هذا ولقد أحسن (فتح الدين بن الشهيد) في وصف عازف على القانون حيث قال :

غنى على القانون حتى غدا ... من طرب يهتز عطف الجليس
فحنّت الأرواح من شدوه ... الى أنيس يا له من أنيس
داوى قلوباً من غليل الأسى ... وكان فيه من هواه رسيس
فصاحت الجلاس عجباً به ... يا صاحب القانون أنت الرئيس

وأحسن منه قول (الصفدي) :

لي مطرب كملت جميع صفاته ... متأدب الحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس ندماؤه ... يأتي ويجلس فيه بالقانون

هذا هو القانون وهذا كل ما عرفنا عنه .

الربابة

لا أخال أحداً يجهل ما (للربابة) من الأهمية العظمى والصيت الذائع في البلاد العربية كافة وما لصوتها الشجي المطرب من التأثير على النفوس فهي وان كانت آلة بسيطة غير مهذبة فرغماً على بساطتها انها عجيبة الصنعة غزيرة المادة عاشت قروناً عديدة لم يطرأ عليها أى تبدل وتحسن ورغم تقادم عمرها لم يذكرها المؤرخون ضمن تدوينهم ولا الفنانون في سياق فنونهم الا ما أوجزه (النابلسي) في هامش رسالته (الدلالات في سماع الآلات) اذ قال ان الربابة آلة موسيقية عربية قديمة نشأت في الجزائر وتونس ومراكش وبعد ان استعملت هناك انتشرت في البلاد العربية الأخرى وخاصة بين سواد العراق ، وذكر في كتاب (تاج العروس) ان الربابة آلة لهو لها أوتار يضرب بها وأشهر عازف بها هو (ممدود بن عبدالله الواسطي

الربابي) كان يضرب به المثل في معرفة الموسيقى بالربابة مات في بغـــداد سنة ٦٣٨هـ والغريب في هذه الآلة هو ان في العراق اليوم يشد عليها وتر واحد وهو جزرة من شعر الخيل والعازف بها يضعها على فخده اليســرى وهو جالس قابض عليها بيده اليسرى وفي اليد اليمنى القوس وهو أيضــاً من شعر الخيل فيعزف وتخرج منها أنغاماً متناسبة وملذة واكثر الغنــاء بها (العتابه والنايل) وهو غناء عرب العراق ، وأشهر عازف بها اليوم رجــل اسمه سعيد الملقب (بعگار) وكثيراً ما يستعمل الربابة (الغجر) الكاولية



عائلة غجريــة

وهؤلاء اناس محتقرون وليس لهم منزلة عشائرية بين عرب العراق وغيرهم فنراهم منبثين داخل القطر وخارجه يســـتجدون بطريقة الغناء وبرقص النساء على هذه الآلة وقد جعلوها باباً لمعيشتهم فيقصدون شيوخ العشــائر ويحضرون (ديوان) أي المجلس فيغني أحدهم العتابة والنايل مادحاً بهما الشيخ ومن ينتسب اليه من عشيرته فيزيد الشيخ باكرامه فينصرف العازف شاكراً عطاياه ومن أحسن ما قيل في هؤلاء قول شاعر في مغني يغني على الربابه وقد أحسن في التورية :

لاتبعثو بسوى المهذب جعفـــر فالشيخ في كل الأمور مهـــذب
طوراً يغني بالربـــاب وتـارةً تأتي على يـــده الرباب وزينب

والرباب هنا يقع على اسم امرأة وهذا الاسم كثيراً ما يتغزل بـــه الشـــعراء •

الكمنجـــة

لهذه الآلة تاريخ عجيب بين تواريخ الآلات الموسيقية فما من آلة في عالم الفن الا واحتاجت الى مجهود كبير وزمن طويل كي تصل الى حـــد مرضي الا (الكمنجة) فهي وان كانت بهذا الشكل اللطيف الذى نـراه اليوم فانها لم يضف عليها شيء يستحق الانتبـــاه ويظن البعض انها من مخترعات الافرنج وهذا غير صحيح وانما تمخضت الربابة فأولدت جنينـا وذلك الجنين هو الكمنجة بعينها • ولقد ظهـــرت الكمنجة الى عالم فن الموسيقى من مصانعها الاولى في القرن السادس وهي غير كاملـة الترتيب وبعد أن تلقفتها الأحضان اعتنى بتربيتها فخرجت ترفل بحلتها القشيبة كما نراها اليوم وقد كان في أوربا في أواخر ذلك القرن وقبل ظهور الكمنجة آلات وترية عديدة من هذا النوع تعزف بقوس وذكر (المسعودي) عن (ابن خرداذبه) قال ان للروم من الملاهي (الأوعر) وعليه ستة عشـــر وترا وله صوت بعيد وهو من صنعة اليونانيين (والسلبان) وله أربعـــة وعشرين وترا وتفسيره (الغصون) ولهم (اللوزا) وهي الربابة معمولة من خشب ولها خمسة أوتار وأظنها هي الكمانة التي نسمعها اليوم مـــع السنطور في (چالغي) بغداد • وكان موجود في القرن الحادي عشر آلة اسمها (كروث) قريبة الشبه بآلة يستعملها الاتراك يطلق عليها (رانبه) فهذه الآلات وان كانت مختلفة الاحجام فهي من فصيلة الربابة هذا ماوقعنا عليه والخلاصة ان الربابة هي الكمنجة والكمنجة هي الربابة بشـــهادة الغربيين أنفسهم ولا ينكر انهم وضعوها حين العزف فوق الصـــدر بينما العرب كانوا يضعونها فوق الفخذ والمتفق عليه اليوم عند أرباب الفن هو أن يشد على الكمنجه أربعة أوتار أغلضها وتر ملفوف عليه سلك رقيق من نحاس وهو الأول وقد جعلوه (قرار الرست) والثاني وتر أرق منـــه

جعلوه (يگاه) والثالث أرق منه جعلوه (دوگاه) والرابع خيط مزدوج أو مبروم من حرير أرق منه جعلوه (نوى) وهذا التركيب غير مستعمل الآن فلقد جرت العادة في مصر وسوريا والعراق وسائر البلاد العربية أن يشد وتر الأول ويسمى (الكردان) والثاني (نوى) والثالث (دوگاه) والرابع (يگاه) وقد جعل هذا التركيب لسهولة الأخـــذ والعزف بها •

وقبل أن ننتهي من بحثنا هذا نود أن ينتبه القارىء فيما اذا كان من هواة الموسيقى وهو في دور التعليم في العزف على الكمنجة وهذا أكبر درس تفضل به علينا استاذ كبير من أساتذة هذا الفن فالمتعلم لا يستغني عنه فانه وان يكن بسيط فهو لا يخلو من بعض الفوائد • ان مثـــــال العزف على الكمنجة كمثال العزف على العود وذلك أن تمسك الكمنجة باليد اليسرى والقوس باليد اليمنى كما هو متبع وقبل كل شيء يكون مســـكها بطريقة اصولية وقاعدة فنية تجعل العزف سهلا متقنا خاليا من الأغلاط ولزام على العازف أن يراعي في العزف ثلاثة شروط (الأول) أن لا يترك أعصـابه تتصلب بل يمسك الكمنجة بكل ما يستطيعه من اللين والراحة ويبذل أقل مقدار من قواه العصبية فـــكأنه يعمل عملا عاديا بسيطا كسائر الأعمال اليومية (والثاني) أن يضع العازف كفه فوق عنق الكمنجة ويسندها الى كف يده اليسرى بصورة لا تلامس الأوتار ولا تكتم الصوت ولا تحول دون خروجه بأي شكل من الأشـــكال ومكان الكمنجة من الكف عمق الفراغ الكائن بين اصبعي الابهام والسبابة (والثالث) أن يضع العـازف أصابعه على الأوتار برشاقة ويحركها بانتظام بصورة يخرج منها الصــوت واضحا وواجب على العازف اسناد الكمنجة الى الكتف الأيسر فوق العظم البارز (الترقوة) في أعلى الصدر بين رأس الكتف والعنق ويسند اليهـــا الذقن بضغط لطيف ومكان الذقن يكون على صدر الكمنجة أي على وجهها من جهة الوتر الأعلى المسمى (يگاه) ويجب عليه أيضا أن لا يميل برأسه الى اليمين ولا الى اليسار ولا ينحني به الى الامام ولا يلقــه الى الوراء بل يجعله مستقيما عموديا بقدر الامكان وهذا لا يسهل الا اذا كانت طريقة مسك القوس والكمنجة متقنة فاذا المتعلم راعى هذه القواعد وعمل بهـــا

استطاع بمدة قصيرة أن يجيد العزف على هذه الآلة ويوقع عليها بما هو أرق وأعذب الألحان والأنغام هذا ما أدلى به ذلك الاستاذ من الارشادات القيمة ومن الذين اشتهروا في العزف على الكمنجة اليوم اثنان لا ثالث لهما الاول : (سامي الشوا) وهذا في مصر والثاني (صالح الكويتي) في العراق ، أما سامي فشهرته تكفيه ، وأما صالح فهو فنان عبقري رضع من لبـــان الطبيعة واستلهم من وحي الفن فكان نابغة من النوابغ وفلتــة من الفلتات الطبيعية ، الكويتي فنان بائس وبائس فنان ورب بائس بفنه يشار اليـــــه بالبنـــان .

نشاهد الكويتي والكمنجة على صدره كالطفلة على صدر امها يناجيها فتبكي وتبكي فيناجيها واذا ما عزف تطيعه القلوب الصلبة وتنقاد له الأجمحة القوية ولله في خلقه شـــــؤون ، الكويتي كالشمعة يحترق ليضيء للناس والناس في طربهم لاهون ، الكويتي نزعة فنية خلق فأدرك وجمع فوعى فهو واحد بجمع وجمع بواحد وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد ، هذا ما نقوله في صالح الكويتي . وفي الكمنجة قد أحسن (الشيخ شمس الدين النواجي) حيث قال :

قم يـــا نديمي وبـــادر   الى ســـماع الكمنجـــا
فليس من راح منــــا   وراح عنـــا كمنجـــا

وأبدع غيره في وصف عازف على الكمنجة فقال :

فيا منقذ الصـب المحب من الضـنى   ويا حسن الوصـف المكمل بالذات
فما الناي بالقانون فارحم ورق لي   امهلـكتي تبغي وأنت كمنجـاتي

(وللشيخ شـــهاب الدين بن حجر) في وصف جاريـــة تعزف بالكمنجة مواريا :

ما بالهـــا هجرت وكم مر لي   منهـا الرضى في سالف الأعصار
وقضيت منها اذ شـدت بكمنجة   مـا بين سـالف نغمة أو طـــار

ولا تخفى حسن التورية من كلمة (أوطار) فالطـار آلة موسيقية فارسية .

كثير من الناس من يروق لهم التحدث عن الاكتشافات والمخترعات التي ساقتها الاتفاقات والمصادفات فتدفقت على أربابهـــا فيوض الخيرات والنعم ونالوا من منافعها العظيمة شهرة واسعة ومكانة ســامية ، ولا ننكر وجود اكتشافات من هذا النوع ولا نشك في أن المصادفات والاتفاقات قـد تأتي بما لم يكن في الحسبان ولكن لو نظرنا بعـين الحقيقة نظرة الباحث المتطلع الى تواريخ الاكتشافات والاختراعات لظهر لنا انها قلما تكون على هذا المنوال وان كانت بسيطة لا تستحق الذكر على حين ان أغلبها ثمرات دروس دقيقة وجهود متتابعة وأبحاث طويلة وربما كان البعض منها نتيجة ملاحظات وتأملات عميقة في الظواهر الطبيعية ، ان المكتشف بمواهبـه كالشاعر الخيالي يرجع الى التصوير والتمثيل وناهيك بمكتشف آلــة (الناي) فلقد اكتشفها حينما لجأ الى أحد الغابات في وقت كانت فيه الريح عاصفة ثائرة فسمع صوتا صغيرا يتخلله نغم لذيذ ناعم وبسماعه له شعر أن كنوز الأرض انفتحت أمامه وأدرك ان لهذا النغم سراً عجيباً كاملا في أفواه القصب المقطوع والمبعثر في الغابة وهناك صمت طويلا وتأمل جيداً وعرف ان الرياح لما مرت بذلك القصب المقطوع والتقطت أفواهه زفراتها أخرجت ذلك النغم الطيب فلم يتردد طويلا وأخذ قصبة أدنا فوهتهـا من شفتيه وأشبعها نفخاً بكل ما في وسعه فسمع نغماً أحدث في نفسه طربين طرب الاكتشاف وطرب الموسيقى غير أنه ما اكتفى بما تيسر له للحصول عليه ومن طبع المكتشف أن لا ترضى عبقريته بالوقوف عند حد الحقائق المستخرجة ولابد له من التوسع في البحث الى أقصى الأعماق للوقوف على كنه الأسباب والعوامل نعم ما كان يكتفي ذلك المكتشف بل أعمل فيالقصب م' كان في حوزته من سلاح حاد وثقف قصبة اخرى وهو لا يدريماالذي تخبأ له من الأسرار الغامضة فبدأ ينفخ في القصبة بعد أن أحكم فوهتهـــا من شفتيه بالوضع الذي تسنى له به اخراج ذلك النغم فأخرجت له القصبة الثانية نغماً غير الذي سمعه من الاولى فوقف وقفـــــة الحائر المدهوش لا يعرف ماذا يعمل فصمم على مواصـــلة البحث والتنقيب في تجـــاربه

واختباراته رغم الأوهام التي استحوذت على مشاعره ثم قطع قصبة ثالثة وأخذ ينفخ فيها فأحس ان غيوم الأوهام والشكوك أخذت تنقشع أمام مخيلته وأن بارق الأمل بدأ يلوح له على أثر سماعه من القصبة الثالثة نغماً ذا طبقة مختلفة عن القصبة الاولى والثانية وبعد أن كثرت تجاربه ضل يفكر في العوامل ثم واضب في التأمل والبحث على مرور الليالى :

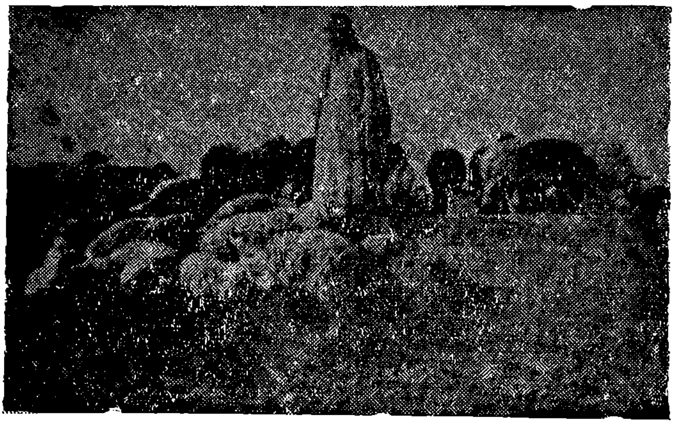
والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

وهناك خطر له يوما أن يثقب القصبة من جانبها وبعد أن ثقبها في مكان من سطحها ونفخ فيها سمع نغما غير الذي صدر من القصبة قبل أن تثقب فسد الثقب بأحد أصابعه فسمع النغم الأول وكأن القصبة لم تثقب ثم رفع اصبعه من الثقب وتركه مفتوحاً ونفخ فتغير الصوت مثلما تغير في المرة الاولى فرام المزيد من الثقوب فأحدث ثقبا ثانيا ونفخ فسمع نغما جديدا غير الاول والثاني وتلاه بثقب ثالث فسمع نغما رابعا وفي الحال دبّت برأسه نشوة الفوز والنجاح بدون أن يفكر أن هذه الثقوب لم تضع على قواعد حسابية ونسب رياضية وانما وضعت على مسافات مختلفة غير منظمة وأبعاد أوجدتها المصادفة ولذلك كانت أنغاما لا تناسب بينها ولا ائتلاف لأن تلك الثقوب انحصر استعمالها في اليد اليمنى فقط ولأصابعها الثلاث (السبابة والوسطى والبنصر) ولم يفته النقص الحاصل فأضاف ثقبا رابعا كيلا يحرم اليد اليسرى من العمل فجعل لكل يد ثقبين واستعمل أصابع اليدين (البنصر والوسطى) وبنتيجة تفكره العميق اكتشف اكتشافا آخراً وهو (السلّم) الموسيقي المدرج من القرار الى الجواب واتضح له فيما بعد أن هذا (السلّم) لا يتم ولا يكمل الا اذا ثقبت القصبة سبعة ثقوب في مواضيع هندسية صحيحة ست منها لأصابع اليدين (السبابة والوسطى والبنصر) والسابع (للابهام) على أن يكون الأخير من خلف القصبة وفي منتصف طولها بالدقة التامة ليخرج الصوت الثامن وهو الجواب الذي يكمل به الديوان الموسيقي وبالفعل تم له ما أراد ، هذا هو الناي وكيفية اكتشافه .

الشبابة

آلة موسيقية أدق الآلات صنعا وأحلاها صوتا وأرقها نغما وتعد من

فصيلة (الناي) وهي أنبوبة مجوَّفة مأخوذة من الغاب ومهذبة تهـــذيبا صناعيا تستعمل بوضع فتحتها العليا على الفم وضعا مائلا بحيث يمس جـزء منها جزءً من الشفتين ويكون جزؤها الآخر بعيداً عن الشفتين لأجل أن يلتقي الهواء الخارج من الفم عند النفخ وبذلك الجزء البعيد يحصل الصوت (والشبابة) عربية تستعملها عرب البادية وأكثر من يستعملها رعاة الغنم فاذا ما عزف الراعي بها وسمعت أغنامه وهي ترعى في الفلواة خفت اليـه



راعي الغنم

واجتمعت حوله من كل فج وصوب ولابن قرناص مضمنا في شبابة قوله :

ومشبب بجفاه راح يقتلنـــا وان تداركنا بالنفخ أحيـــانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته (والاذن تعشق قبل العين أحيانا)

وأحسن منه قول (صفي الدين الحلي) :

تنا وكاساتنا صـــرعى ومطربنـــا يعيد أرواحنا في مبـــدء الطرب
بعث أتانا فلم نعلـــم لفرحتنـــا أتى من الصور أم من نفخة القصب

وقول (زين الدين بن عبدالله) :

ونائحة صـــفراء تنطق عن هوى فتعرب عما في الضـــمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعارها أنابيب في اجوافها الريح تصفر

وقول (محي الدين بن عبدالظاهر) :

وناطقة بالروح من أمر ربهــا　　تعبر عــما عندنــا وتترجــم
ســكتنا وقالت للقلوب فأطربت　　(فنحن سكوت والهوى يتكلم)

وقول القاضي (جمال الدين التبريزي) :

وناطقــة بأفواه ثمـــــان　　تميــل بعقل ذى اللــب العفيف
لكــل فم لســـان مســـتعار　　يخــالف فيــه تقطيع الحروف

وقول (سيف الدين المشد) :

ومطرب قد رأينــا في أنــامله　　شــبّابة لســرور النفس أهّلها
كأنه عاشــق وافت حبيبتــه　　فضــمها بيديــه ثم قبلهــا

وقول (الشيخ بدرالدين بن الصاحب) :

يا مهدي الأقصاب من ســكر　　صــفرا حكى سمر القناطولها
إيــاك أن تقطعهــا ســاعة　　فــأطيب الأقصــاب موصولها

وقول القاضي (تقي الدين) الملقب بابن البيت :

وناطقة خرســاء باد شــجوها　　تكنفهــا عشــر وعنهن تخبر
يلذ الى الأســماع رجع حديثها　　إذا ســد منها منخرجاش منخر

وقول (مجيرالدين بن تميم) :

وشبّابة قد كنت أهوى سماعها　　وقد صرت منها عند مابت انفر
وها انــا قــد فارقتهــا غير نادم　　وكم مثلها فارقتهــا وهي تصفر

وقول (جمال الدين بن نباته) :

اصــغ لمــا قــد قالــه أحور　　وخل قبل اليــوم مــا قيــلا
واســمع مقــاطيع لنــا اطربت　　فــلا تقل إلا مواصــــيلا

وقول (ابراهيم المعمار) :

ومشبب أبدى لنــا　　قولاً بنغمته الشهية
متعـــاتم فكــأنه　　متكلم بالفارســية

المزمــار

واذا ما أردت أن أقول عن المزمار وما له من المركز الفني بين آلات

الموسيقى فأقول ان لهذه الآلة البسيطة فن جميل كما للناي والشبّابة اتخذه العرب ملهاة لهم وواسطة طرب ليوم أفراحهم وأعراسهم وكانوا يعدونه في طليعة آلاتهم ويقول لنا (ابن خلدون) في مقدمته ان (المزمار) آلة موسيقية ويسمى (المزمار الزلامي) نسبة الى (زنام الزامر) وهو الذي أحدثه وتدعوه العامة (الزلامي) فصحفوه بابدال نونه لاماً وانما هو زنامي بدليل قول الشاعر :

ان في ناي زنام شغلا يشغل العاقل عن ناي زنام

وهو شكل القصبة منحوت الجانبين من الخشب أجوف من غير تدوير لأجل ائتلافه من قطعتين منفردتين بأبخاش أي ثقوب معدودة .. ينفخ فيه بقصبة صغيرة توصل به فينفذ النفخ بواسطتها اليه ويصوت بنغمة حادة تجري فيه تقاطيع الأصوات من تلك الثقوب بالأصابع مثلما يجري بالناى والشبّابة ومن طرائف ما يروى عن المزمار أن هرون الرشيد قال للقاضى (يحيى بن اكثم) بلغني عنك انك تحسن الزمر . قال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال له : أريد أن أرى واشاهد وأسمع ذلك منك . فقال : لتحضر الآلة ويحضر من ينفخ فيها فان العلم غير العمل ويليق العلم بذلك فلما احضرت الآلة وضع القاضى أنامله على ثقوبها ونفخ الزمار فأظهر من حسن الصنعة ما لا يحسن أحد صنعه فتعجب الرشيد وطرب . فقال القاضى يا أمير المؤمنين اني ما رأيت علماً قبيحاً الا ورأيت الجهل أقبح فتعلمته وقد قالوا ان العلم بكل شيء أفضل من الجهل به وفي ذلك قيل :

تعلم السحر ولا تعمل به فالعلم بالشيء ولا الجهل به

(ولسيف الدين المشد) يصف زامر بقوله :

وزامر يبعث في زمره الى قلوب الناس افراحا
كأن اسرافيل في صوره ينفخ في الأصوات ارواحا

والمزمار اليوم كثيراً ما يستعمل في العراق وخاصة في جنوبه مصحوبا مع (الطبل) وأهل بغداد لا يستعملون المزمار الا والطبل معه وتضاف اليهما (النقارة) وكان قبل الحرب العالمية الاولى يستعمل في لعبة (الساس) وتقام

هذه اللعبة في حفلات الأعراس والختان ولكن مع توالي الأيام وكر السنين انقرضت هذه اللعبة وأصبحت في زوايا النسيان ولم يذكرها أحـــــد من الناس •

وأشهر عازف بالمزمار يومذاك هو المرحوم الحاج خضير بن گصب واليك ترجمته :

لو ألقينا نظرة في تاريخ فن الموسيقى العراقية لعثرنا على عدة فرق تكونت في مختلف العهود والمناسبات ولم نعثر على من تصدى للأخـــذ بنصرة هذا التراث الخالد وان أفراده المعدودين لم يتمكنوا من القيـــام بأعمال واحداث وتطورات وانقلابات فيه وظلت (الكمانة) تلك الكمانة و (السنطور) ذلك السنطور حتى سمعنا ونحن في غفلة صوت (مزمار) يعزف المقامات العراقية بحذافيرها فأخذنا العجب وكادت نفوسنا تطير فرحا وسروراً لتلك الأنغام الشجية والأحاسيس الفنية فسألنا عن مصدر تلك الأنغام ومن الذي أوحى بها في عالم الفن فقيل لنا (بن گصب) ومن هو ابن گصب ؟

هو خضير أو الحاج خضير ابن گصب !

نشأ هذا المتفنن نشأة شباب عصره الذين كانوا يتباهون في ســـماع المقام العراقي ويتفاخرون بالمبارزة في لعبة الساس وهذه اللعبة قديمـة في بغداد كما ذكرنا •

فاولع بها ابن گصب كما اولع في المقام العراقي فاخذ يغشى حفلات الأفراح والأعراس ليسمع الغناء من جهابذة المغنين وفي مقدمتهـــم المغني المرحوم احمد زيدان حتى اتقن جميع المقامات وانصرف الى العزف بالمزمار وتعلم مبادىء النفخ والعزف على العازف الشهير (خلف البياتي) ثم انعكف الى عازف (الكمانة) (نسيم بصون) العازف الشهير يومذاك ولازمه وقـد توسم فيه بصون المواهب التامة اخذ يدربه على ملتزمات العزف شارحا لـه اصول المقامات العراقية وما يتبعها من (تحرير وتسليم وشـــعب وميانات وپردات) حتى نبغ واشتهر واخذ الناس يطربون لسماع مزماره ولما شعر انه نال مراده انخرط الى لعبة (الساس) وكون له فرقة تتالف من مزمارين



خضـــير بن گصب

يتقى بها لاعب الساس الضربات بالسيف اثناء اللعب ، فكان محور دائرة رطبلين ونقارة مزودة بسيفين وجنتين والجنة بضم الجيم هي الدرقة التي تلك اللعبة ودعامتها التي ترتكز عليها الجولات والحركات المتشبعة بروح الفروسية والشجاعة العربية !

وان المتتبع للأثر الذى احدثه بن گصب بمزماره في نفوس الجمهور العراقي يرى انه وصل الى ما لم يصل اليه عازف من قبله اذ يعبر بعزفه عن جمال غناء المقام العراقي وان الناس يرون حياتهم فيه فهم يعجبون بـــه ويطربون له وبعد هذا كله فقد اسدل التاريخ على شـــخصيته ستر النسيان فرحمة الله عليه واسكنه فسيح جنانه .

الســــنطور

من عرف آلة (السنطور) لابد وأن يشتاق لرؤيتها ويحب ســـماعها ومن سمعها يدرك لأول وهلة انها آلة موسيقية قديمة أكل الدهر عليهـا

وشــرب وقد يتبادر الى الذهن قبل امعان النظر اليها انها آلة بسيطة ليست كسائر الآلات الموسيقية وهذا خلاف ما أظهرته فكرة مخترعها ومنشــئها ونحن بدوزنا هذا اذا ما استفضنا البحث عن هذه الآلة فاننا نستفيض غـيرة وحرصاً على أثر ثمين من آثار السلف الماضي أعده لجيل مقبل يشــنف به السمع ويجعله قلادة في جيد الأنس ومجال الطرب ومما ينبغي ذكره ويجب بسطه ما رواه (أبو محمد المنذري) في كتابه (الترغيب) حيث قـــال (السنطور أو السنطير) آلة موسيقية قديمة عديمة المثال اخترعها (الفلهبذ) المغني الفارسي في عهد (كسرى أنو شروان) وكسرى هو (قبـــاذ بن فيروز) وفي زمانه ولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ان وضعها وضعاً هندسياً بشكل منحرف جعل أوتارها اثنى عشـــر وتراً من نحاس كل وتر يحتوى على أربعة أوتار متساوية في الغلظ والدقة وبهـذا الوضع ضلت تجوب انحاء فارس وبقيت هناك وفي منتصف القرن الســادس للهجرة أي في اواخر (الدولة العباسية) دخلت هذه الآلة بغداد يوم كان اللهو والطرب غالبين على الخليفة (المستعصم بالله) وفي ذلك الزمن قيض الله لها (حكيم بن أحوص السندي البغدادى) فهذبها وزاد على أوتارهـا تسعة أوتار لأمر فني في صوتها ورقة أنغامها ثم قسم الأوتار الى ثلاثة دواوين وهي المعمول بها اليوم وتسمى هذه الدواوين باصطلاح أهل الفن كما يأتي الديوان الأول يقع من يسار العازف يسمى (سلطاني) والثاني ويقع في وسط الآلة ويسمى (النيم خانات) أى الأنصاف والثالث يقع عن يمـــين العازف ويسمى (القبوات) أي القرار هذه هي آلة السنطور التي اذا سمعها أي فرد من أفراد الشعب العراقي يحس باحساسات قديمة كامنة في قلبه فتمتزج في الروح وتلتهب العاطفة وتلمس المشاعر والشعب العراقي أكثر الشعوب الشرقية تعوداً على سماع أنغامها وارهاق السمع الى ما توحيه اليه لأنها رسول مقاماته وبشير أغانيه ولقـد اختفت هذه الآلة فجأة وأصبحت منسية لا تذكر الا في تاريخ ما قبل الحرب العظمى الاولى رغم وجود من يحسن العزف عليها بجدارة ومهارة فائقة وأشهر عازف بها الاســـــتاذ (حوگي بتو) توفى سنة ١٣٥٢هـ ولا نشك اذا ما قلنا ان سبب اخفاء هذه

الآلة هو انحياز الأكثرية من الشعب العراقي الى سماع الموسيقى الافرنجية ولم أدر كيف ألهته هذه عن آلته الشجية المطربة وكيف جعلته لا يفكر بها طيلة هذه المدة وهو الذي جبلت طبيعته على حب سماعها حتى حلت بكل جارحة من جوارحه والخلاصة ان هذه الآلة بعثت من مرقدها بفضل الاذاعة اللاسلكية العراقية .

الطنبور البغـــدادى

ولعلنا نعطي موسيقانا العربية حقها اذا ما أعدنا ذكريات الماضي المجيد من أحاديث الرواة والمحدثين وما كان الأجداد يستملحون به في مجالس الملوك وقصور الخلفاء من طرب وانس وجد وهزل وكأننا ونحن في نقل الحديث معاصرون لهم وان كان نجم عزهم أفل فنعيد اليوم ذكريات هذا الفن المستفيض بالسعادة النفسية ونحترمه بلهف وشوق فباحترامنا لـــه نحترم امة لها مكانتها الرفيعة في تاريخ الفنون ولها حرمتها المقدســة في الآداب ولأعمالها الجليلة الصدى الحسن في آفاق كافة المعمورة ، نعيـــد ذكرى أيام كانت لها الموسيقى العربية وآلاتها العجيبة تنطق بأصوات كانت ممزوجة بخرير المياه وحفيف الأشجار وهديل الطيور وتغريد البـــلابل وهبوب النسيم وصليل السيوف وقعقعة السلاح ، نعيد اليوم ذكرى أيام صافحت بها لغة الأوتار لغة اللسان فكان شعراً وكان غناءً التقيا في فــكرة الالقاء وافترقا في صــــورة الأداء ، نعيد اليوم ذكرى أيام وقفت بهـــا (عبيدة الطنبورية) بين يدي الخليفة المأمون تعزف بآلة الطنبور وتغني :

قريب غـــير مقترب	ومؤتلـــف كمجتنب
له ودي ولي منـــه	دواعي الهم والكرب
أواصـــله على سـبب	ويهجرني بلا سبب
ويظلمني عـلى ثقـة	بـــأنّ اليه منقلبـي

نعيد ذكريات أيام كانت بهـــا آلة الطنبور تحلى بالذهب الوهاج وتزركش بالأحجار الكريمة ، أما اليوم فلا طنبور يذكر ولا غناء يشــكر أين ذهبت تلك الآثار الثمينة وأين حدث بها صروف الزمان وتقلبات الأيام، لماذا ابتعدت عن مجالس الملوك ونوادي السراة فحرمت منها الاسماع ،

سل أي موسيقي عراقي عن آلة الطنبور البغدادي وعن شكلها ووضع دساتينها ومسافة أوتارها وماهية أنغامها وألحانها ، سله ولا تخف وأنا ضمين لك بأنه يجيبك بالسلب والله يعلم انه لا يعرف عنها شيئا رغم شهرتها وتسميتها ، فلئن نسي أو تناسى نحن لا ننسى حديث (الفارابي) وما تكلم عنها باسلوب فني مشبع بالقواعد الفنية الموسيقية ولقد قسم دساتينها الى عدة أرباع وأثمان جاعلا بعض الحروف الهجائية علامات فارقة لها مما يجعل كل فرد من أرباب هذا الفن يعتقد كل الاعتقاد ان هذه الآلة عراقية المنشأ بدون شك وريب وزاد على عمله قوله • والذي يعرف من آلات الطرب في البلدة التي كتبنا كتابنا هذا بها هو صنفان من آلة الطنبور صنف منهما يعرف بالطنبور الخراساني ويستعمل في بلاد خراسان وصنف آخر لايعرفه أهل العراق بالطنبور البغدادي ويستعمل ببلاد العراق وكل واحد منهذين الصنفين يخالف الآخر في خلقته وفي عظمته ولما كان الطنبور البغداديأشهر من الطنبور الخراساني جدير بنا أن نبحث عنه فهو يجانس العود وقريب منه يستخرج منه النغم بقسمة الأوتار التي تستعمل فيه وأكثر الأحيان يستعمل فيه وتران فقط وتحتوى هذه الآلة على قائمة تسمى باصطلاح أهل العراق (الزبية) ويشد فيها وتران معاً ويمدان جميعا الى وجه الآلة وينتهيان الىملويين ويقسم الوتران بخمسة أقسامتساوية تحد نقط أقسامها دساتين تشد على مقبض الآلة بخيوط كل واحد من نقط الأقسام وآخر دستان مشدود على قريب من ثمن ما بين لحاملة الى آخر ما يحرك فيها من جانب الملوي هذا ما ذكره (الفارابي) وبعد ان بقيت هذه الآلة على ما هي عليه حتى دالت دولة الفن فنبذت نبذ النواة وأصبحت من المغضوب عليها ومن هناك شالت نعامتها من بغداد الى حيث لا ندرى فتلقتها الأيدي ومن بينهم الجهلة وأحضان الرعاع وقوم من هذه الطبقة لا يعبأون بتحف الفن ولا يحتفظون بها والتحف الفنية في عصر الجهل والأنحطاط تكون من بائرات السلع وهذا على ما أظن هو العامل الوحيد لاندثار هذا الأثر النفيس وضياعه من بين أيدينا ومع الاسف المرير نشاهد في هذا اليوم وآلة الطنبور البغدادي محمولة بايدي صغار (الغجر) المعروفين (بالكاولية) عندنا ،

فقد وجدت مجهولة بايدي مجهولين يضربون على أوتارها ويرتزقون من ألحانها ويطوفون بها في المواخير والطرقات يستجدون بها فيالحسرة هذا المصير المؤلم والنهاية المحزنة •

الـــدف

وما عسانا أن نقول عن (الدف)وهو خاتمة بحثنا عن الآلاتالموسيقية فكل اعتقادنا ان كل موسيقي بارع وفنان حاذق يدرك كل الأدراك ما للدف من المنزلة السامية بين آلات الموسيقى وانه هو الميزان الفني لها أما مخترعه فقد ذكره (المسعودى) بكتابه (مروج الذهب) اذ قال ان اول من اخترع الدفوف هو (توبال بن لامك) وذلك بعد ان أوجد الطبول ولما انتشرت الدفوف وعرفت بين الناس أخذها العرب فكانوا كلما تغنوا (الهزج) وهو غناء الجاهلية الدارج عندهم يومئذ يرقصون عليه ويمشـــون بالدفوف وفي (أوائل السيوطي) ان اول من ضرب به في الأسلام(بناة النجار)في المدينة المنورة حينما استقبلن رسول الله (ص) بالدفوف يضربن ويرتجزن :

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمـد من جـار

وأول من غنى به في المدينة النساء والصبيان وذلك لما كان يوم الـذى دخل به رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينة اضاء فيها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير أى (الاسطحه) عند قدومه يقلن :

طلع البـــدر علينـا   من ثنيـــات الـوداع
وجب الشـكر علينا   مـــا دعى لله داع
أيهـا المبعوث فينـــا   جئت بالأمر المطـاع

ومن ذلك الحين بقي الدف معمول به والغناء العربي يومذاك في بـدء نهضته وفي تقدم مستمر حتى جاء المغني (طويس) فكان أشهر ضـــارب بالدف واذا غنى لم يعزف بآلة وترية بل كان ينقر بالدف • وكان في العهد العباسي المغني (حكم الوادى) مشهور بضرب الدف فهو الوحيد بـــين معاصريه في الضرب عليه • أما في الاندلس فلم يبق الدف كما هو فيالعصور الغابرة بل ربط بتعاليم وشروط فنية لا غنى لكل مغني عنها فالمغني لا يكون مغنيا ما لم يدرس علم (العروض) ويحفظ الشعر وينقر بالدف ليدله على

ميزان الفن ومفاصله وليبين له مواضع الحركات .وأما في مصر فكان نصيبه كنصيب بقية الآلات من الاعتزاز بها عندهم فقد هذبوه وجعلوه أصغر مما كان أولا وقد وضعوا له في دائرته أى على (اطاره) صنوجا من النحاس وسموه (الرق) وربطوا به كثيرا من الموشحات كما أسلفنا وقد أحسن الشاعر بقوله فيمن يضرب بالرق :

وظبي اكحل الأجفان المى أتيه به على كل الرفاق
املكه قيادي وهو رقيّ وأفديه بعيني وهو ساقي

وقوله وهو رقيّ بمعنى ملكي بضم الميم . ومثله في مليح بيده دف :

بروحي وروح الناس أفدي مغنياً بديع المحيا والملاحة والنطق
أقول له لما حوى الدف كفه أغثنا بقول منك يا مالك الرق

وقول (شمس الدين بن دانيال) في جارية تضرب بالدف :

ذات القوام الذى يهتز غصن نقاً لو مر يوماً عليه طائر صدحا
تبدي على الدف الجمار معصمها أناملاً ببنان تشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه فما ينقط اِلا كل من رشحا

واتخذ ضرب الدف من بعض الشعائر الدينية وخاصة في العراق فقد جرت العادة ان كل من يذهب الى مكةالمكرمة لاداء فريضة الحج ويعود الى وطنه يستقبلونه أهله وأقاربه ومعاريفه بضرب الدفوف وهذه الدفوف من نوع الكبار ومعلق باطارها حلق صغار منالحديد عوض(الصنوج)ويسمى الدف (مزهر)ويستعمل عند جميع مشايخ الطريقتين(الرفاعية والقادرية) وكذلك يستعمل في حفلات المولد النبوى مع ترتيل (التنزيلات) لضبطها وعدم خروج مرتليها عن الوحدة الموسيقية .

أما الصنوج فهي جمع صنج من آلات الملاهي وذكر (المطرزى)قال هو ما يتخذ من النحاس مدورا يضرب أحدهما بالآخر ويجعلفياطارالدف صغاراً وهذا شيء تعرفه العرب والصنج ذو الأوتار آلة موسيقية فارسية وكلاهما معرب .

البـــاب التاسع

الغناء في مصر

قبل أن ترتقي الموسيقى عند المصريين وقبل ما تنشر كما هي اليوم كان البعض منهم يصفقون بنغمات معهودة عندهم ومألوفة لديهم وبذلك يضبطون نغماتهم الغنائية ولم تزل هذه النغمة القديمة باقية ومألوفة عند مشايخ الذكر فترى المنشد ينشد القصيدة ويضبطها بالتصفيق وبتوالى الأيام انتقل من التصفيق بالأيدي الى الضرب بالأخشاب لما وجدوا أن الضرب بها يؤدي الى الغاية بأشد وقعا من التصفيق وضلت الموسيقى عندهم على هذا المنوال الى سنة (١١٠٠) هجرية ، وعلى أثر قدوم رجل من أهالى حلب يدعى (شاكر افندى) ظهرت في مصر حركة فكرية موسيقية بعد ان كان فن الغناء فيها مجهولاً فنقل اليها جملة موشحات وهي البقية الباقية من التلاحين التي ورثها (الحلبيون) عن الأمة العربية فتلقى هذه الموشحات عن شاكر افندى بعض المصريين وحفظوها واشتد حرصهم عليها وصار الواقفون على ماهيتها يحرمون الناس حتى من تلقينها وبقيت بينهم على حالتها الأصلية وكانت قاصرة على امهات المقامات وبعض الفروع المتقاربة لها فهي بالنسبة الى الغناء المصرى اليوم كنسبة حروف الهجاء للكلام ولتلك الموشحات أسماء خاصة عرفت بها واشتهرت بضربها وعددها سبعة عشر موشحا أولها (الخفيف ، الثقيل ، الشنبر ، المربع ، الورشان ، الفاخت ، المحجر ، الرهج ، المخمس ، المصمودى ، المدور ، الستة عشر ، الاربع والعشرون ، الظرفات ، الأوفر ، النوخت ، السماعي) وقد زيد عليها أربعة اخرى سميت (بالمحجر المصدر ، السماعي السربند ، السماعي الثقيل ، السماعي الدراج) ولجميع هذه الموشحات أوزان جمع وزن وتسمى أيضا بالأصول وهي الجزء الثاني من صناعة هذا الفن ولهذه الأسباب ربطت تلك الموشحات (بالوحدة) الموسيقية لعدم اختلافها واختلال المغنين بها عندما ينشدون معا حتى لا يسبق أحدهم الآخر ولا يتأخر عنه بل يكون مجموعهم

كواحد وتنقسم الوحدة الى أربعة أقسام : (الاولى) وهي الكبيرة التي يغنى بها الأدوار وهي بعينها (الروند) في الموسيقى الأفرنجية وكل خمسة وعشرين منها تستغرق دقيقة واحدة وتساوي أربعة ارباع (والثانية) المتوسطة وهي (البلانش) وكل خمسين منها تستغرق دقيقة واحدة وتساوى ربعان (والثالثة) الصغيرة وهي (النوار) وكل مائة منها تستغرق دقيقة واحدة وتساوي ربعاً واحداً (والرابعة) نصف الصغيرة وهي (الكروش) وكل مائتين منها تستغرق دقيقة واحدة وتساوى نصف ربع • هذه هي أقسام الوحدة الموسيقية والمراد بالوحدة هي الضروب والنقرات التي تربط بها تلك الموشحات عند الغناء بها وقد رتبت ترتيبا منظورا فيه الى مقادير الأزمنة المتخللة بينها وأن تلك النقرات والضروب تنقسم باعتبار ايقاعها على (الدف) الى قسمين أحدهما يسمونه (الطاع) ويسمى باصطلاح أهل هذا الفن اليوم (تك) وهو ما يوقع على الصنوج المعلقة بدائرة الدف والآخر يسمونه (الديه) ويسمى اليوم (التم) وهو ما يضرب على الجلدة الرقيقة المتحذة على دائرة الدف فاذا أرادوا بيان نقرات ضرب من ضروب أحد الموشحات المذكورة كضرب (الشنبر) مثلا عبروا عما فيه من (الطاعات والديهات) بقولهم : تك تك تم تم • تك تك تم تم • تم تم تك • تك • تك تك تم • تك • تم تك • تك تك تم • على هذه الصورة بحيث يصلون الكلمات ببعض تارة ويفصلون الأخرى لبيان مقادير الأزمنة المتخللة بين النقرات وقد أحسن الشاعر بقوله مواريا في هذه المعنى :

همت وجداً بحب ضارب دف ... قد رمى لحظه فؤادي بأسهم
رمت وصلا منه فما كان أحلى ... قوله لي من بعد ذلك (تك تم)

وقد جمعت هذه الضروب بقصيدة أبدع فيها ناظمها كل الأبداع حيث يقول :

ضروب موازين الغناء جمعتها ... وها هي يابن الفن بعد ستذكر
خفيف ثقيل شنبر ومربع ... كذا ورشان فاخت ومحجر
وزد رهجاً فيها يليه مخمس ... كذلك مصمود يها والمدور
ومن بعد ضرب الستعشرةأربع ... وعشرون أيضا والظرافات اوفر

ويتبعها طــراً نوخت وبعـــده | يجيء السماعي وهو عنها يؤخر
وان جمعت فيها ذكرت باسرها | وعدتها في ســـبع عشرة تحصر
فدونك اياها وقد زيد واحـــد | عزوه الى الافرنج فيما يخـير
ولكنَّ هذا الحصر حصر اضافة | كما انهـا مما يعــدون أكثــر
ومرجعها كلاً الى الوحدة التي | بها توزن الالحان حيث تحــرر
وقد عرفت (بالطاع والديه) بينهم | ولكنهم (بالتــك والتم) عبروا

ولأجل اتمام الغاية من بحثنا في هذا الباب نثبت من كل نوع من تلك الموشحات موشحاً واحداً لكثرتها وعلى كل أن هذه الموشحات التي اخترناها هي من أحسن الموشحات من حيث اللغة والمعاني الشعرية :

الموشحات الغنائية

(موشح) نغم بيات : ضربه (خفيف)

بدري لقــــد ســــــفر | في دياجي من الشعور
يهتـــــز في خفـــر | تتجلى حوله البــدور

خانـــه

ناديت مــذ خطــــر | معرضـــاً أيها النفــور
حكمت في البشــــر | فاقضي بالحق لاتجور

دور

ان الهــــوى قضـــى | شرعه ذلة الاســـود
يستحسن الرضـــا | عندما ماست القـــدود

خانـــه

أو عنـــدما نضـــا | سيف لحظه من الغموض
كـم قلت اذ هجـــر | الجفا قاصم الظهـــور

انتهـــى

موشح نغم راست : ضربه (الثقيل)

الهوى العــذري فتنـَّي | ليس لي فيــه معـــين
يا رفاقي اعـــذروني | فالهــوى داء دفـــين

سلســـلة

يا فتـــان يا منصـــان أذبت منـا القلوب وهنا
هواك قــد أعيـــانا فترفق بالعاني الولهان

دولاب

يا من قد فاق الغزلان • بالطرف الساجي النعسان • قدك أخجل غصن البان

ما ضرك لوزرتنا أحيانا كنت تشفي مضنى رهين
دمعه ساجم ماله راحم يشتكي طــول الأنين

خانـــه

هل لداء الهوى معين • يابن ودي الشوق للعين • هيج الوجـــد الــكمين

سلســلة

قم ياحان بي للحـــان ندير دناً فـرداً ومثنى
لكـــي أرى نشـــوانا قد حبى عذب ذا اللمى

سلســلة اخرى

الألحان على العيـــدان بحسن معنى حس المعنى
فـــكم أرى ولهـــانا قد كواني الغـرام كي

دولاب

لاتطع قول اللواحي ياشـقيقا للمصباح أنت سلطان المـــلاح
واستمع قول بن اسينا أن عشقك ذا المكينا فيه افلاطـــون عي

انتهـــى

موشح نغم اصفهاني : ضربه (الشنبر)

زالت الاتراح عنـــا بلقــــانا للحبيـب
وحمـام الـدوح حنّا وأجـــاب العنـدليب

خانـــه

وأنيس الـروض غنى والبـــلابل للصـباح
ملك الالبـــاب منـــا متقن الفـــن العجيب

خانـــه

منيتي باهي المحيـــا صاحب القد الرشـيق

حاز في الثغر الحميـــا   أسـكرتني لا أفيـــق

خانـــه

مال نشــوان عليـــا   لين العطــف وصاح
دع نصيب الراح عنـا   حسبك الريق نصـيب

انتهـــى

موشح نغم رست : ضربه (المربع)

في سبيل الحب قلبـــا   ذا فـــؤاد مـــدنف
في هوى من ماس عجباً   بقـــوام أهيــــف

خانـــه

يخجل الغصن اعتدالا   اذ تثنـــى قـــده
رشأ ان رام حـــرباً   ســـل لحظ مرهف

دور

يا شقيق البدر حسـنا   والغـــزال الأجرعي
رق وارحم حال مضنى   ذي قليـــب مولـــع

خانـــه

واسقني صرفاً زلالاً   قـــد شـــفاني ورده
من رحيق لذ شـــرباً   فاق طعـــم القرقف

انتهـــى

موشح نغم حجاز : ضربه (الورشان)

قاتلي بغنـــج الكحل   شاغلي به عن شـــغلي
قام مائسا كالاســــل   ينثني بعطـف ثمـــل

خانـــه

خصـــــره نحيل أبدا   يشتكي ارتجاج الكفل
لو طالع البـــدر بدا   غـــاب قائلا وا خجلي

دور

راعني بخـــــد لهب   زاد في الهـــوى تعبي

ذبت من أليم الوصب والهوى شديد الوجل

خانــه

مت من غرامي كمـدا ما عليه لـو يسمح لي
ماصـــبوتي فيه مـــدا بل الى انقضاء الأجل

دور

ياغزال وادي الاجرع في حماك ظبي يرتعـي
في هواه قلبي الموجـع قد رمى بسـهم المقـل

خانــه

لحظه يصيد الاســدا ريقـــه كطعم العسل
ليس عشقي فيه سدى لا وحق سيد الرســل

انتهـى

موشح نغم سيكاه : ضربه (الفاخت)

على ايش يا منى قلبي ترضـــى بالصـــدود
وتشــــمت بتعـذيبي عـــذولي الحســـود

سلســـلة

على إيش يا غزال نافر تهجرني وأنا صـــابر
هجرك مالـــه آخـر فتنـــت الكبــــود
وأنا صرت من أجلك عـــدم في الوجـــود

دور

محبوبي الذي أهـواه بـــديع الجمـــــال
كويس رشيق القـــد وريقـــــــه زلال

سلســـلة

مليح أكحل الاحداق سبى ســـائر العشاق
قلبي لـــه مشـــتاق وهو لي جحـــــود
ومن يحسد العشـــاق عمـــره لا يســـود

دور

نصبت شرك صـيدي لهـــذا الغـــزال

بقيت في الشرك وحدي   شـــبيه الخيـــال

سلسـلة

حاير ما التفت صـوبي   ولـم أدر مكتـــوبي

فيـا مهجتـي ذوبي   غـزالي شـرود

من رأى غـزال نافر   يصـيـد الأسـود

انتهـى

موشح نغم رست : ضربه (المحجر)

بـــدا وفي كفـــه   شـمس الطلى تنجلي

ونجـــل الحاظـــه   حـكمن في مقتلـــي

خانـــه

أمان يا ذا الرشـــا   من نبلك المرســـل

قلبي كليـــم بمـــن   ناجى على الجبـــل

دور

يا خشف ظبي الحمى   يا فاتـك المقـــل

هتان دمعـي همـــى   والقلب في وجـــل

خانـــه

وقد كـــواني الظما   ولـــم أنل أملـــي

فاسمح برشف اللمى   من ريقك العســـل

دور

أدر كؤوس الطـــلا   لا تخشى من عـــذل

وعاطنيهـــا عـــلى   تـــورد الخجـــل

خانـــه

وخل عنـــك القـــلى   يا مخجـل الأســـل

فقـــد فتنتت المـــلا   بالغنـــج والكحـــل

انتهـى

موشح نغم عراق : ضربه (الرهج)

كم وكم ذا الصـــدود يا أملي   ضـاع صـبري وقل محتملي

خانــه

دع مقال العــذول والعــذلي   وأسقني من رضابك العســل

دور

الأمــان الأمــان مــن مقلك   يا ملكــاً على المــلاح ملك

خانــه

سيف لحظك في القلوب سلك   وســباني قوامك الأســل

دور

فاتني عود الى اللقــا كــرما   يا مليحــاً على المــلاح ســما

خانــه

نبــل عينيك للفــؤاد رمــى   أرحم الصــب يا منــاي علي

انتهــى

موشح نغم اوج : ضربه (المخمس)

أن الذي عذبت قلبي محبتــه   حاكت حروف اسمه في الحسن صورته
والميم مبســمه والصــاد مقلته   واللام عارضــه والباء طــرته
ريم بديع الجمــال   فرد عديم المثــال

دور

مولد بين حسن الترك والعرب   قد فاق أمثاله في الظرف والادب
وأتقن المزج بين الجد واللعب   وقسم الثغر بين الخمر والضرب
يفوق جيــد الغزال   ويزدري بالهــلال

دور

مهفهف من بني خاقان نبعتــه   مخالف لست أدري كيف أنعته
ان قلت وافٍ تمادت فيَّ قسوته   أو قلت جافٍ تلافتني مودتــه
قد زاد فيــه انتحالي   وليس يــدري بحالي

دور

محجب لو رأته الشمس مابزغت   ولو رأته غصــون البان ما نبعت
ولو رأته عذارى حيّــه لبغت   كأنمــا وجنتاه من دمي صبغت

أحسنت فيــه مقــالي　　ولم يزل لــي قالــي

انتهــى

موشح نغم حجاز : ضربه (المصمودى)

كحّل السحر عيونا　　فوق توريد الخدود
وازدرى الاغصان لينا　　حسن ميسات القدود
والضبا تسطو علينا　　بعيون نجل سود
حكمت بالفتك فينا　　مقلة الظبي الشرود

سلسلة

خده للصب ورّد　　ولسيف اللحظ جرد
كامل الاوصاف أغيد　　مذ غدا في الحسن مفرد

قفلة

باسم الثغر يرينا　　في اللمى عذب الورود
يخجل البدر الثمينا　　نظم هاتيك العقود

دور

من ثنـاياه اللآلي　　راح يهزو بالأقاح
واللمى في فيه حالي　　عطره بالمسك فاح
لاح في ليل الدلال　　فرقه يحكى الصباح
أخذ القلب رهينا　　ما وفى لي بالعهود

سلسلة

ملك الحب قيادي　　وهو لا يرعى ودادي
قد جفا جفني رقادي　　آه ما اغنى فؤادي

قفلة

يا لقومي قد رمينا　　من هواه في قيود
فاعجبوا مما رأينا　　في رشا صاد الأسود

دور

سل سيف الجفن عمدا　　قاطعا طرق الوصال
وبدا يضرب حدا　　وهو في سكر الدلال

حائر بالروح يفـدى　　وهـو قاس لا يـزال
ليتـه يعطف حينـاً　　والهنـا عندي يعـود

انتهـى

(موشح) نغم نيرز ضربه (المدوّر) :

فيـك كـل ما أرى حسن　　مذ رأيت شـكلك الحسـن
جل من به عليك من

أيها الذي الصـدود سـن　　من لسيف أدعجيـك سـن
لِـم حرمت مقلتي الوسن

سلسـلة

مدمعي دما نما عنـدما همـا　　رو باللمى ظمـا من تألمـا

قفلـة

ان صبك النحيـل أن　　جن كلما الظلام جـن
بالشجى ينوح والشجن

صل فتى له الهوى فتن　　يا أخا الهـلال والفنن
والغزال الأغيد الأغن

دور

نزهة الفؤاد والنظـر　　عنبريّ خالـه خضر
روضة الجمال والخفر

وجهـه كأنه قمـر　　في غياهب من الشـعر
فوق غصن قدّه ظهر

سلسلة

مفرد البها زهى • أخجل المها • يا اولي النهى • وها • الجسم قد ، وهـ

قفلـة

والرجـا خـير مؤتمن　　جاء بالفروض والسنن
ارتجي بحقـه المنن

والخلاص من يد الفتن　　والبقا على مدى الزمن

للأمير ذي اللوى حسن

انتهى

(موشح) نغم رست ضربه (الست عشرة) :

قام يسعي سحر منيتي بالكؤوس
يا له من قمر يزدري بالشموس

خانه

وبورد الخفر يسترق النفوس
غصن بان خطر ينجلي كالعروس

دور

أهيف قد رمى في فؤادي النبال
فوّقت اسهما عينه حين صال

خانه

بدر تم سما في سماء الجمال
لو قضى لي وطر زال عني العبوس

انتهى

موشح نغم سيكاه ضربه (الاربعة والعشرون) :

ورقاً على الغصون شاقني صوتها الرخيم
تظهر لنا الفنون وتعيد الجوى القديم

خانه

زادت بي الشجون وفؤادي غدا كليم
ذكراي للمنون كلما هينم النسيم

دور

أصل الهوى مزاح وعيون المها تصيد
للأسد في المراح واغتنم يومك السعيد

خانه

يا من لنا أباح سيف ألحاظه المنيد

قم اِحسن الظنـــون وأسقني الصرف يانديم

انتهـــى

موشح نغم نوى ضربه (الظرفات) :

طلعة البدر المفــدى أسرت منـــا القلوب
كم علينـــا يتعـــدى صاحب الطرف الغضوب
يا مليحـــا اذ تبـــدى مهجتي كـــادت تذوب
لم أجد لي منـــه بداً لا ولا عنـــه أتـــوب

دور

هات يا محبوبي كاسي وأجل لي بنت الـــدنان
بين نســـرين وآس في رياض الاقحـــوان
رب ساق وهـــو قاسي قلبـــه للصـــب لان
وانثنى كالغصن قـــدا باسماً بعـــد القطوب

انتهـــى

موشح نغم رست ضربه (الأوفر) :

من كنت أنت حبيبـــه نعم النصيب نصـــيبه
مولاي ما خاب الذي يدعـــو وأنت حبيبـــه

خانـــه

أو كيف يمرض في الحشا جسد وأنت طبيبـــه
يا يوسف الحسن الذي أنا في الهـــوى يعقوبه

دور

ظهرت عليك صبابتي بعداً وكانت خافيـــه
وكسوتني ثوب السقام ولبست ثوب العافيـــه

خانـــه

ولئن أتـــى لك مدنف ورأى وصالك شـــافيه
فبنور وجهـــك سيدي لاتفضـــحن عيـــوبه

انتهـــى

موشح نغم سيكاه ضربه (النوخت) :

صاح حان الروض باكر   للهنا فالطير صـاح
وعبير البـان عاطـــر   وشـميم الـــورد فاح
ينعش الأرواح

خانـــه

وهلال الحسن باهــر   فوق غصن القـد لاح
طرفه الوسنان ساحر   هتك البيض الصـفاح
وأدار الـــراح

دور

اغتنم أشـــهى الموارد   من رحيق أو شـقيق
حيث هام الجام ساجد   في يد الساقي الرشيق
لفـــم الابريق

خانـــه

لغـــدا للحـــان عابر   نافيـــاً قـول اللواح

خانـــه

يرشف الأقـــداح

انتهـــى

موشح نغم رست ضربه (السماعي) :

ومليـــح قال صـفني   أنت في الوصف فصيح
قلت قولا باختصــار   كل ما فيـك مليـــح
حزت معنى كل حسن   لكن الهجـر قبيـــح
تمم الحسن بوصـلي   أنني نعـم النصـــيح

دور

يا نسـيما جـــر ذيلا   تحت أسـتار الرياض
كيف أرضى منك خصماً   وخصيمي فيك قاضي
جئت تســري بعبـير   من شذا تلك الغياضي

فأرو عن نجد وحدث　　فلعلي استريح

دور

رب ساق قام يسعي　　صاد قلبي بالذاوئب
قلت ناولني الحميا　　قال كلا أنت تائب
قلت أني تبت عنها　　حيث من أهواه غائب
كيف لا أصبو وهذا　　وجهك البدر يلوح

انتهى

وبهذه الموشحات بقي المغنون في مصر يغنون بها الى عصر المغني المصري المشهور (عبده الحمولي) فتلقى هذه الموشحات على أصلها وغنى بها مدة من الزمن ثم دفعته سجيته في الطرب وحسن ذوقه في الغناء أن يتصرف بها مع المحافظة على أصلها وعدم الخروج من دائرتها فأزال عنها بعض الذي لا يوافق ذوقه ومن حسن حظ هذا المغني أن الخديوي اسماعيل لما سافر الى الاستانة (استانبول) عاصمة العثمانيين اِصطحبه معه وسمع هناك الموسيقى التركية فكانت موضع اعجابه وعند عودة الخديوي الى مصر جلب معه جماعة من أكابر المغنين الأتراك فكان عبده الحمولي يحضر معهم دائماً في اشتغالهم بالغناء فاستمالته ألحانهم وأخذ يقتني منها ما يلائم المزاج المصري ويناسب الطريقة العربية ورأى المجال واسعا له في الموسيقى التركية اذ وجد أكثر من النغمات التي لم يكن للمصريين علم بها ولم تطرق آذانهم من قبل مثل نغم (النهاوند والحجاز كار والزونكران والنكريز) وغيرها فنقلها الى الغناء العربي ثم التفت الى بقية مصطلحات الغناء في الطبقات المختلفة مثل طبقات المنشدين المشهورين بمصر في (أولاد الليالى) والمداحين الضاربين بالدفوف والعوالم الشهيرات (بالقيان) والتقط منهم ما استنسبه فأضافه مع المختار من الغناء التركي وخلطه بالطريقة القديمة فجعلها طريقة جديدة خاصة به وظهر في مصر حينذاك مغنون فصار شيخا عليهم بالرغم من استنكار طريقته في أول الأمر ولم يكن شيخا للغناء الى أن ذاقوا حلاوة طريقته وطلاوة فنّه ثم أخذ يتفنن في الغناء بشتى الأساليب وبهذا بلغ شهرة واسعة لم يبلغها في عصره أحد سواه

وظهر بعده طبقة من المغنـــين مثل (الشيخ أحمد أبي خليل الدمشقي والشيخ عثمان الموصلي والشيخ ابراهيم المغربي والشيخ سلامة الحجازي والشيخ محمد عثمان والشيخ عبدالرحيم المسلوب والشيخ يوسف المنلاوي) وكل هؤلاء من فطاحل المغنين وأساتذة الملحنين وهم الذين اشتهروا في غناء (الأدوار) وبفضلهم أخذت روح الموسيقى تدب في جسم القطر المصري وبدأت النهضة الفنية التي شملت الغناء وأخرجته من تلك الدائرة القديمة الضيقة الى دائرة واسعة راقية وظهر بعد هؤلاء مغنون كثيرون يحسنون أدوار اولئك الأساتذة واشتهر من بينهم (محمد سالم والشيخ أبو العـلا محمد والشيخ ســـيد الصفتي وعبدالحي والشيخ أحمد ادريس وعلي عبدالباري وصالح عبدالحي وزكي مراد والد المغنية ليلى مراد) ثم ظهـر المسرح الفكاهي والأغاني المرحة التي بعثت روح الحياة في نفوس الناس وظهرت الأغاني الشعبية في شكل جديد يبعث الى التفاؤل ثم ظهرت بعد ذلك الروايات الاجتماعية التي تخللها ألحان المطربين والمطربات ونبغ في ذلك الوقت (الشيخ سيد درويش) وأخذ يلحن الأغاني الشعبية وهي (الطقاطيق والمنلوجات) بتعبير المصريين فكانت هذه الأغاني مملوءة بحياة موسيقية جديدة وبعد انتشارها عرف الناس ماهيـــة الشيخ سيد درويش وثبت أنه الملحن الاول لمثل هذه الأغاني ومن هناك تطور التلحين تبعـــاً لتطور المسرح وفي تلك الأثناء (كان محمد عبدالوهاب) طفـــلا يجوب الأزقة ويغني مع الاولاد فقذفه السكان بالحجارة لان صوته كان مقلقـــا للراحة وفي ذات ليلة ذهب محمد عبدالوهاب مع أصدقائه الى ملهى من ملاهي القاهرة وبعد أن دفع كل منهم ثمن الدخول وانتهى الفصل الاول وراح الاولاد يسلون أنفسهم في الاستراحة بالغناء فصفق الجمهور على سبيل السخرية والاستخفاف ولكن صاحب الملهى لم يشارك الجمهور في سخريته ولم يأمر بطرد الاولاد بل تقدم نحوهم ودعاهم الى الغنــــاء في المسرح وتقدم (محمد عبدالوهاب) ومعه أصدقاؤه وصـــعدوا المسرح وراحوا يغنون وطرب الجمهور من (فرقة الأطفـــال) وصفق طويلا وتكررت زيارة فرقة الاطفال لهذا الملهى الى أن أصبحت هذه الفرقة من

لوازم المسرح وأعلن صاحب الملهى عن محمد عبدالوهاب اعلانات كبيرة لصقت على الجدران واختار لرئيس فرقة الأطفال اسما موسيقيا وهو (محمد البغدادي) لأن اسمه القديم ليس فيه طلاوة ولا جمال • وفي سنة ١٩١٧ ميلادية انتقل الشيخ (سلامة الحجازي) الى رحمة الله وبعد عام من وفاته ألف نجله (عبدالقادر الحجازي) فرقة تمثل روايات أبيه على أن يقوم الابن في الدور الاول ولكن صوت الابن كان بعكس صوت والده فاتفق مع الطفل محمد عبدالوهاب أن يغني من وراء الستار بينما عبدالقادر يفتح فمه ويقفله أمام الجمهور وهكذا كان يفعل نجل الشيخ سلامة الحجازي وفي ليلة من الليالى رفع الستار وظهر عبدالقادر على المسرح وهو في سن الاربعين يغني بصوت طفل في العاشرة من عمره فهاج الجمهور وماج وهجم بالكراسى على الممثلين والممثلات يصيح (هاتو فلوسنا) وقفز عبدالقادر من النافذة وعلى كتفه صوته الجميل أي الطفل



محمد عبدالوهاب أول نشأته

محمد عبدالوهاب ، والتحق الطفل بعد ذلك بفرقة الملحنين من حفظة الأناشيد القديمة كما راح يتلقى دروسه عند كتّاب متواضع ملحق (بمسجد الشعراني) الذي كان يعمل فيه والده ثم سمعه الممثل (عبدالرحمن رشدي) فألحقه بفرقته وكان يغني للجمهور بين فصول الرواية وكانت أغانيه من التي يملها الجمهور ولا يطرب لها على الاطلاق وكان يغني قصيدة يقول فيها :

مرحباً بالسادة النجب ‏ ‏ ‏ ‏ سادة العرفان والادب
قد أتيتم دارنا كرما ‏ ‏ ‏ ‏ فغدت تهتز من طرب

والجمهور لم يهتز من طربه ، وانتقل المطرب الصغير من هذه الفرقة الى فرقة اخرى والتحق بمعهد الموسيقى وتتلمذ على (حسن بك أنور) الذي تعهد صوته وراح يعلمه الموسيقى واصولها وسمعه الشاعر (أحمد شوقي) فأعجب بصوته وأدخله قصور الامراء والوزراء وجعله المطرب الوحيد في (كرمة بن هاني) وهي حديقة غناء بجوار (الأهرام) يقيم فيها (أحمد شوقي) ولكن محمد عبدالوهاب ما لبث أن اقتنع أنه لم يخلق مطربا بل ليكون موسيقيا ومطربا فراح يعرض الألحان على المسارح والمطربين والمطربات فكانت ترفض لانها من النوع الذي لا يطرب الجماهير وتصادف أن (نجيب الريحاني) وهو يومئذ الممثل الوحيد في مصر سمع أن هناك ملحنا مسكينا يدعى محمد عبدالوهاب فكلفه بتلحين احدى رواياته فنجحت الألحان عند الجمهور وفي ذلك الوقت عاجلت المنية (الشيخ سيد درويش) قبل أن ينتهي من تلحين رواية (كليوباترة) فعهدت (منيرة المهدية) الى الموسيقي (محمد عبدالوهاب) باكمال الالحان وبذل غاية جهده في تلحينها وبين ليلة وضحاها أخذ اسمه يدوي مع اسم الرواية ونجح محمد عبدالوهاب في التلحين والغناء ولكن نجاحه لم يعمر طويلا لأنه ما لبث أن وقع الخلاف بينه وبين منيرة المهدية فقررت أن تقوم هي بتمثيل دور (كليوباترة وانطونيو) في نفس الوقت وترك محمد عبدالوهاب المسرح وراح يدرس الموسيقى في المدارس وتوثقت العلاقات بينه وبين الشاعر (أحمد شوقي) فكانا لا يفترقان . والواقع ان أحمد

شوقي هو المدرسة الوحيدة التي تعلم بها محمد عبدالوهاب فقد تعلم الأدب والشعر وأصبح لألفاظه وأحاديثه معان وأنغام وقد تطورت مجالسه من الشعر الى الأدب الى السياسة الى الصحافة وقد خلقت هذه المجالس شخصية جديدة غير شخصية المطرب الفنان وأتم العلم معجزاته في (الراديو والسينما) فكانا خير واسطة لانتشار أغانيه ومن أغانيه قصيدة نغم (بيات) :

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرهن الثناء
ما تراها تناست أسمي لما ... كثرت في غرامها الاسماء
ان رأتني تميل عني كأن لم ... تك بيني وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء
يوم كنا ولا تسل كيف كنا ... نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العفاف رقيب ... تعبت في مرامه الاهواء
جاذبتني ثوب العصي وقالت ... أنتم الناس أيها الشعراء
فاتقوا الله في خداع العذارى ... فالعذارى قلوبهن هواء

ومن أغانيه مقطوعة نغم (بيات) أيضا :

ياجارة الوادي طربت وعادني ... ما يشبه الاحلام من ذكراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى ... والذكريات صدى السنين الحاكي
ولقد مررت على الرياض بربوة ... غناء كنت حيالها أرعاك
لم أدر ما طيب العناق على الهوى ... حتى ترفق ساعدي فطواك
وتأودت اعطاف بانك في يدي ... واحمر من خضريهما خداك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت ... عيني في لغة الهوى عيناك
لا أمسي من عمر الزمان ولا غد ... جمع الزمان فكان يوم لقاك

ومن أغانيه نغم (رست) :

يا شراعا وراء دجلة يجري ... من دموعي تجنبتك العوادي
سر على الماء كالمسيح رويدا ... وأجر في اليم كالشعاع الهادي
وأت قاعا كرفرف الخلد طيبا ... أو كفردوسه بشاشة وادي
قف تمهل وخذ اماناً لقلبي ... من عيون المها وراء السواد

والنواسي والنـــدامى أمنهــم ... ســـامر يملأ الدجـــى أو ناد
خطرت فوقـه المهـارة تعـدو ... في غبـــار الآباء والأجـــداد
أمـــة تنشيء الحيـــاة وتبنـي ... كبنـــــاء الأبوة الأمجــــاد

ومن أغانيه قصيدة نغم (رست)

أعجبت بي بين نادي قومهـــا ... ذات حسن فمضـــت تسئل بي
سرهـــا ما علمت من خلقـي ... فأرادت علمهـــا ما حسـبي
لا تخـــالي نســـباً ـ يخفظني ... أنا من يرضـيك عند النسـب
قومي استولوا على الـدهر فتى ... ومشـــوا فوق رؤوس الحقب
عممـــوا بالشمس هــاماتهم ... وبنـــوا أبياتهــم بالشـــهب
وأبي كســـرى على إيوانـــه ... أين في النـــاس أب مثل أبي
قد قبست المجد من خـير أب ... وقبست الـدين من خـير نبي
وضممت الفخر من أطرافـه ... سؤدد الفرس ودين العـــرب

ومن أغانيه مقطوعة نغم (سيكاه) :

علمـــوه كيف يجفـــو فجفا ... ظالم لا قيت منـــه ما كفـــى
مسرف في هجـــره ما ينثنـــي ... اتراهـــم علمـــوه الســـرفا
جعلوا ذنبي لـــديه ســـهري ... ليت يدري اذ درى الذنب عفا
غصـــن بان كلمـــا عاتبتـــه ... عطفتـــه رقـــــة فانعطفـــا
واذا مثلتـــــه في خاطـــري ... صفق القلب اليـــه وهفـــا
أنا سهران على عهد الهـــوى ... لم أنم وهـــو لعهدي ما وفـــا

ومن أغانيه قصيدة نغم (عجم) :

الهوى والشـــباب والامل المنـ ... ـشود توحي فتبعث الشعر حيـا
الهوى والشـــباب ضـــاعت ... جميعهـــــا مـــن يـــديا
يشرب الكأس ذوالحجى ويبقي ... في قــــرارة الـــكأس شـــيّا
لم يكن لي غد فأفرغت كأسـي ... ثم حطمتهـــا على شـــــفتيا
أيها الخافق المعـــذب يا قلبـي ... سكبت الدمـــوع من مقلتيـــا
افحتم عليَّ ارســـال دمعـي ... كلمـــا لاح بارق لمحيـــا
يا حبيبي لاجـــل عينيـك مـا ... القى وما لام الوشـــاة عليـــا

أأنا العاشـــق الوحيـد لتلقى تبعـات الهـوى على كتفيـا

ومن أغانيه قصيدة نغم (حجاز) :

تلفتت ظبية الوادي فقلت لهـا لا اللحظ فاتك من ليلى ولا الجيد
ليلى مناد دعى ليلى فخفف لـه نشوان من جنبات الصدر عربيد
هل المنادون أهلوها واخوتهـا أم المنادون عشـاق معاميـد
ليلى انظروا البيد هل مادت بآهلها وهـل ترنم بالمزمـار داود
ان يشركوني في ليلى فلا رجعت جبـال نجد لهم صوتا ولا البيد
ليلى تردد في سمعي وفي خلدي كمـا تردد في الأيك الاغاريد
أغير ليلاي نادوا أم بها هتفـوا فداء ليلى الليالي الخرد الغيـد
كسى النداء اسمها حسنا وحببه حتى كأن اسمها البشري أوالعيد
ليلى ترى أنا مجنون يخيل لي لا الحي نادوا على ليلى ولا نودوا

هذا ما قلته في محمد عبدالوهاب وهذا الذي اخترت من أغانيـه ولعلني أعطي هذا الباب حقـه اذا ما قلت في (ام كلثوم) كما قلت عن .



ام كلثوم أول نشأتها

محمد عبدالوهاب وبينما هو يشرق كالبدر المنير في سماء (الكنانة) واذا بالشمس المضيئة تطل على العالم من سرادق أقامه أحد المشايخ في قريـــة صغيرة من قرى مصـــر تسمى (السنبلاوين) وتخرج منه طفلة ترتدي ثوبا أحمرا من نوع الرخيص تنشد القصائد وكان الناس لا ينصتون الى صوتها بل كانوا يقتلون الوقت في تجاذب أطـراف الحديث كما يحدث عادة في الحفلات ، لم تكن الطفلة جميلة ولعل جمال طفولتها اختفى وراء ذبول وجهها ومظاهر فقرها وفاقتها ولكنها كانت تعتز بصوتها فقد شوهدت انها كانت تصر على أسنانها وتشد ثوبها بحركة عصبية وتختلس النظـــر للجمهور المنصرف عنها وكانت عيناها تقولان (اسمعوني ان صوتي جميل) ولم يكن أحد يقرأ ما في عينيها لأن الحاضرين كانوا جميعا من الاميين ، لا تنكر هذه الدرة اللامعة حوادث فقرها بل تفتخر بها في كل مجلس من مجالسها وكانت تروي لصـــديقاتها كيف حرمت من الذهاب الى كتاب القرية لانه لم يكن لدى اسرتها أكثر من خمسة قروش شهرية يدفعونها مصاريف شقيقها الى الكتاب ، وتروي كيف كانت تغني نظير نصف ريال ، ومرت السنون وانتشر اسمها في القرى المجاورة لقريتها وراحت تغني هذه القصائد في الحفلات فعرفها الناس أنها (ام كلثوم) وتزوج يوماً أحـــد (العمد) في مصر فأحضرها من بلدها لتحيي حفلة الزواج بدار العروس وشاء حظ ام كلثوم أن يحضر العرس بعض الفنانين فيعجبوا برخامة صوتها ويقنعوا والدها باقامة حفلة لها بالقاهرة ورفض الأب أن تغنى ابنته في حفلة عامة ولكنه ما لبث ان اقتنع وأحضرها للمرة الثانية وكان نجاحها عظيمـــاً وخرج الجمهور يقول أنها مدهشة (بس اسم ام كلثوم دمة ثقيل) وهذه العبارة لغة مصر الدراجة واقترح أحد متعهدى الحفلات على والد المطربة أن يغير اسم ابنته فرفض الأب وكان ذلك في سنة ١٩٢١ وكانت ام كلثوم في سعادة لا حد لها في نزولها باعظم فندق في مصر ولم تكن تعرف أن في القاهرة فنادق اخرى غير هذا الفندق وسمعها في ذلك الوقت الشيخ (أبو العلا) فاعجب بها وراح يشجعها ويدربها على غناء قصائده وهي قصـــيدة (أفديه ان حفظ الهوى أو ضيعا)وقصيدة(أماناً أيها القمر المطل)وسمعها

الشيخ سيد درويش تغنى على المسرح فدهش لرخامة صوتها وقوة حنجرتها واقترح على والدها أن تشترك ابنته في التمثيل على المسرح فرفض الأب أن تصبح ابنته ممثلة ، وزاد الاقبال على ام كلثوم واستوطنت القاهرة واقامت في شقة متواضعة (بحي عابدين) ، وكانت تشعر وهي في حجرتها انهـــا ملكة بوجود عندها سرير من نحاس ودولاب بمرآة وكانت تطل من نافذة غرفتها كل ليلة وتدعو الله أن يديم عليها تلك النعمة وهذا الرخاء ولم يكن لها في ذلك الوقت تخت موسيقي بل كان صوت والدها هو (الكمـــان) وحنجرة شقيقها هي (الدف) الى أن اتفقت مع شركة (اوديون) على ملأ اسطوانة فاحضرت لها (القصبجي) يعزف لها على العود وصبري على القانون ورجا الاثنان من الشركة ألا تذيع خبر قبولهما العزف لام كلثوم وقبضت ام كلثوم يومها خمسون جنيهاً وأمسكت بالاوراق المـــالية وهي تحسبها مرة واثنين وثلاثة لانها للمرة الاولى تلمس فيها أصابعها هذا المبلغ الضخم في نظرها وظلت بدون تخت موسيقي الى سنة ١٩٢٦ وظهرت عـلى مسرح (دار التمثيل) وحولها (محمد العقاد وسامي شـوا والقصبجي) وكانت ليلتها عيداً ومأتماً للفنانين الثلاثة لانهم ظهـــروا جهارا مـــع أم كلثوم ولكن لم يدم المأتم طويلا لان اسمها أصبح يدوي كالطبل فيالمجالس والاندية وسمعها الشاعر (احمد رامي) فراح يتحفها بالقصائد وينثر عليها (الطقاطيق) وتلقف القصبجي قلب الشاعر الولهان وراح يلحن أنينـــه وأغاريده وسمع الناس ام كلثوم تغني لرامي (ان حالي في هواها عجب) وتهافتت شركات الاسطوانات عليها وراحوا يضعونها في المزاد وارتفع سعر الأسطوانة في أقل من ثلاث سنوات من خمسين جنيهاً الى ثلثمائة جنيـــه وقبل أن يصبح لها تخت موسيقى تعلمت العزف على العود وحـــاولت أن تعزف لنفسها فلم تتمكن لأنها لا تستطيع الغناء الا اذا وقفت على قدميهـــا وقد يتساءل بعض الناس عن سر ام كلثوم وهل هو في حنجرتها الهائلة أو شخصيتها الجذابة أم (خفة دمها) ، والواقع أن سرها الوحيد هو أنهـــا أبرع تلميذة في مدرسة الحياة،لا شك في ان الله قد حباها حنجرة من أجمل حناجر جميع المطربين والمطربات ولاشك في أن لحسن مخارج ألفاظهـــا

فضلا كبيراً في نجاحها وكثيراً ما تعذبت في تهذيب حنجرتها ولم تحسن مخارج ألفاظها الا بعد ان حفظت القرآن الكريم وبعد ان اطلعت على الكثير من كتب الأدب القديم واتصلت باكبر الأدباء وباتصالها زادت ثقافتها باختلاطها بهم واستطاعت أن تحصل على كتبهم مجانا وهي تقرأ كل كتاب يهدى لها وتعتبر نفسها حتى الآن تلميذة في مدرسة الحياة فقد تعلمت اللغة الفرنسية بعد سن الثلاثين وتعلمت كيف تكون السيدة الأولى في مجلس يضم زوجات وزراء وبنات عظماء وقد علمت أن صنعة العرفان بالجميل هي الطريق الى السعادة والهناء فلم تنس أقاربها الفقراء ولا أبناء بلدتها الفلاحين فما من عيد يمر الا وترسل لهم الهدايا وما من مؤسسة خيرية تقام في بلدها الا ولها حجر فيها وعلمتها مدرسة الحياة أن تفتخر بفقرها وتحتفظ بوقارها الريفي ولذلك رفضت أن لا يقبلها أى ممثل في روايتها السينمائية وعلمتها ان الجمال هو البساطة فتبسطت في أزيائها وفي حليها وفي حديثها وقد أنعم عليها الملك(فاروق)ملك مصر بلقب (صاحبة العصمة) ومن أشهر أغانيها مقطوعة نغم (حجاز كار) :

أماناً أيهـا القمـر المطـل ... فمن جفنيك أسـياف نسـل
يزيد جمال وجهـك كل يوم ... ولي جسد يذوب ويضـمحل
وما عرف السقام طريق جسمي ... ولكـن دل من أهـوى يدل
يميل بطرفه السحري عنـي ... صدقتم أن ضيق العين بخـل
اذا نشـرت ذوائبـه عليـه ... ترى ماءً يرف عليـه ظـل
أيا ملك القلـوب فتكت فينـا ... وفتكك في الرعيـة لا يحـل
قليل الوصل ينفعهـا فان لـم ... يصـبها وابل منـه فطـل

ومن أغانيها مقطوعة نغم (نهاوند) :

لي لذة في ذلتـي وخضـوعي ... وأحب بين يديك سفك دموعي
وتدرعي في رأي عينك راحـة ... لي من هوى قد كن بين ضلوعي
ما الذل للولهان في شرع الهوى ... عار ولا هجر الهوى ببـديع
فرضا أسأت فاين عفوك مهجتي ... عمـا رجاك لقلبـه المصـدوع
جودي رضاً من عفو لطفك واعفه ... بجمال وجهك عن سؤال شفيع

ومن أغانيها مقطوعة نغم (بيات) :

مالي فتنت بلحظك الفتاك — وسلوت كل مليحة إلاك
يسراك قد ملكت زمام صبابتي — ومضلتي وهداي في يمناك
فاذا وصلت فكل شيء باسم — واذا هجرت فكل شيء باك
هذا دمي في وجنتيك عرفته — لا تستطيع جحوده عيناك
لو لم أخف حر الهوى ولهيبه — لجعلت بين جوانحي مثواك
اني أغار من الكؤوس فجنبي — كأس المدامة أن تقبل فاك
لك من شبابك أو دلالك نشوة — سحر الأنام بفعلها عطفاك

ومن أغانيها مقطوعة نغم (رست) :

يا آسِيَ الحي هل فتشت في كبدي — وهل تبينت داءً في زواياها
أواه من حرق أودت بمعظمها — ولم تزل تتمشى في بقاياها
يا شوق رفقا باضلاع عصفت بها — فالقلب يخفق ذعرا من حناياها

اقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة — ولا بشافعة في رد ما كانا
هلا أخذت بهذا اليوم أهبته — من قبل أن تصبح الاشواق اشجانا
لهفي عليك قضيت العمر مقتحماً — في الوصل نارا وفي الهجران نيرانا

ومن أغانيها مقطوعة نغم (سيكاه) :

اكذب نفسي عنك في كل ما أرى — وأسمع أذني منك ما ليس تسمع
فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة — ولا عنك أقصار ولا فيك مطمع
لقيت أمورا فيك لم ألق مثلها — وأعظم منها فيك ما أتوقع
فلا تسأليني في هواك زيادة — فأيسره يسري وأدناه يقنع

ومن أغانيها مقطوعة نغم (عجم) :

ان حالي في هواها — عجب أي عجب
ليس يرضيني رضاها — ثم يشقيني الغضب
فاذا طال جفاها — جدّ لي منه سبب
فتطلبت صفاها — واليها المنقلب

وصلها عذب المجاني — من أفانين الغزل

هجرها حلو المعـاني … باعث روح الأمـل
هي شغل في التـداني … وهي في البعـد علل
أصبحت كل الاماني … والامـاني لا تمـل

ومن أغانيها قصيدة نغم (سيكاه) :

وحقك أنت المنى والطلب … وأنت المـراد وأنت الأرب
ولي فيك يا هاجري صبوة … تحيّر في وصفها كل صب
أبيت اسامر نجم السما … اذا لاح لي في الدجى أو غرب
وأعرض عن عاذلي في هـواك … اذا نم يا منيتـي أو عتب
أمولاي بالله رفقا بمن … اليك بذل الغرام انتسب
فأني حسيبك من ذا الجفا … ويا سيدي أنت أهل الحسب
ويا هاجري بعد ذاك الرضا … بحقك قل لي لهذا سبب
متى يا جميل المحيا أرى … رضاك ويذهب هذا الغضب
فأني محب كما قد عهدت … ولكن حبك شيء عجب
ومثلك ما ينبغي أن يصد … ويهجر صباً لـه قـد أحب
أشاهد فيك الجمال البديع … فيأخذني عند ذاك الطرب
ويعجبني منك حسن القوام … ولين الكلام وفرط الادب
وحسبك أنك أنت المليح … الكريم الجدود العريق النسب
أما والذى زان منك الجبين … وأودع في اللحظ بنت العنب
وأنبت في الخد روض الجمال … ولكن سقاه بماء اللهب
لان جدت أو جرت أنت المراد … ومالي سـواك مليح يحب

ومن أغانيها مقطوعة نغم (بيات) :

أفديه ان حفظ الهوى أو ضيعا … ملك الفؤاد فما عسى أن يصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه … حلواً فقد جهل المحبة وادعى
يا أيها الوجه الجميل تدارك الـ … صبر الجميل فقد وهى وتضعضعا
هل في فؤادك رحمة لمتيم … ضمت جوانحه فؤادا موجعا
هل من سبيل أن أبث صبابتي … أو أشتكي بلواي او اتوجعا
اني لا أستحيي كما عودتني … بسوى رضاك اليك أن أتشفعا

ومن أغانيها قصيدة نغم (رست) :

كم بعثنا مع النسيم سلاما للحبيب الجميل حيث أقاما
وسمعنا الطيور في الروض تشدوا فنقلنا عن الطيور كلاما
نحن قوم مخلدون وان كنا خلقنا لكي نموت غراما
فاذا نامت العيون فهذي يا حبيبي قلوبنا لن تناما
خافقات تدق من ألم الوجد نشيداً فتحسن الانغاما
قد قنعنا بحبه ورضينا لو يفي ساعة ويهجر عاما
ولكم زار في الكرى فوددنا لو قضينا هذي الحياة نياما
مزقت قلبنا العيون اللواتي نلن من صحة الجمال سقاما
فكأن القلوب كانت أواماً وكأن العيون كانت سهاما
ما شربت المدام الا لانسى يا أحباي لذة الآلاما

ومن أغانيها قصيدة نغم (سيكاه) :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر
نعم أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر
اذا الليل أضناني بسطت يدالهوى وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي اذا هي أذكتها الصبابة والفكر
معللتي بالوصل والموت دونه اذا مت ضمآناً فلا نزل القطر
وحاربت أهلي في هواك وأنهم واياي لولا حبك الماء والخمر
تسائلني من أنت وهي عليمة بحالي وبالمقدور لي عندها خبر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى محبك قالت أيهم فهم كثر
فقالت لقد ازرى بك الدهر بعدنا فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر

ومن أغانيها قصيدة نغم (صبا) :

والله لا استطيع صدك ولا أريد الحياة بعدك
يا قاتلي هل فعلت ذنبا يوجب هذا الصدود عندك
بالله بالله يا حبيبي وعدت بالوصل وف وعدك
فلي فؤاداً يذوب شوقاً اليك مهما ذكرت بعدك

جرعتني الهجر وهو مر | وطالما رشفت شهدك
وخنت عهدي وليت شعري | هل خنت في العاشقين عهدك
من منصفي منك يا مليكاً | صيَّرت كل الملاح جندك
وليس لي في الملاح خصم | سواك لكن ما ألدك
شاركني فيك كل صب | لما حويت الجمال وحدك
وقد أشاع العذول اني | مشبه بالغصون قدك
وأنت عندي أجل من ان | يشبه ورد الرياض خدك
ولست يابدر أرتضي أن | يصبح بدر السماء عبدك
يا غصن قد ملت عن معنى | لقلبه في الهوى أعدك

ومن أغانيها قصيدة نغم (حجاز) :

أيقظت فيَّ عواطفي وخيالي | وبعثت مني ميّت الآمال
وأثرت نفسي بعد طول سكوتها | في حين لم يخطر هواك ببالي
وحسبتني أصبحت جمراً هامداً | وظننتني أحي بقلب خالي
فاذا بحبك هاج ما عفيته | وأجد لي الوجد القديم البالي.
وغدوت أشقى ما يكون تنعماً | بهواك لما دب في أوصالي
أنسيتني الماضي بما أودعته | من حزن أيام وسهد ليالي
ومحوت من فكرى الذى قاسيته | في هذه الدنيا من الأهوال
فرضيت ماقسم القضاء ومانطوت | نفسي عليه من الأسى القتال
وعنيت عن نعمى الحياة وطيبها | بشقاوتي في الحب واسترسالي

ومن أغانيها قصيدة نغم (رست) :

سلو كؤوس الطلاهل لامست فاها | واستخبر الراح هل مست ثناياها
باتت على الروض تسقيني بصافية | لا للسلاف ولا للورد ريَّاها
ما ضر لو جعلت كأسي مراشفها | ولو سقتني بصاف من حمياها
هيفاء كالبان يلتف النسيم بها | ويلفت الطير تحت الوشي عطفاها
حديثها السحر الا انه نغم | جرت على فم داود فغناها
حمامة الأيك من بالشجو طارحها | وما وراء الدجى بالشوق ناداها

القت الى الليل جيداً نافراً ورمت | اليه اذناً وحارت فيـــه عينـاها
وعادها الشوق للاحباب فانبعثت | تبكي وتهتف أحيانـاً بشكواها
يا جارة الأيك أيام الهوى ذهبت | كالحلم آهـاً لأيـام الهوى آها

والخلاصة كما قلت ان محمد عبدالوهاب وام كلثوم هما كالشمس والقمر يتزاحمان ويتسابقان في سماء فن الغناء العربي وهمـــا الآن (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكـل في فلك يسبحون)

وفي اواخر شهر تشرين الثاني **١٩٣٢** جاءت مطربة الشرق الكبيرة



مطربة الشرق الكبيرة السـيدة ام كلثوم ترتدى العباءة العراقية

الآنسة ام كلثوم الى العراق لأحياء حفلات غنائية ببغـــــداد وقـــدمت خلال تلك الزيارة طائفة كبيرة من الاغاني العربية ثم اعجبت جداً باغنيه عراقية كنت قد نظمتها للمطربة السيدة ســليمة مراد وهـــي بعنـــوان (كلبك صخر جلمود ما حّن علّيه) وقد قامت المطربة الكبيرة السيدة ام كلثوم بغناء هذه القطعة بصوتها •• ولم تكتف بذلك بل سجلتها ايضـــاً ولا زالت المطربة ام كلثوم تعتز بهذه الأغنية حتى الآن وتفاخر بهـا في كل مناسبة وكما اعتزت المطربة ام كلثوم بهذه الأغنية فقد اعجبتها العبـــاءة العراقية فتلفعت بها •

وفي بغداد عاصمة الرشيد يتصافح شعر الرافدين وموسيقى النيـــل المبارك ، شعر شاعر العرب الأستاذ معروف الرصافي وصوت كوكب الشرق الآنسة ام كلثوم ، وبهذه المناسبة اتحفها الشاعر الرصـافي درة لامعة من درر قصائده وعنونها بعنوان

الى أم كلثـــوم

ام كلثوم في فنـــون الأغانـــي ... امـــة وحدهـــا بهـذا الزمـان
هي في الشرق وحدهـــا ربة الفن ... فمـــا ان للفـــن رب ثـــاني
ذاع من صوتها لها اليوم صيت ... عم كل الأمصـــار والبلـــدان
ما تغنت الا وقـــد سحرتنـــا ... بأفتنـان لهـا واي افتتـــان
في الاغاني تمثل الحب تمثيلاً ... صـــريحاً بصـــوتها الفتـان
يتجلى في لحنهـا مشـهد الحب ... ولـــون الوصـــال والهجران
فتريك المحب عنـــد التنـــائي ... وتريك المحب عنـــد التـداني
وتريك الحبيب عنـــد افتراق ... وتريك الحبيب عنـــد اقتـران
كل هـذا في صـــوتها يتجـلى ... من خـلال الأنغـام والألحـان
صفحات من الغرام تراهـــا ... ظاهرات في صوتها للعيـــان
تنشـد الشـعر في الغناء فتأتي ... بلحون مطابقـــات المعـــاني
فاذا انشـدت عن الوصل ابدت ... فيه لحن الســـرور والجذلان
واذا انشـدت عن الهجر جاءت ... بلحـون تـدعو الى الأحـزان
كم سقتنـا كأس السرور بلحن ... وبلحن كأســاً من الأشـجان



امير الشعر الرصافي واميرة الغناء أم كلثوم

تفهم الروح منطق الحب مما ... تتغنى به بلا ترجمان
فكأن الأنغام في الصوت منها ... ناطقات لنا بغير لسان
قد سمعنا غناءها فعرفنا ... كيف فعل الغناء في الأنسان
حسن صوت يزينه حسن لحن ... فيه للسامعين حسن بيان
نبرات في صوتها مشجيات ... تترك السامعين في هيجان
تسترق القلوب منا بصوت ... نعبد الحسن منه بالآذان
كل لحن اذا سمعناه منها ... دب فينا دبيب بنت الحان
في وقار الحليم تجعلنا طوراً ... وطوراً في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع اليها ... ونرى لذة لنا في التفاني
وترانا نهتز حين تغنى ... فكأنا في حالة الطيران
وكأن الأرواح اذ تتعالى ... طرباً جردت من الأبدان

هي في مرتقى الأغـــاريد تعلو حين تشـدو ونحن في خطران
يشـعر المرء حين يصغى اليهـا بغرام من صـــوتها روحـــاني
بنت فـن غنت لنـــا فســقتنا من فنون الغنـاء بنت دنـــان
هــكذا فلتكن يدا الفن عليـــا هكـذا فلتكن عـلى الفنـــان

الباب العاشر

الغناء في العراق

اشتهر العراق بأغانيه فكان أشهر من نار على علم وان من سبر غور الكتب التاريخية يتحقق لديه أن الغناء في عهد الدولة العباسية ارتقى حتى بلغ اوجه فلا ترى في دار السلام (بغداد) انسانا مؤسراً اذ ذاك وليس في بيته قينة تطربه برخيم صوتها ونغمات عودها وليس بعجيب اذا ما سمي العراق مهبط وحي الموسيقى العربية فلقد انجب فحول المغنين غير أن ارادة الله شاءت وقضت أن لا يبقى العراق ممتعا بتلك المنحة الجميلة بل كان نصيبه كنصيب الدولة العباسية من الضعف والتدهور وهناك أخذت شمسه المشرقة تدنو الى الأفول فتلقته الأمم على اختلاف نزعاتها وكل أمة تصرفت به ومزجته بلسانها (العامي) أى اللغة الدارجة عندها • أما في ربوع العراق وبالأخص بغداد فقد بقى على حالته حتى أيام (التتر) ثم ارتبك نظامه لانه دخل عليه كثيرا من ألحان الفارسية والتركية وهي التي يغنى بها الآن وقد تسمع من المغني العراقي وهو يغني بلفظ كلمة (يادوست) بمعنى يا صديق وكلمات أخرى مثل (فريادمن) بمعنى النجدة و (دل ياندم) بمعنى قلبي اشتعل و (ايكي گوزم) بمعنى عيناي الأثنان و(دل من)بمعنى قلبي و (جان من) بمعنى روحي و (أفندم) بمعنى سيدى • أما سبب استعمال هذه الكلمات الأجنبية ووضعها في المقامات العراقية هو أن الأمتين الفارسية والتركية لما دخلتا بغداد واستوطنتها وكانت الموسيقى العراقية رغما على ما حصل بها من الفتور والأنحطاط في طليعة الفنون الجميلة عند هاتين الأمتين وكان المغني العراقي يومذاك شديد الرغبة في ارضاء مواطنيه ومجاراتهم فأخذ يستعمل مثل هذه الكلمات في سياق غنائه حينما يرى الفارسي والتركي من بعض مجالسيه وقد كان الغناء يسمى مقامات جمع مقام والمقام على ما ذكره (محمد ابن عبدالحميد اللاذقي) في رسالته

(الفتحية) هو الدور وقال كان القدماء يسمون الأدوار المشهورة (بمقام) و (پرده) و (شد) اما المتأخرون فيسمون تلك الألحان بمقام فقط ويغني على (النوبه) في العراق والنوبه هي الچالغي بالجيم الفارسية المثلثة وكلمة (چالغي) تركية وأصل التركيب (چالغي طاقمى) أي جمـــاعة الملاهي ويتألف الچالغي في بغداد من قارىء أي استاذ في الغناء وآلة موسيقية قديمة تسمى (سنطور) وآلـة اخرى تسمى (كمانه) و (دف) ودربكة أي (دنبك) ويبتديء الچالغي أولا بلحن يسمونه (بشرو) أو بشرف والاول اسم فارسي مركب من كلمتين فارسيتين احداهما كلمة (بش) ومعناهــا امام والأخرى (رو) ومعناها ذهاب فباجتماعهما يصـير معناهما الذهاب امام وفي اصطلاح الموسيقى يطلق هذا الأسم على الهواء الأبتدائي الــذى يصدر به اول فصل ومعناه المقدم أو الفاتحة كما يقال نظير ذلك عند العرب (بشرف) وهي تحريف كلمة (بشرو) المذكورة وبعد ذلك يبتدىء المغني بالغناء والبدء به يقال له باصطلاحهم (تحرير) والختام (تسليم) وفي ختام كل مقام ينشد المغنون وهم الذين يعزفون بالآلات (بسته) أي أغنية تكون موافقة للمقام الذى يغنيه المغني والمغني يطلق عليه قارىء والبسته كلمـــة فارسية معناها (رابط) ومصطلح عليها في الموسيقى التركية بمعنى (موشح) أما المقامات المعمول بها اليوم والتي يغني بها على (الچالغي) هي :

(بيات) والترك يسمونه بياتي والارجح ان الكلمة مأخـــوذة من العشيرة المسماة بهذا الأسم وهي عرب يتكلمون اللغة العربية والتركية أو من الأرض التي يسكنونها وهي واقعة في انحاء (جبل حمرين وقد اشتهر هؤلاء الناس بصوتهم الرخيم وكان منهم في العهد الأخير (شلتاغ وأحمـد زيدان) •

(نارى) اى المحرق وهذا المقام مستعمل في الموصل وأن البغداديين أخذوه عن الموصليين وانهم سبقوا البغاددة في استعماله •

(محمودى) وهو مسمى باسم واضعه وانه مستعمل في العراق وقيـل في ديار الشام :

(طاهر) أو زنگة والزنگة عشيرة معلومة من العشـــائر الكرديه

العراقية تقطن بقضاء كفري التابع الى لواء كركوك ولعل الزنكة تصحيف زركولاه أو زنگلاه الذى تسميه العرب بصفتهم الفنية زركولاه والعرب المولدون زنگوله وهو أحد المقامات المعروفة الواقع بين مقام الراست والدوگاه •

(سيكاه) وهو المقام الثالث وقد تكلمنا عنه في باب معرفة الأصوات •

(حليلاوى) بالتصغير والنسبة على طريقة العامة العراقية اذ يقولون حلاوى وبصراوى ومكاوى بالنسبة الى الحلة والبصرة ومكة •

(حجاز ديوان) والديوان كلمة تركية وعربية تطلق على ثمانية درجات أصوات متتابعة بالتدريج ومن أنواع هذا المقام نوع يقال له (حجاز شيطاني) •

(قوريات) ومستعمل في كركوك ولعله منسوب الى جانب من جوانبها وهو الجانب الغربي ويسمى قورية •

(عريبون عجم) بفتح العين والراء وسكون الباء ويليها ياء مضمومة فواو ساكنة فنون • والترك يسمونه أعريبون بزيادة الالف الاولى وهو من وضع الفرس •

(عريبون عرب) ويسمى عند الترك كالاول وقد وضعه العرب تجاه العريبون عجم الذى وضعه الفرس •

(جبوري) منسوب الى عشيرة الجبور الساكنة في انحاء العراق وهؤلاء مشهورون بغناء العتابة •

(مخالف) قال صاحب كتاب (تعليم الموسيقى) ان هذا المقام مهجور مع انه اليوم مستعمل في العراق وبالأخص في بغداد •

(راشدي) لعل اللفظة تصحيف كلمة رشتي مدينة من مدن ايران أو مسمى باسم واضعه •

(راست) والكلمة فارسية أي المستقيم وكان الفرس يبتدؤون ديوانهم براست والعراقيون يلفظون الراست بلا ألف أى رست •

(منصورى) وهو منسوب الى (منصور زلزل) المغني المشهور

في عهد العباسيين والترك يسمونه منصور بحذف ياء النسبة وزلزل هـــذا هو من سواد أهل الكوفة وكان أضرب معاصريه في العــود وهو أول من أحدث العيدان الشبابيط وكانت قديما على عمل عيدان الفرس •

(حجازآچغ) والكلمة الاخـيرة تركية محــــرفة والصــحيح هــي آچق أى صريح وهذا المقام مشتق من الحجاز ديوان •

(عمر كلى) وگلي بالگاف الفارسية وألف مقصــورة وهو منسوب الى واضعه ويستعمل في كركوك ومشهور هناك •

(ابراهيمي) منسوب الى (ابراهيمالموصلي) المغني في العهـــد العباســي وسبب تسميته في الموصلي أنه لما نشأ اشتهى الغناء فطلبه فأشتد أخواله عليه وبلغوا منه فهرب الى الموصل ولما رجعقالوا له أصحابه مرحبا بالفتى الموصلى فلقب به •

(باجلان) ولعله منسوب الى برجلان قرية من قرى مدينة واســـط المندرسة أوالى عشيرة باجلان الكردية وهي تسكن في العراق قريبا من بلدة خانقين

(نوى) وهو اسم معرب ذكرته كتب الموسيقى وفي اللغة النوى هو الفـــراق •

(مسكين) وفي العراق يسمى مسچين بالجيم الفارسية المثلثـــة وهو من وضع العراقيين ومسمى باسم واضعه •

(خنابات) أو خربات وعبارة هذا الاسم فارسية ولعله منســـوب الى الفرس •

(حسيني) بالتصغير والنسبة ولعله منسوب الى الســـادة الحسينيــة أو الى أحد الأشخاص المسمى بهذا الأسم •

(دشت) بفتــح الدال وسكون الشين المعجمة والتـــاء الســــاكنة والعراقيون يلفظون هذه الكلمة دشتي بزيادة ياء النسبة وأصل هذا المقــام فارســــي •

(عجم) أو عجم عشيران بالتصغير وهو منسوب الى الفرس أيضا •

(گلگلي) بكافـــين فارســـيتين واللام الاولى ســـاكنة والثـــانية

مكسورة والكلمة تركية معناها وردى •

(ارواح) ولعل هذا المقام هو المشهور (براحة الارواح) ومعناه استراحة الروح وهو مشهور عند الأتراك •

(صبا) وهو أشهر من أن يذكر وقد قيل عنه أقدم المقامات وفي اللغة الصبا هي الريح وتأتي من مطلع الشمس •

(پنجكاه) كلمة فارسية ظاهرة المعنى أي المقام الخامس وقد تكلمنا عنه في باب معرفة الاصوات •

(شرقي) أو شرقي اصفهان ومنه شرقي (دوگاه وكلمة شرقي تركية تطلق على كل نغم من الأنغام كما يقال نظير ذلك عند العرب (موشح أو دور) وأصفهان احدى مدن ايران وهي وطن أبي فرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني ولعل هذا المقام منسوب اليها •

(اوج) والاتراك يسمون (اويج) وهذا المقام هو اعلى المقامات وقد تكلمنا عنه في باب معرفة الاصوات •

(مثنوى) ولعله منسوب الى الوتر الثاني من أوتار العود •

(ماهوري) وهو اسم فارسي ومعناه الهلال وقد قيل انه خطأ وانما هو ياهو ويستعمل في العراق والشام والعراقيون يسمونه ماهو ري بزيادة ياء النسبة •

(بهرزاوي) وهو منسوب نسبة عامية الى قرية من قرى بعقوبة يقال لها بهرز والعراقيون كثيرا ما يطربون لهذا المقام •

(حديدى) وهو منسوب الى بيت الحديدى في بغداد او الى عشيرة الحديديين التي تسكن جوار مدينة الموصل •

(حكيمي) وضعه أحد افراد بيت السيد عبدالباقي الحكيم البغدادى وكان أهل هذا البيت يزاولون الطبابة والموسيقى في العراق في القرن الماضى ويصفون الطرب واللهو لمداواة عدة امراض فتبرأ •

(مدمي) وهذا المقام أيضا من وضع بيت الحكيم البغدادى وضع للمرضى لانه يحرك الدم •

(خلوتي) وهذا المقام صوفي منسوب الى أهل الطريقة الخلوتية

وهم قسم من السادة الصوفية •

(اوشار) والهمزة مضمومة ضما مفخما مبهما والكلمة فارسية تدل على نسبة هذا المقام الى الفرس •

(سعيدى) وهو منسوب الى رجل معروف بحسن غنائه في بغداد •

(بختيار) مقام يستعمل في كردستان والموصل وبغداد وأصله فارسي ومنسوب الى عشيرة البختاريين في ايران •

(مقابل) والباء مفتوحة واكثر استعماله في الموصل والموصليون يطربون لسماعه ويسمونه : (مكابل) بالگاف الفارسية •

(بشيري) منسوب الى واضعه او الى قرية البشيرية من قرى كركوك

(اورفا) وهو منسوب الى المدينة المشهورة سابقا بالرها وهي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ومن المدن التركية اليوم •

(آيدين) وهو منسوب الى مدينة عرفت بهذا الاسم في الاناضول التركي •

(قطر) وهو مقام كردى مستعمل في كركوك وانحائها •

(چاركاه) بالجيم الفارسية المثلثة والكاف الفارسية وهو تصحيف أو تخفيف جهارگاه وقد تكلمنا عنه في باب معرفة الاصوات •

وبين هذه المقامات ما هي اصلية تسمع في عدة بلدان من البلاد الشرقية أي ديار العرب والفرس والترك وهي (الرست والصبا والاوج والعجم والنوى والحسيني والحجاز) أما الباقية فهي من وضع العراقيين والاقوام اجاورة لهم ولهذه المقامات (شعب وپردات وميانات) وضعوها العراقيين انفسهم فسموها بأسماء مختلفة منها منسوبة الى اصحابها وواضعيها ومنها سميت بالمكان الذى وضعت فيه وجميعها تستعمل في غناء هذه المقامات والمغنى الحاذق عند التغني بها لايجوز له التخلي والشذوذ عن اوضاع تلك الشعب والپردات والميانات وان يأتي بكل واحدة منها ويضعها في مكانها المطلوب واسماؤها •

(سفيان) ونغمه (سيگاه) و (خليلي) نغمه (رست) و (عبوش) نغمه (بيات) و (بلبان) نغمه (سيگاه) و (قريه باش) نغمه (بيات) و (سي رنك) نغمه (سيگاه) و (مخالف كركوك) نغمه (سيگاه) و (قزاز) نغمه (بيات) و (ناهفت) نغمه (چارگاه) و (مدني) نغمه (حجاز) و (على زيار) نغمه (چارگاه) و (بوسليك) نغمه (بيات) و (بيات عجم) نغمه (حجاز) و (قاتولي) نغمه سيگاه و (اذربيجان) نغمه (سيگاه) و (جصاص) نغمه (سيگاه) و (سيساني) نغمه (رست) و (آيدين) نغمه (چارگاه) و (نوروزعجم) نغمه (بيات) و (بشيرى) نغمه (چارگاه) و (دشتي) نغمه (حسيني) و (همايون) نغمه (حجاز) و(زنبورى) نغمه (بيات) و(سگاه حلب) نغمه (سيگاه) و (ماهورى) نغمه (چارگاه) و (عشيشى) نغمه (حجاز) و (عمر كلى) نغمه (بيات) و (لاووك) نغمه (چارگاه) وهذه الشعب والبردات والميانات لا يعرفها الا اساتذة المقام العراقي •

اما كيفية الغناء بالمقام العراقي فانه ينقسم الى خمسة فصول الأول يقال له (فصل البيات) والثاني (فصل الحجاز) والثالث (فصل الرست)



فرقة الچالغي البغدادي

والرابع (فصل النوى) والخامس (فصل الحسيني) .

ولكل فصل من هذه الفصول مقامات خاصة وتوجد مقامات لم تدخل ضمن هذه الفصول وتغنى منفردا ويجوز للمغنى ان يدخلها ضمن هـذه الفصول اذا شاء وغير مستحسن ان تغنى المقامات العراقية عـلى غير آلتي (الكمانة والسنطور) يضاف اليهما الدف والدنبك اى (چالغي بغداد)

وبعد ان يجلس المغنى مع العازفين يبدأ اولا في الفصل الاول وهـو (فصل البيات) ثم (فصل الثاني والثالث) الى آخر الفصول واليك الفصول بمقاماتها وملحقاتها

الفصل الأول

١ ـ (البيات) ونغمه (بيات) ويغنى فيه الشعر الفصيح اما كيفية الغناء به يبدأ مع المحافظة على اصوله وبعد التوغل فيـه يعمل ميـانة (الرست) ثم قطعة من (العشيران عجم) ثم يعمل ميانة (البيات) ويختم به والشعر الذى يغنى فيه هو .

بدت لنا الراح في كأس من الحبب ... فمزقت حلة الظلمـآء في اللهب
بكر اذا زوجت بالمـآء اولدهـا ... أطفـال در على مـآء من الذهب
بقيـة من بقـايا قـوم نوح اذا ... لاحت جلت ظلمة الاحزان والكرب
بعيـدة العهـد بالمعصار لو نطقت ... لحدثتنـا بما في سـالف الحقب
باكرتهـا برفاق قد خلوت بهـم ... قبل السلاف سلاف الظرف والادب

٢ ـ (نارى) نغمه (سيگاه) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به . يبدأ به مع المحافظة على اصوله وبعـد التوغل فيه يعمل قطعة من (الأبراهيمى) وقطعة من (المحمودى) ثم يعمل ميانة (النارى) وقرار (السى‌رنك) اي المثلث وقرار (السيگاه) ويشير الى (السفيان) ويختـم بقرار (النارى)

والموال الذى يغنى فيه هو .

شوم الليالي اراهن مجبلات اعداي ... واعلا هلاكي‌اتتني امسربلات‌اعداي

لمن اجتنى المنيه واگربت وعـداى الروح مني اجزعت والعگل گوطر وهل
وابگيت مسجون اذرف بالمدامع وهل لمن طحت مابگالي گط خيّ وهل
الأهل مني بتروا والگرابه اعداى

٣ ـ (طاهر) نغمه (چارگاه) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفيـة الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على اصوله وبعد التوغـــل فيه يعمل ميـــانة (الحسيني) ثم قطعة من (الخليلى) وهي من (الرست) ثم يعمل (طاهر زنگنه) ويشير الى (النوى) ويختم (بالبيات) والشعر الذى يغنى فيه هو

ردوا على طرفي النوم الذى ســـلبا وخبــروني بعقلي ايـــة ذهبـــا
علمت لما رضـيت الحب منزلـــة ان المنام على جفني قـــد غضـــبا
كم قلت واحرباً والصمت اجدر بي اذ يغصب الحب مذ ناديت واحربا
روحي تلذ الأسى فيـــه وتألفـــه هل تعلمون لروحي في الهوى نشبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما اغراك قلت اطلبوا من لحظه السببا

٤ ـ (محمودى) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به يعمل الميانة من بردة (النوى) ويعمل قطعة من (الجبورى) وقطعـة (العمرگلى) وقطعة من (العبوش) وقطعة من (القريه باش) وقطعـة من (الچارگاه ثم يختم (بالمحمودى) والموال الذى يغنى فيه هو •

يا من جميع المحاسن حزت وانتبها سكران بمحبتك ما فز وانتبهــــا
ما يحوجك بالليالي ضو وانتبهـــا دمعي طفه نار مصباحك لوجدي وبس
آني صحت يا لهيب النار يزي وبس احرك جمع الجيد ثم الجوارح وبس
واحذر على مهجتي لتـــــذوب وانتبهـــا

٥ ـ (سيگاه) نغمه (سيگاه) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفيـة الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (التفليس) وقطعة من (مخالف كركوك) وقطعة من العتابـة (سلمك) وقطعة من (سيگاه حلب) وقطعة من (الجمال) ويختم (بالســـيگاه) والشعر الذى يغني فيه هو •

وحقك اني قانع بالـذى تهـــوى وراض ولو حملتني في الهوى رضوى
فدونك روحي فأقض فيها ولاتخف فأن عنـــاني نحو غـيرك لا يلوى

وجدت الهوى حلواً فلما وردتـه تأجن حتى شاب بالكدر الصـفوى
واعقبني من خمـر حبـك نشـوة فها انا حتى الحشر لا اعرف الصحوا
ولعت بذكر الغانيـات مموهـاً عن اسمك كي لاتفهم الناس من اهوى

٦ ـ (مخالف) نغمه (سيگاه) ويغنى فيه (موال) وكيفيـة الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة (سي رنك) اى المثلث ثم يعمل الميانة من (النوى) وقطعة من (السي رنك) ايضـا وقطعة من (المحمودى) وقطعة من (العبوش) وقطعة من (العـذال) وقطعة من (الگلگلى) ويختم (بالمخالف) والموال الذى يغنى فيه هو •

فگد السباسب على متن الكرام انجيب واندور بين الرفاگه مانشوف انجيب
رك العزم ما بنا للي دعـانا انجيب عفيه دهر ما نصادف بيك ليلة گدر
بعدن فلاشوف من ربعي معزه او گدر اصحابنا الحين ملهم علمّوده گدر
مثل الرفاگـه المضوگلى امنين انجيب

٧ ـ (حليلاوى) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل الميانة من (النوى) ثم يعمل الگفته من (المگابل) وقطعة من (الحجاز شيطاني) وقطعة من (القطر) ثم يختم بميانة (الحليلاوى) والموال الذى يغنى فيه هو •

ما چان يخطر على بالي تملـونا وبهجركم للحشـا همن تملونا
يبزى بنـار الغضى گلبي تملـونا كلبي تفتت عليكم بالصدود اونعم
وبمثلكم گط ما جاد الزمان او نعم ماني تربيت وياكم بخـير او نعـم
واليوم فد نوب ما عدتم تملونا

الفصل الثاني

١ ـ (حجاز ديوان) نغمة (حجاز) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (الحسيني) ثم يعمل نيم خانة (الارواح) أي نصف خانة ويعمل قطعتـين الواحدة تلو الاخرى الاولى (حجاز آچغ) والثانية (قزاز) ويعمل ميـانة (الناهفت) وهي من (الحسيني) واذا شاء يعمل قرار (النوى) ويختـم

ب(الحجاز المدني) والشعر الذي يغنى فيه هو :

يا مريض الجفـــون رد رقادي قصرت همتي وطـال ســـهادي
كم تماديت بالصـــدود وقلـــي مســتهام بقـــدك الميـــاد
لذ لي في الهوى اتهامي فهـــل لي منجـــد ان قطعت حبـــل ودادي
وبجسمي حـل الســقام الى أن كدت اخفى اســى على العـــوآد
قســـماً ما اثنيت فيـك لواشـــي فعـــلى‌م اشـــمت بي حســـادي

٢ ـ (قوريات) نغمة (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء فيه • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (العريبون‌عجم) ويعمل الميانة من (القريه‌باش) ثم يعمل ميانة ثانية من (النوى) ويختـــم (بالقوريات) والموال الذي يغنى فيه هو :

يا من سكنت الگلب يمته علينه تمر اوگف انا ابخدمتك تامر وكلك‌تمر
يكفي‌الهجر والجفا للريج بسك‌تمر منك فلا صابنى غير الصدود اونوى
مدريت شنهوالضمر گلبك‌عليه‌اونوى منك تمر ماشفت غير الگشوراونوى
يا يوم يا منيتي منك اشوفن تمــر

٣ ـ (عريبون عجم) نغمه (حجاز) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء فيه • يبدأ مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمـــل قـــرار (الكابول) ثم يعمل ميانة (الشهناز) وبعدها يعمل قرار (النوى) ويختـــم ب(السفيان) والشعر الذى يغنى فيه هو :

وكم طارحت من ورقـآء تشـــدو على الشـــرفين بالـــوادى البعيـــد
تقول اعداذا اصـــــغيت شـــجواً وان اصـــغت اقول لهـــا اعيدى
وترحـــم لوعتي وتقول قـــولاً جميـــــلاً ما عليـــه من مزيدى
الا يا نســـمة الأســحار قـــولى لفاتنتـــــي اقلبـــك من حـــديد
قتيـــل هـــواك ما تدعـــوه الا اجابتـــك العظـــام من اللحـــود

٤ ـ (عريبون عرب) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناءبه• يبدأ مع المحافظة على أصوله على أن يكون البدء من پردة (النوى) ثم يعمل قطعة من (المحمودي) وثم يعمل ميانة (النوى) وقطعة من (العمرگلى)ويعمل الگفته ويختم (بالعريبون عرب) والموال الذي يغنى فيه هو

ياگلب ود اليودك وترك الخلوك | دافو يريحك صبر بعد الصبر خلوك
وبصدهم في جميع امفاصلك خلوك | وهناك تفتگ جروح المولمه منهـم
واعله الگناطير جوده ما شفت منهـم | جازوا تراهم منك ما جزت منهـم
ما يقنت حته في دار السـگم خلوك

٥ ـ (ابراهيمي) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به . يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (المحمودي) ويعمل قرار (على زبار) ثم يعمل ميانة (الحسيني) وقطعة من (القوريات) ثم يعمل ميانة (الحسيني) أيضا ويعمل قطعة من (المنصوري) وقطعة من (الشرقي) وقطعة من (القطر) وقطعة من (الجبوري) وقطعة من (العمر گلى) وقطعة من (القريه باش) وقطعة من (العريبون عجم) ثم يعمل ميانة الحسيني ويعمل قطعة من (القزاز) وتسمى السنبلة ويعمل قطعة من (المحمودي) ثم يعمل ميانة (الدشت) وبعدها يعمل قطعة (الچارگاه) ويختم بميانة (الدشت) وهذا المقام من اكبر المقامات العراقية واحسنها والموال الذي يغنى فيه هو

فجر النوى لاح ياعاذل تجلى اوطار | چنهم جفوني ولا منهم گضيت اوطار
جسمي خوه والعگل مني تنحه اوطار | من شفت حادى الرچايب لاح لولاهن
بضمايري جاورن لحشاي لولاهن | المزعجات الليالي الشوم لولاهن
ما چان عاف الگطه طيب المنام او طار

٦ ـ (حديدي) نغمه (صبا) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (القريه باش) وقطعة من (القطر) وقطعة من (العمر گلى) وقطعة من (العريبون عجم) ثم يعمل ميانة (النوى) ويختم (بالحديدي) والموال الذي يغنى فيه هو :

يا من جبينك بدر علناس اشرگ وهل | لتظن بعدك الي مالي يسلى وهل
وابگيت من فرگتك اجرى المدامع وهل | ظهري يناهي انكسر من التجافي وحن
رق العدو من نظر حالى او بچالى وحن | بيه التريده حصل خضب چفوفك وحن
شگ عاد ليه اللحد واحفر بيدك وهل

الفصل الثالث

١ـ (رست) نغمه (رست) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (المنصوري) وقطعة من (الابراهيمي) ثم يعمل ميانة (الچارگاه) وبعدها يعمل قطعة من (المدني) ثم يعمل ميانة (العجم) ويختمها بقرار (الطاهر) ثم يعمل قطعة من (الطاهر) وقطعة من (الخليلي) وقطعة من (المثنوى) وقطعة من (الحسيني) ويختم (بالرست) والشعر الذى يغنى فيه هو

اقول لصحب ضمت الكأس شملهم ... وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وان طال المدى يتصرم
ولا تتركوا يوم السرور الى غد ... فربّ غد يأتي بما ليس يعلم
لقد كادت الدنيا تقول لأهلها ... مشافهة لو انها تتكلم
الا ان اهنى العيش ما سمحت به ... صروف الليالي والحوادث نوم

٢ ـ (منصورى) نغمه (بيات) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناءبه • يبدأ به مع المحافظةعلى أصوله وبعدالتوغل فيه يعمل قطعةمن(القطر) وقطعة من (العبوش) ثم يعمل الميانة من (الحسيني) ويعمل قطعة من (المثنوى) ويشتغل به متوسطا ثم يعمل ميانة (الحسيني) أيضا وقطعة من (الارواح) ويختم (بالمنصوري) والشعر الذى يغنى فيه هو :

هزوا القدود واخجلوا سمر القنا ... وتقلدوا بيض السيوف الأعينا
وتبادروا للعاشقين فكل من ... طلب النجاة لنفسه الاّ انا
لا خير في جفن اذا لم يكتحل ... ارقاً ولا جسد تجافاه الضنا
وانا المفدى البابلى للحظه ... لا تستطيع الأسد تنظر اذرنا
اقسى علي من الحديد فوآده ... ومن الحرير تراه خداً الينا

٣ ـ (حجاز آجغ) نغمه (حجاز) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على اصوله وبعد الاشتغال به متوسطا يعمل قراره ويعمل الميانة من (المدني) ثم يرجع الى (الحجاز آجغ) ويختمبقراره والشعر الذى يغنى فيه هو

ماس كالغصن في الرياض وصالا | فبذلنا عليه روحاً ومالا
قمر في منازل الحسن يسري | تستفيد البدور منه الكمالا
يا عذولاً يلومني في هواه | ما رأت مقلتاك ذاك الجمالا
ان تجلى فكالغزالة حسناً | اورنا لحظه رأيت الغزالا
قلت لما بدا وتهت غراماً | (هكذا هكذا والاّ فلالا)

٤ ـ (جبوري) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل الميانة من (النوى) ثم يعمل قطعة من (الحسيني) وقطعة من (السي رنك) أي المثلث وقطعة من (العمر گلى) وقطعة من (القريه باشى) ثم يعمل قرار (الجبورى) ويختم به والموال الذى يغنى فيه هو

سهم النوايب دعن بضمايرى چلمات
وبلابل الشوگ غنت بالحشا چلمات
چمدوب اسمع وعدي المنذل چلمات
وآني عزيز النفس والوكت بيه داس
منهم جزت واتركت وادعيت گام الداس
واللي تشوفه يود غيرك وعنك داس
ذاك اتركه يا معنى واجعله چلمات

٥ ـ خنابات نغمه (بيات) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به يبدأ مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (الحسيني) وقطعة من (القطر) وقطعة من (الشور) وقطعة من (العريبون عجم) ويعمل قرار (الخنابات) ويختم (بالمنصوري) والشعر الذى يغنى فيه هو

منك الصدود ومني بالصدود رضا | من ذا علي بهذا في هواك قضا
لي منك ما لو بدا في الشمس ماطلعت | من الكآبة او بالبرق ما ومضا
وقد تعرضت عن كل بمشبهه | فما وجدت لأيام الصبا عوضا
اذا الفتى ذم عيش في شبيبته | فما يقول اذا عصر الشباب مضى
جربت دهري واهليه فما تركت | لها التجارب من ود امرء غرضا

الفصل الرابع

١ ـ (نوى) نغمه (نوى) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة يقال لها (موعة) وهي من (القطر) وقطعة من (المحمودي) وقطعة من (الحسيني) ثم يعمل قطعة (الموعة) أيضا ثم يعمل ميانة (النوى) وقطعة من (الابراهيمي) وقطعة من (الجبوري) ويختم بقرار (النوى) والشعر الذى يغنى فيه هو

ارق على ارق ومثلي يأرق | وجوى يزيد وعبرة ترقرق
جهد الصبابة ان تكون كما أرى | عين مسهدة وقلب يخفق
وعذلت أهل العشق حتى ذقته | فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني | عيرتهم فلقيت فيه ما لقوا
نبكي على الدنيا وما من معشر | جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

٢ ـ (مسچين) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من الابراهيمي ثم يعمل الميانة من النوى ويحافظ على قطعة (السيرنك) أي المثلث ثم يعمل قطعة من الابراهيمي أيضا وقطعة من المحمودي وقطعة من (الآيدين) وقطعة من (الجبوري) ويختم (بالمسچين) والموال الذى يغنى فيه هو من نظم مؤلف هذا الكتاب :

من يوم فرگاك عني كل همي بعد | وابگيت فرحان ماتحصهافراحي بعد
كل امل والله ما تملى ابحبك بعد | وزرعت ما بين روضات الورد تالى
وبكل ظني احوش اثمارها تالى | يا من صرت دون ربعك ماالِك تالي

يا خاين الزاد ما يمكن اشوفك بعد

٣ ـ (عجم) نغمه (چارگاه) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل الميانة من (الحسيني) ثم يعمل ميانة (النوى) ويعمل قطعة من (الحسيني) وقطعة من (المحمودي) وقطعة من (البوسليك) وقطعة من (الصبا) ثم يعمل قرار (العجم) ويختم به

والشعر الذي يغنى فيه هو

هي حزوى ونشـــرها الفيـــاح كـــلّ قلب لذكـــرها يرتـــاح
مرضت سلوتي وصـــح غـــرامي بلحاظ هـــي المراض الصـــحاح
ليت شعري وللهـــوى عطفـــات هل يبـــاح الدنو او لا يبـــاح
عجبـــاً كيف لا يبـــاح دنوي منـــه قوم وقتل مثلي ســـفاح
كل ســـر لهم بقلبي مصـــون غير ان الهـــوى لـدي مبـــاح

٤ ـ (صبا) نغمه (صبا) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (العبوش) وقطعة من پردة (النوى) ثم يعمل بردة من (الچارگاه) ويختم بقرار (الصبا) والشعر الذي يغنى فيه هو

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد
لقد هتفت ورقآء في رونق الضحى على فنن الاغصان بالبـــان والرند
بكيت كما يبكي الوليـــد صـــبابة وذبت من الحزن المبرح والجهـد
لقـــد زعموا ان المحـــب اذا نأى يمل وان النأي يشفى من الوجـد
بكل تداوينا فلم يشـــف ما بنـــا على ان قرب الدار خير من البعـد

٥ ـ (راشدي) نغمه (چارگاه) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل پردة من (الرست) وقطعة من (الآيدين) ويختم بقرار (الراشدي) والموال الذي يغنى فيه هو

يازين الأوصاف روحي من الصبر منهـّا من دون كل الخلگ شيلتن منّها
كلما نهيت الگلب عن عشرتك منهـّا محروم طيب الكرى عيناي بيهاحجر
زرتك بذى زلزله والعاديات اوحجر بير التردد منها بالك تزتها ابحجر
لابد تعاود عليهـــــا او ترتوي منّهـــــا

الفصل الخامس

١ ـ (حسيني) نغمه (حسيني) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمـــــل قطة مـــن (المحمودى) وقطعة من (المخالف) وقطعة من (الابراهيمي) ويختم بقـــرار

(البوسليك) والشعر الذى يغنى فيه هو

بأي جنـــاية منـــع الوصـــال أبخـــل بالمليحـــــة ام دلال
تحـــرم ان تمس النـــوم عيني مخافـــة ان يمر بهـــا خيـــال
وفي الركب اليمـــانيين خشـــف بحبـــاة القلوب لـــه اكتحـــال
قرأت الســـحر في عيني غـــرير يترجـــم عنهما الســـحر الحلال
ويثمـــر غصـــنه قمـــرا منـــيرا قليـــل أن يقـــال له كمـــال

٢ ـ (دشت) نغمه (حسيني) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قرار (الحسيني) وقطعة من (الكابول) ثم يعمل قرار (الچارگاه) وقطعة من (البيات عجـم) مع الميانة وقطعة من (العريبون عجم) وقطعة من (المنصورى) ويختم بهـــا والشعر الذى يغنى فيه هو

كن بالمدامـــة والســـرور متمما صـــفرآء قبل المزج تحكي العنـــدما
شـــمس اذا جليت بكأس اطلعت منهـــا الحباب على الندامى انجمـــا
هذي اويقات السرور فلا تضـــع فرص السرور من الزمـــان فربما
او ما ترى فصـــل الربيع وطيبـــه والزهـــر في الأكمـــام كيف تبسما
وامزج معتقـــة الـــدنان فانني اهوى المزاج بريق معسول اللمـــا

٣ ـ (ارواح) نغمه (حسيني) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (على باز) وقطعة من (الارفة) وقطعة من (الحسيني) وقطعة من (الآيدين) ويختم بقرار (الصبا) والشعر الذى يغنى فيه هو

اينخـــاها بمنعـــرج الغميـــم فثـــم ملاعب الرشـــأ الرخيـــم
منـــازل ســـالمتني في رباهـــا اســـرة ذلك الـــزمن القـــديم
وما انســـى الغوير وان ســـقاها نواح حمامة كـــأس الحميـــم
ويطرب مســـمعي نغمـــات ورق تردد نوحهـــا بدجـــى بهيـــم
متى تصـــحو ليالينـــا وهـــلا افـــاق الدهر من ســـكر قـــديم

٤ ـ (اوج) نغمه (صبا) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغناء بـه يبدأ به ، مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل نيم خانة (الاوج)

أي نصف خانة ويعمل قراره ثم يعمل ميانة (الاوج) ويختم بقراره والشعر الذى يغنى فيه هو

ادر الزجاجـــة لا عـدمت مديرا — واسق النـــدامى نضرة وســرورا
وافض علينـــــا من تجـلى حسنها — نـــاراً تدك من القلـوب الطـــورا
عجبــــا لها يا للملا ببروزهـــا — ناراً وقد حشـــت العـــوالم نورا
من نالها زوراً فقـــد غنمت بهـــا — يد معشـــر لايشـــهدون الـــزورا
هات اسقني ذات الصـــفاء وخلني — من عين كرم كـــدرت تكـديرا

٥ ـ (حكيمي) نغمه (سيگاه) ويغنى فيه (موال) وكيفية الغناء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (التفليس) وقطعة من (المخالف) ثم يعمل ميانة (الاوج) ويعمل قطعـــة من (التفليس) أيضاوقطعة من (الركباني) ثم يعمل قرار (الحكيمي) ونيم خانة (المخالف) أي نصف خانة ويختم بالعتابة والموال الذى يغنى فيه هو

يازين الاوصاف غيري بالملا هلّك — سبحان رب البرية چلبـــدر هلّك
ورضيت مني الدمع يوم الذيهلّك — وبصد هجرك وتعذيب الگلبفرگاك
متخاف من حوبتي يوم الذيفرگاك — اگدر علىالموتما اگدر على فرگاك
متعجب جيـــف انت ابفـــــرگتي هلّك

٦ ـ (پنجگاه) نغمه (رست) ويغنى فيه الشعر الفصيح وكيفية الغنـاء به • يبدأ به مع المحافظة على أصوله وبعد التوغل فيه يعمل ميانة (الپنجگاه) ثم يعمل قطعـــــــة من (المثنـــــوى) ويرجـــع يعمل (البنجـــــگاه) وبعد الاشتغال به متوسطا يعمل قطعة من (المثنوى) أيضـــا ويختم بقراره والشعر الذى يغنى فيه هو

شكوت الى أحبابنـا طول هجـرنا — فقالوا لنا ما اقصـر الليل عنـــدنا
فلو انهـم كانوا يلاقون مثـــل ما — نلاقي لكانوا في المضـــاجع مثلنـا
وذاك لأن النوم يغشـى عيونهـــم — ســراعاً وما يغشى لنا النـــوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر لذى الهوى — جزعنا وهم يستبشـــرون اذا دنـــا

وبفصل الخامس تتم فصول المقامات العراقية ، ويوجد عدة مقاماتغير داخلة ضمن هذه الفصول ويغني كل مقام منها منفردا ويجوز للمغني الغناء بها ضمن هذه الفصول وهي :

١ ـ مقام (جمّال) نغمه (سيگاه) ويغنى فيه (شعر)

ادر الكؤوس ضحى وهاك وهاتهـا ، واذا دعتـك الى المزاج فآتهـا
ومتى ثملت بهـا فواصل شـربها يسري الدواء لدائهـا من ذاتهـا
وسل السقاة فأنهـم ادرى بهـا وحديثها يبـدو بوجه سـقاتها
راح أرق من النسيم اذا سـرى وعبير نفـح الطيب من نفحاتهـا

٢ ـ (بشيري) نغمه (جارگاه) ويغنى فيه (شعر) مثل

الا ليت شـعري والفوآد عميـد هواي قريب أم هـواي بعيـد
وفي القرب تعذيبوفي البعد حسرتاً ومأمنهمـا الا علـيّ شـديد
معذبتي فيما الصدود وما الـذي امنيـه حتى لا يكون صـدود
اصدقت حسـاداً وكذبت عاشـقاً وليس سواءً عاشـقاً وحسـود

٣ ـ (دشتي) نغمه (حسيني) ويغنى فيه (شعر) مثل

حن قلبـي مـن بعـد قـد انابا ودعى الهـم شـجوه فأجـابا
ذاك في منزل لسـلمى خـلاء لابس من خـلائه جلبـابا
عجت فيـه وقلت للركب عوجوا طمعـاً ان يرد ربع جـوابا
فاستثار المنسـي من لوعـة الحب وابدى الهمـوم والأوصـابا

٤ ـ (حويزاوي) ونغمه (حجاز) ويغنى فيه (شعر) مثل

سقى بلداً أمسـت سليمى تحـله من المزن ما يروى بـه ويشـيم
وان لم اكن من قاطنيـه فأنـه يحل بـه شـخص علي كـريم
الا حبـذا من ليس يعدل قـربه لـدى وان شـط المزار نعيـم
سـلام عليه كلمـا هبت الصـبا سلام كئيب في الـديار سـقيم

٥ ـ (همايون) نغمه (حجاز) ويغنى فيه (شعر) مثل

ابت المليحـة ان تواصـلني واظـن اني زائـر رمسـي
لاخير في الدنيـا وزينتهـا ما لـم توافق نفسـها نفسـي
لا صبر لي عنهـا اذا حسـرت كالبـدر أو قـرناً من الشمس
ورمت فوآدي عنـد نظرتهـا بملاحـة الأيثـار والأنس

٦ ـ (نوروز عجم) نغمه (بيات) ويغنى فيه (شعر) مثل

تتيـه على العشاق في حلل خضـر مفككة الأزرار محلولة الشـعر

فقلت لهـــا ما الأسم قالت انا التي ‎ كويت قلوب العاشـقين على الجمر
شكوت اليها ما اقاسي من الهـــوى ‎ فقالت لصخر قد شكوت ولـم تدر
وقلت لها ان كان قلبك صـــــخرة ‎ فقد انبـــع الله الزلال من الصخر

٧ ـ (قطر) نغمه (حجاز) ويغنى فيه (موال) مثل

الناس بالزور والبهتـان متعـــامله ‎ والحگ من مات صار اليوم متعامله
واشوف نار الغضة بحشاي متعامله ‎ تسعر كما تسعر النيران بالنيـــات
هيهات شص الحرش ايصيد بنيات ‎ رب العرش گدر الأعمال بالنيـات
ويعــــاملك يا مســـــودن مثل متعـــامله

٨ ـ (شرقي دوكاه) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) مثل

بيك چان ظن العدا بي ما تشـافيها ‎ وشفاي ميزان وصلك ما تشـــافيها
عذبتني ليش روحـي ما تشـــافيها ‎ عنـي تنحيت يا زين الطبـع مالك
منهو الذي عن طريج امودتي مالك ‎ سلمتك الروح لوله امعذبي مالك
خذها بيمنــــــاك واعمـــل ما تشـــافيها

٩ ـ (شرقي اصفهان) نغمه (رست) ويغنى فيه (موال) مثل

ما شفت مثل الدهر غـدار فاتنّـــه ‎ بذات ماله وفه كل وكت فاتنّـــــه
لاتامنـــــه لو زرعلك ورد فاتنّـــــه ‎ ايست منّه اوشفت اثمار زرعه صبر
وارفعت راس لچيد اعداي لنهم صبر ‎ ناشدت أهل العگل ما لراي گالوا صبر
گلت الصـــــبر وين والايام فاتنّـــــــه

١٠ـ (باجلان) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) مثل

يا بدر تم تلاله بالدجى واشـرگ ‎ صمصام لحظك گطع من الچيد واشرگ
لونسم الريح من صوب الغرب واشرگ ‎ منك يمن خيبت مني الرجا والمضن
واصبر الروح لجلك واسقى گلبي المضن ‎ يوم اللي اذكر سعد ذيج الليالي المضن
او چنت هلكان ابمـــاي الـــزلال اشرگ

١١ـ (بهرزاوي) نغمه (بيات) ويغنى فيه (موال) مثل

ماشاكني غير فگد الـولف ولواني ‎ وافراگهم هد ركني اگواي ولواني
ما صـــــدني عذل عاذل يوم ولواني ‎ عيني وروحي گضت بالشوگ لاعنّهم
يا ريت سلّم عنـان البين لا عنّهم ‎ ساچن وعندي ثلاثة اشهود لا عنّهم
سهر الدجى واختلاج اعضـــــاي ولواني

١٢ـ (مدمي) نغمه (حجاز) يغنى فيه (موال) مثل

لوشورنفسي ودانش خاطري وهواي   وابسبتك اثر ابراسي درد وهواي
من مثل ذوله التودهم شايفين اهواي   ايعجزون الملا بفعالهـــم يا خلگك
لچماتهم بالسريه والحشا يا خلگك   كبرت نفسهم عليه چيف لابس خلگك
واكثير شـــايف مثلهم بالزمان اهـــواى

١٣ـ (مگابل) نغمه (بيات) يغنى فيه (موال) مثل

بعد الصبر لا تسل يا صاح ملّوني   وابنار جمر الغضه يا ناس ملّوني
ثابت على حبهـــم ما يوم ملّوني   تم الگلب مبتلى حـــيران ويـاهـــم
وافراگهم مهجتي واعضاي وياهــم   كل التعب والسهر ما فاد ويـاهم
لمن حچيت الصـــدگ يا ناس ملّـــوني

١٤ـ (گلگلي) نغمه (سيگاه) يغنى فيه (موال) مثل

ريم الفلا جيت اصيده لب گلبي صاد   خافور چبدي عليهم بالتجافي صاد
من عگب ذيچ الموده ليش عني صاد   اهوى اطروش اللغت ويودهم خاطري
والله ما يهتوى مـع غيرهم خاطري   آه ولو تعلم المضمور في خاطـري
ما مگصدي مـن ـ خدوك غير ميم اوصـــاد

وبهذه المقامات اشتهر مغنون كثيرون منهم (شلتاغ) و (ابو احميد) ولم أر أحدا ممن عاصرهما وسمع غنائهما لاسأله عنهما ونبغ بعدهما المغني أحمد زيدان • واليك ترجمته :

اذا كان الغناء موهبة يختص بها الموهوبون وفنا يعتز به الفنانون فتلك الموهبة وذلك الفن انحصر قبل ربع قرن في رجل يقطن حيا من احياء بغداد (الفضل) يدعى أحمد زيدان فقد انفرد سنين طويلة أربت على الستين حجة بالغناء العذب الشجي وكان عاشقا مع العشاق يسمعهم ترتيل القلوب بلفظة من نغم حي يرسله استرسالا بلا تكلف أو تصنع وكان مجّوداً بارزا مـع المجودين يبعث النغم كالبلبل الصداح ، امتلك زمام فن الغناء فانقاد له فكان المجالس الذى لايدانيه فرد واحتفظ بهذه المكانة زمانا وهو سمير الندوات ونديم مجالس الطرب وخاصة مجالس الاعيان والسراة التي كان فيها الغريد لما أنعم الله عليه من صوت رخيم وحنجرة قوية وملكة على ضبط (المقامات



احمد زيـدان

انعراقية) التي أجاد بها وأتقنها اتقانا لا نظير له في عصره ولا في العصورالتي أعقبته ، ان ابرز ما جعله وحيد جيله بفن الغناء هو الاتزان والاتقان والتنقل بمهارة فائقة من مقام الى آخر بصورة تدهش السامع ويوهمه في غنائه بأن مراده قد انحصر فيه حتى اذا رسخ ذلك في ذهنه ينتقل منـه انتقالا فنيـا ثم يأخذ بالتدرج حتى يعود الى ما كان عليه وهذا أسلوب لم يستطع أحد المغنين لا في عصره وعصرنا من ضبطه والاجادة به ، أخذ أحمد زيدانالغناء عن استاذين هما (شلتاغ وأبو احميد) وهذان مغنيان كثيرا ماحليّاجيدالغناء

العراقي بدرز فنهما وكانت شهرتهما تساوي شهرة (معبد والغريض) في العصور العربية الماضية • فلقد هذبا لحنه وتوليا أمر صوته عندما رأيا فيه توفر الصوت العذب والقدرة على حسن الالقاء فخلفاه بعدهما مفخرة مابعدها مفخرة ، كان لاحمد زيدان ندوة فن يختلف اليها عشاق الغناء يأخذون عنه جيداللحن واطيف الالقاء وهذه الندوة هي (مقهى) في الحي الذى نشأ ونرعرع فيه وتسمى مقهى (مجيد كركر) وهي لم تزل باقية الى الانفكانت هذه المقهى التي عجت بالعشرات من هواة الغناء أشبه بمدرسة يتلقون فيها دروس الفن وكان أحمد هو المدرس الوحيد بها وغايته من ذلك انلاينذثر هذا الاثر المجيد ومما هو جدير بالذكر ان أحد من أخذ عليه من البارزين هو (رشيد القندرجي) الذى ينفرد بالمقام العراقي ويجيده كما كان يجيده استاذه فارقا واحدا وهو ان أحمد زيدان كان قوي الحنجرة متين الصوت بخلاف ما هو عليه تلميذه ، وسوف نأتي بترجمة رشيد بعد ترجمة استاذه ، مات أحمد زيدان عن عمر لم يتجاوز الثمانين سنة :

والمـــوت نقاد على كفــه جواهر يختار منها الحسان

قضى عمره وروحه طائرة في سماء اللهو والطرب ونفسه تواقة الى الانس والحبور وهذا المرح النفسي هو الذى جعله يهوى الفن ويعشـقه والفن يهواه ويدل بين يديه • توفى ببغداد مسقط رأسه سنة **١٣٢٨**هجرية وهو ينتسب الى عشيرة (البيات) الشهيرة التيتقطن الان بجوار(جبل حمرين) وقد اشتهرت بحلاوة الصوت وعذوبته ، ولما شاع نعي الفقيد بكته بغـداد بدموع غزيرة وأعلنت مجالس الانس حدادها عليه واكثر ما شق نعيه على أخوانه ومحبيه الذين كانوا يميلون الى صوته ويكبرون فنه وما كان يقـام عرس من أعراسهم الا وبلبله أحمد زيدان الذى رأيته بعيني وسمعته بأذني، لقد سمعته في ليالي الجمع ونهارها في بغداد في الجامع المعروف بجـــامع (الخاتون) وهو في حوض المأذنة يردد بصوته الملائكي مستعطف الـذات الالهية بقلب مفعم بالاوزار مثقل بالخطايا والذنوب لشموله العفو والمغفرة مناديا بنغم (الحجاز)

يارب ان عظمت ذنوبي كثـرة فلقد علمت بأن عفوك أعظـــم
ان كان لا يرجوكِ الا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجـــرم

أدعوك رب كما أمرت تضرعـا فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي اليك وسيلة الا الرجـــا وجميل عفوك ثـــم أني مسـلم

سمعته بأفياء الكروم تحت ظل النخيل بين الرياض النضرة والورود العطرة يهتف بنغم (النوى) :

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولـــون لي أمـــا تستفيق
ويلومني فيـــك يا بنت عبـــد الله والقلب عنـــدكم مو موق
لست أدرى اذا كثر العـــذل أعـــدو يلومني أم صـــديق
ثم نادوا الى الصبوح فقــامت قينـــة في يمينهـــــا ابريق

سمعته في التكايا بين حلقات الذكر ودمدمة التسبيح فكان قطب رحى دائرتها وسلسلة عقد نظامها وهو يجهر بنغم (الرست) :

يا قلب لاتشكو الصبابة بعـــدما أوقعت نفسك بالهوى وهـوانه
تهوى وتطمع أن تفر من الهوى كيف الفرار وأنت رهن ضمانه
يا للرفاق ومن لمهجـــة مدنف نيرانها نزعت شـــوى سلوانه
لم ألق قبل العشق نارا أحرقت جســـدا وحب المصطفى بجنانه
خير النبيين الـــذى نطقت بـــه التوراة والانجيل قبـــل أوانه

سمعته يساجل العنادل بتغاريدها ويطارح الحمائم بنواحها يخاطبهـا بنغم (الاوج) :

ألا ياحمامات اللوى عدن عودة فأني الى اصـواتكن حـــزين
فعدن ولما عـدن كـــدن يمتنني وكدت باســـراري لهن أبين
دعون بترداد الهـدير كـــأنما ســقين حميا أو بهن جنـــون
فلم تر عيني مثلهـن حمائمـــا بكين ولم تدمع لهـن عيـــون

سمعته بشواطيء دجلة يجاري الطبيعة بسكونها والمياه بخريرها ينبعث كمزمار داود منشدا بنغم (الصبا) :

خليليَّ ما أحلا صبوحي بدجلة وأعذب منها في الفرات غبوقي
شربنا على المائين من ماء كرمة فكان كـــدر ذائب وعقيـــق
على قمري أفق وأرض تقـابلا على شائق حلـو اللمى ومشوق
ولا زلت أسقيه وأرشف ثغـره ولا زال يسقيني ويرشف ريقي

فقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى   فقال نعـــم هذا أخي وشقيقي

سمعته في حفلات الاعراس بين السرر المصفوفة والنمارق المبثــوثة والندامى في سورة اللهو غارقون منشدا بنغم (السيگاه) :

قا ميجلوها وفي الاجفان غمض   والندامى نـــوّم بعض وبعض
والضيا يرمي به فجر الدجــى   ولخيل الصبح في الظلمة ركض
وكـــأن الليـــــل نجم مقــــلع   لمعـــان الكأس في جنبيـــه ومض
في رياض نسجت فيها الصـــبا   ولها في زهوها بســط وقبض
وكـــأن النرجس الغض بهــــا   أعـــين العين وما فيهن غمض
وكـــأن البـــان قـــد مائس   كل غصن فوق عرق فيه نبض
حمّلت جسمي أعبـــاء الهوى   فهو لا يمكنه بالثـــوب نهض

سمعته والحميا تعرب عن فصيح بيانه فتخفضه تارة وترفعه اخـــرى معيدة له فعلها الماضي فينصرف الى دنانها منشدا بنغم (الحسيني) :

اذا ما طفا فيها الحباب حسبتهـــا   كواكب در في ســـماء عقيـــق
تدب دبيب البرء في كل مفصل   وتكسوا وجوه القوم ثوب شقيق
هما ما هما لم يبق شيء سواهما   حديث صديق أو عتيق رحيق
وأني من اللذات دهري لقـــانع   بحلو حديث أو بمـــر عتيــــق

سمعته بين قهقهة الاباريق وتصفيق الكؤوس يدور أينما دارت ويحل أينما حلت وهو يقول بنغم (العجم) :

معتقة صـــاغ المزاج لرأســـها   أكاليل در ما لمنظومها ســـلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها   فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وأدرك منها الغـــابرون بقيـــة   من الروح في جسم أضر به النهك
وقد خفيت من طبعهـــا فكأنها   بقايا يقين كاد يذهبه الشـــك

سمعته بين نغمات الاوتار وضرب الصنوج معلنا بنغم (البيات) :

ومجلس لذة أمسى دجـــاه   يضيء كأنه البـــــدر المنير
تجمّع فيـــه مشـــموم وراح   وعيدان وولدان وحـــــور
تلذذت الحواس الخمس فيـــه   بخمس يستتم بهـــا السرور

فكان الضم قسم اللمس مني وقسم الذوق كأسات تدور
وللسمع الاغاني والغواني لأعيننا وللشم البخور

سمعته في مزارع (الباقلاء) يهب هبوب النسيم في حمّارة الصيف ينعش القلوب والارواح بصوته مناديا نغم (الابراهيمي) على طريق الموال البغدادي :

يا منبع العلم يا بحر الندى ما شفت
صديت عني أو علي كل الاعادي شفت
خليتني حاير ابأمري وعض الشفت
وابگيت أداري الاعادي وصفج الراحات
لا تلومني يا فتى جيف أشرب الراحات
گلت أترك الراح ظني أجسب الراحات
زاد العنا تركها ما يوم راحه شفت

فالصوت الذي يردد في المآذن ويدوي في التكايا ويهتف بافياء الكروم ويغرد مع العنادل ويشارك الاوتار ويصغي لقهقهة الاباريق ويهب مع النسيم حري به أن يمجد ويعظم . هذا هو أحمد زيدان وفي عهده ظهر مغنون كثيرون نذكر منهم المغني خليل الملقب (برباز) وروبيل رجوان ورحمين نفطار وحسن شكرجي وساسون زعرور وشماى وحسقيل ببي ورشيد القندرجي ورشيد هو الخلف الصالح لفن المقام العراقي بعد استاذه .

وقد عاصر رشيد مغنون كثيرون منهم مهدى العيسى ونجم الشيخلى والحاج عباس كمبير ويوسف حوريش ونبغ في طليعتهم محمد القبانجي واشتهر برقة صوته وفصاحة لسانه .

ترجمة رشيد القندرجي

من الناس من يهبه الله سجية الاحسان ومزية الاتقان فينحصر اتقانه واحسانه في صناعته أو الفن الذي يهواه ويختارم لنفسه ويتحول بكليته اليه ويطير به الى أوج الكمال فيصبح بفضله موسيقيا ماهرا وفنانا مبدعا فيرضي الناس جميعا وتحل عبقريته في قلوبهم المحل الاعلى فتنطوى على محبته وتجتمع على تفضيله في حياته وبعد مماته .



رشيد القندرجي

ذلك هو المغني العراقي رشيد القندرجي فأنه عشق الغناء منذ عرف معنى الحياة وانصرف اليه بكل جارحة من جوارحه فأخذ بناصيته وامتلك زمامه ولولا هذا العشق وذلك الانصراف لما كان مغنيا بارعا وفنانا مجيدا •

ان الطابع الخاص الذى امتاز به هذا المغني على أقـــرانه هو لطف الذوق وحسن الانسجام والتروى بالاداء فهذا الذى جعله ان يكون مغنيـــا أصوليا وخبيرا فنيا •

ولد رحمة الله سنة ١٣٠٤ هجرية عن أبوين فقيرين في وقت كانت به حالتهما الاجتماعية لاتساعدهما على تربيته تربية ثقافية فقد تركاه دون ان يدخلاه باحدى المدارس ليتعلم ويتهذب فبقى على أميته الى أن ترعرع ونشأ فتعلم في احدى المعامل البغدادية لصنع الاحذية مهنة عرف بها فيما بعد ومن ذلك الوقت تولع بفن الغناء وصار يجالس كبار المغنين العراقيين ويستمع منهم بعض المقامات ومن حسن حظه انه أدرك استاذه المرحوم أحمد زيدان ولازمه حتى مماته وقد أخذ عنه الغناء فلم تفته حركة من حركاته ونبرة من نبزاته الا وأتقنها وأحاط بها علما وكثيرا ما كان استاذه يسمعه يغني فيطرب لغنائه

ويربت على كتفه استحسانا لما يسمعه منه ويقول له أنت (**خليفتي من بعدي**) وبالفعل حصل على تلك الرتبة الفنية التي كان يتمتع بها استاذه طول حياته •

لقد وهبت له الطبيعة نفسا طروبة تميل الى السرور والمرح غير انه أصيب في بادي نشأته بما عكر صفاء تلك النفس فقد كان يرى أمامه دائما أما حزينة أثقلها الدهر بنكباته فتستسلم يوميا للبكاء أمام الفاقة والعوز اللذين احاطا بهـــا •

وكان هو طيب القلب شديد الحب لها وبذلك حرم في صغره سعادة الطفولة وان تلك الآلام النفسية لم تكن لتحجب خفة روحه وميله الطبيعي للمزح والنكات وقد قضى الشطر الاول من حياته وهو ينتقي درر الانغام ليحلي بها جيد الفن ولم يفكر يوما ما في الزواج فحرم بذلك زوجة تفكر في تدبير منزله وتنظيم أسباب معيشته الداخلية •

كان سريع الطرب لا يقل طربه أثناء جلوسه على تخت الغناء عن طرب السامع وهو أول مغني عراقي بعد استاذه تنبه الى واجبات الايماء واستصحاب حركات الغناء بالاشارات أي التمثيل فاذا غنى مقاما وأسمعه للناس لاول مرة خرجت منه أنغام متقنة الوضع رائقة للسمع وهذا مما جعل الناس أن يتحقق لديهم أن اجتهاده الفني في لابداع يعادل منزلة المجتهد في الاختراع وعلى هذا بقي يرغل في ثياب الانس والفرح ليله كنهاره ونهاره كليله يشنف آذان السامعين بلآليء غنائه الى أن دعته الحكومة ليكون خبيرا فنيا في دار الاذاعة العراقيه فقام بواجبه الفني خير قيام فحصل بذلك رضاء رؤسائه وبعد مدة اعتراه مرض لم يمهله اكثر من ثلاثة أيام وتوفي على غير انتظار ليلة الاثنين ٨ صفر سنة ١٣٦٤ هجرية وترك ورائه شهرة لايمكن ان ينطفي سراجها الوهاج •

ومن غنائه قصيدة نغم (نوى) :

ومقرطق يسـعى الى النـــدماء	بعقيقـــــة في درة بيضـــــاء
والبدر في أفق السماء كـدرهم	ملقى على ديبـــاجة زرقـــــاء
كم ليلة قـــد سـرني بمبيتـــه	عندي بلا خوف من الرقبــــاء
ومهفهف عقد الشراب لسـانه	وحديثه بالرمـــــز والايمـــاء
حركته بيدي فقلت له انتبـــه	يا فرحـــة الخلطاء بالنـــدماء

فأجابني والسكر يخفض صوته | بتلجلج كتلجلج الفأفاء
انى لافهم ما تقول وانما | غلبت علي سلافة الصهباء
دعني أفيق من الخمار الى غد | وأفعل بعبدك ما تشا مولائي

ومن أغانيه مقطوعة نغم (سيگاه) :

نضت عنها القميص لصب ماء | فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت | بمعتدل أرق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها | الى ماء معد في أناء
ولما ان قضت وطراً وهمت | على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التداني | فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل | وظل الماء يجرى فوق ماء
فسبحان الاله وقد براها | كأحسن ما تكون من النساء

ومن أغانيه مقطوعة (حجاز ديوان) :

خفف السير واتئد يا حادي | انما أنت سائق بفؤادي
ما ترى العيش بين شوق وتوق | لربيع الربوع غرثى صوادي
لن تبق لها المهامة جسما | غير جلد على عظام بوادي
يا أخلاي هل يعود التداني | منكم بالحمى بعود رقاد
ما أمر الفراق يا جيرة الحي | وأحلى التلاق بعد انفرادي
كيف يلتذ في الحياة معنى | بين أحشائه كورى زناد

ومن أغانيه مقطوعة نغم (أوج) :

بها غير معذور فداو خمارها | وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
فقم أنت وأحس كأسها غير صاغر | ولا تشق الا خمرها وعقارها
فقام يكاد الكأس تحرق كفه | من الشمس ام من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها | فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما | تناولها من خده فأدارها

ومن أغانيه مقطوعة نغم (عجم) :

دع عنك لومي فأن اللوم اغراء | وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها | ان مسها حجر مسته ضراء

قامت بابريقهـــا والليل معتكر فلاح من وجهها في البيت لألاء
فأرسلت من فم الابريق صـافية كأنمـــا أخذها في العـين أغفاء
فلو مزجت بهـــا نورا لمازجهـا حتى تولد أنــوار وأضـــواء
دارت على فتية دار الزمان بهم فمـــا نصيبهم الا بمـــا شاؤا

عميد الطــرب الاستاذ محمـــد القبانچي



انظـــر اليـــه فهـذا عال المقـــام محمـــد
اكرم بـــه من مغـــن احيـــا الغريض ومعبد

في حفل بهيج انيرت به المصابيح الملونة المنبثة في ساحة الدار حفـل فاحت به شذى الروائح العطرة والاوراد الزاهية حفل غص بالمدعوين يعلو وجوههم الفرح والسرور ممتزجين بالدهشة والأعجاب يتمايلون من شدة الفرح كأغصان هبت عليها نسمات منعشة اوحى بهـا الجو الصافي المقمـر الممتلىء بصوت عميد « الطرب » الاستاذ محمد القبانچي •

هنـــاك قال لي صاحبي وهو يحاورني ونشوة الطرب تأخذ بمجامع قلبـــي .

ارأيت طلائع فجر الغناء العراقي مشرعة اسنتها تغزو ليل الغناء البهيم فتقهر كثائبه وترغمها تحت ضغط الأسنة اللامعة اسمعت في سوح هـــذه المعركة الصامتة الصوت العذب ؟ صوت الحرية المطلقة صـــوت عندليب العراق منشدا

انا لا احب الســجن في قفص   لو صـــيغ لي قفص من الذهب
بل ابتغي الغـايات لي ســـكناً   فيهـــا أردد نغمـــــة الأدب
واطـير من شجر الى شـــجر   حـــرا ومـــن كتب الى كتب

اسمعت انغاما شجية تخرج من ســـــــويداء القلب مخترقة الأذن المرهفـــــة !

اسمعت ذلك الصوت الملائكي يغزوا هدأة السكون بنبراته العذبـة الساحرة ؟

اسمعت ذلك الصوت الذي يوقظ ضمير الغافل الى اسـمـاع النغـــم الساحر المنفذ الى شغاف القلوب فيجمع قلوب المؤمنين به . قلت نعم سمعنه وآمنت به من قبل واشهدت الله ان صاحبه خاتم المغنين ، فالقبانچي كما تعلم فلتة من فلتات الفن وهبة من هبات الموسيقى !

القبانچي برع بالغناء حتى اصبح علما من اعلامه وتفرد به بأسلوب خاص ولم يقتصر على الطريقة التي وجد عليها بل اخذ بأسباب الأختراع والتحسين وتهذيب بعض المقامات العراقية وانشأ له طريقة جديدة انفرد بها واخذ يتصرف بأجتهاد ودقة ويظهر ما يلائم اذواق عامة الناس واشتهر شهرة واسعة حتى اصبح يشار اليه بالبنان !

ولا تنس انه على اثر انعقاد المؤتمر الموسيقي الشرقي بمصر انتخب رئيسا للوفد الموسيقي العراقي وذهب الى مصر ليمثل الشعب العراقي .

فنال الوفد العراقي بفنه اعجاب الوفود التي امت المؤتمر وبنتيجـــة العرض الموسيقي حاز القبانچي الدرجة الأولى بأغانيه وخرج من بين ذلك التزاحم الفني ناصع الجبين موفور الكرامة حاملا لوآء الفوز تملا بنشوة



اعضاء الوفد العراقي بمؤتمر الموسيقى الشرقي
وبينهم الرئيس الاستاذ محمد القبانچي جالس في الوسط

النجاح فرفع للعراق مكانة فوق مكانته الفنية وحسبه فخرا بهذا الفوز الباهر

ومن غنائه الذى اشتهر به قصيدة غناها بمقام (الهمايون)

طهر فؤادك بالراحات تطهيرا   ودم على نهبك اللذات مسرورا
بادر الى أخذ صفو العيش مبتهجا   فما أود لوقت الانس تأخيرا
فالواشي يعذلني والوجد يعذرني   والصب لازال معذولا ومعذورا
يا أيها الرشأ المغري بناظره   قد عادها روت من جفنيك مسحورا
لقد نصرت على كسر القلوب به   مالي أرى طرفك المنصور مكسورا
كأن صورته للعين اذ جليت   من فضة قدرت بالحسن تقديرا

ومن غنائه تخميس بمقام (منصورى) :

اذا زاد بي وجد وزاد غرام   وشوقني دهري بهم وهيام
فاسئل من أهوي ولست ألام   باية أرض يمموا وأقاموا
هموا حللوا التفريق وهو حرام
فهل من وثاق البين في الناس منقذي   لقد أحزموني بالفراق تلذذي

أعوذ بذكراهم وخـــاب تعـوذي وساروا وشحوا بالفراق وما الذي
يضرهم التوديع وهو كلام

ومن غنائه تخميس بمقام (حسيني) :

جاد الحبيب بما أروم وباحــــا فجنيت من وجـنـــاته تفـــاحا
ناديت مذ فجر الدجى قد لاحا يا ليلى دم لي لا أريد صـــباحا
يكفي بوجه معانقي مصـباحا
وافى بوصل سوف يهلك حاسدي لا غرو ان كان الزمان مساعدي
لما اضطجعنا في فراش واحـــد طوقته طوق الحمام بســـاعدي
وجعلت زندي للمنام مباحا

ومن غنائه مقطوعة مقام (حجاز ديوان) :

بات ساجي الطرف والشوق يلح والدجى أن يمضي جنح يأتي جنح
يا نداماي وأيـام الصـــــبا هل لها رجع وهل للعمر فسح
لست أنسى حال جفني والكرى لم يكن بيني وبين النوم صـلح
لا تسل عن حال أرباب الهوى يأبن ودي ما لهذا الحال شرح
كم أداوي القلب قلّت حيلتي كلما داويت جرحا سال جــرح

ومن غنائه تخميس بمقام (الرست) :

بوصـــال اليك هل من وصول لك أشـكو ما شفّني من نحول
خنت عهدي حفظا لعهد عذولي بـأبي أنت من خليـــل ملـول
لم يدم عهده اذا الظل داما
حـول خديك عذب الله قومـاً تصطلي كالفراش في النار دوماً
يـا حياتي ومـــا سلوتك يوماً إن للنـاس حول خديك حوما
كالفراش الذى على النار حاما

ومن غنائه قصيدة مقام (خنابات) :

شربنا على ذكر الحبيب مدامــة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو اذا مزجت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانهـا ولولا سناها ما تصورهـا الوهم
ولو نضحوا منهـا ثرى قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم

ولو طرحوا في فيئي حائطكرمها عليلاً وقد أشفى لفارقه السقم
ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها وفي الغرب مزكوم لعادله الشمّ
يقولون لي صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

ومن غنائه مقطوعة مقام (سيگاه) :

أعد ذكر من أهوى ولا بملام فأن أحاديث الحبيب مدامي
ليشهد سمعي من أحب وان نأى بطيف ملام لا بطيف منام
ففي ذكرها يحلو على كل صيغة وان مزجوه عذلي بخصام
كأن عذولي في الوصال مبشري وان كنت لم أقنع برد سلام
وفي وصلها عام لدي كلحظة وساعة هجراني عليَّ كعام

ومن غنائه مقطوعة مقام (أوج) :

يقولون لكن لا عهود لقولهم ورب كلام للقلوب كُلام
فللاقوياء الحق في كل موقف وليس على ما يفعلون ملام
وما هي اِلا قوة ثم قوة وكل ضعيف للقوي طعام
تطالب بالحق الشعوب وترتجي وما الحق اِلا مدفع وحسام
بني العرب لاتلووا عنان جهادكم اِلى أن تنالوا الحق وهو تمام
فلا تذكروا كنا وكانت جدودنا فذلك فعل قد مضى وكلام
ولا تأمنوا كيد الغريب ولينه فذاك له قصد بكم ومرام

الاغاني[1] العراقيــة الحديثة



المطربة سليمة مـــراد

اخذت المطربة سليمة مراد من الغناء حظا وافرا كانت فيه من ذوات النفوس الحساسة والعواطف الرقيقة تمتاز على سواها بقوة الحافظة والشعور الحي تفكر قبل ان تغني وتضع المعاني في مواضع الانغام فتخرجها من أعماق قلبها مصحوبة بأنات تستفز قلب السامع فيميل اليها بكل جوارحه ومشاعره

(١) يجوز التغني بها بعد غناء كل مقام عراقي

ولا عجب اذا ما لقبت (بورقاء العراق)(١).

وللمطربة سليمة اغاني كثيرة قديمة ورغما على قدمها ومرور الزمن عليها فأنها لازالت ولم تزل ترن بمسامع الجمهور العراقي متلذذا بمغانيها وحسن أنغامها وهذه طائفة منتخبة من ستين أغنية نظمتهـــــا لها سـنة ١٩٣٠و١٩٣١ .

اغنية (يا اسليمه) نغمها مستعار

ذوب او تفطر يگليبي حيل اوياك ونَ اوتحسـر علگوطر اوخـلاك
آه يا اســـليمه آه يا اســليمه نامت اگلوب الناس گلبي شينيمه

تجري اعله خدي دم دمعتي امنجفاچ لاصبر عندي اولگدر على فرگاچ
صبن ادموعي شـبه المزن بيـذار حرگت اضلوعي بگليبي شبّت نار

---

(١) لما زار الدكتور المرحوم زكي مبارك بغداد وقد استمع الى المطـــربة سليمة مراد تغني في حفلة خاصة اقيمت له وبضمن الغناء غنت اغنية (يا نبعة الريحان) ومعلوم ان نغم هذه الاغنية هــو نغم (لامي) وهذا النغم غير معروف في الديار المصرية ، ولما سمعها الدكتـــور استحسنتها وطـــرب لها كثيرا وســـأل عن الـذي نظم الاغنيـــة فقيل له انه العلاف فأحب أن يراني والتقيت معه بواسطة صديقي المرحوم الاستاذ ابراهيم حلمي العمر مدير المطبوعات آنذاك وبعد كلام ونكات مصرية وعراقية قال لي بعد التهنئة فشكرته لا شك ان أغانيك كلها على هذا النوع البديع ! وقد لقب المطربة سليمة مراد (بورقاء العراق) بلا منازع واقترح علي ان انظم بها ابيـــاتا بهذا العنوان (ورقاء العراق) وبعد أيام عرضت عليه هذه الابيات :

بين روض المنى وزهر الاماني هتفت تبعث الشجي في الجنان
هي مثل الورقاء في ايكة الفن تجيـــد التغـــريد في كل آن
ذات صوت ارق من نسمات الصبح واشهى من خمـر بنت الدنان
(معبّدى)(١) نادته اقدم فلبّى امرهـــا طائعـــا كطوع البنان
وانبرت من براعة الفن تشدو بغنـاء حـوى جميـع المعـــاني
نغمات في اثرهـا نغمـــات اظهرتها كمـــائن الأشـــجان
تتباهى بصوتها حين يبـــدو مستفيضا بأيـــدع الألحـــان
جل من اودع المحـاسن فيها وحبـــاها مـــزية الأتقـــان

---

(١) نسبة الى (معبد) المغني في العهد الاموي .

باليني بلوه شوفي الــدهر وياي   گلبي تجوه من الفراگ اوجـاي
منج لفـــاني الواشـــي والنمــام   بلوه بلاني اولا خلّه بيه اعظـــام
حنى عليــه اوشوفيني ابيـــا حال   لانفس بيه اوصرت اشبه التمثـال
مغمضت‌عيني او حگج يا سلمه‌ابليل   لشجي ونيني وانطر طلوع اسهيل

اغنية(١) (مكدر اكولن آه) نغمها (لامي)

مگدر اگولن آه خــوفي الفضيحه   لاچن اصبر الروح وابگه طريحه
محددره + ابحالي اشـــــجره + طول العمـــر متمرمره
هسه عرفت الموت اشوه من البعاد   عمر ابهجر يا ناس ابدن ما ينراد
يوم الســره + دمعي جـــره + بعـــد الـــگلب شيصبره
ترضه ياربي هيج ابگه ابسگم دوم   اوهم الولف يزداد يوم بعـد يوم
متحـيره + متـــــكدره + ناره ايدليــــلى مســـــعره
كف الحچي واللوم يلتشمر ابعيد   العتب ويه الخان ما ظنتي ايفيـــد
ظهري اكسره + دمي اهدره + مــدري عليـــه اشغيره
ريض يهل دختور لا تجس نبضي   صدگ بعد مشوار والعمر يگضي
روحي تره + بالغـــرغره + منهـــو الوليفـــي ايخبره

اغنية (گلبك صخر جلمود) نغمها (بستنه‌نگار)

گلبك صخر جلمود ما حن عليــه   انت ابطرب وابكيف والبيه بيـــه
گولوله + مابي لوله + بس ايخزر بالعين صارتله ســوله
مدري بعدْ يا روح شنهو اليسليج   من بعد عين اهواج كلها اشتفت‌بيج
تانيني اودع اهواي يا سايج الريل   من كثر نوحي اعليه ماضل‌بعد حيل
يلواشي بسك عاد حصلت حيفك   واللي تريده صار بيه اعله كيفك
لو ما لهيب النار بضلوعي اضمك   اتمنه ورده اتصير كل ساعه اشمك

اغنية (ياويلي رگد حيلي) نغمها (بيات)

مابيــــه اثكل اخطاي مابيه اگومن   مابيه اجر حسرات مابيّــه اهومن
يا ويلي + رگد حيلي + سهم الهجر يهواي صوب دليلي
يشهد علي اغطـــــاي ما نمت ليلي

---

(١) نظمت عن لسان امرأة ·

عفيه گلب ما يلين من يسمع ابچاي — لو من صخر هم چان لان اوغدهماي
ليغرك الهندام من تمـــر بيّـــه — ثوبي يحلو الطول ســـاتر عليـه
بس الجلد واعظام خـلاني دردك — حن اوتعال اوشوف حال اليودك
عندي ثلاثة اشهود لو چـــذبتني — نوح اوسهر واســگام من فارگتني
كلما تسوي اوياي يا ترف سوي — بس لاتود الغـير يفرح عـــدوي

اغنية (وين المروه) نغمها (حجاز)

وين اليصل لهـــواي عني اويگله — عمر الگضيته اوياك عيب اگضيمثله
وين المروه + گلبي تچوه + يحكم عليه ابجور چني عدوه
ابرمشة اعيون اهواي سهم المنيـــه — من حرمله يا ناس ما خذ ســجيه
الأرض كلها ارواح خفف مشيتك — حتى عـلى الميتين عمّت اذيتـــك
ولفي جسم وياي جسمه شـــنيه — النوم الـــه بالليل والسهر ليـــه
من عيني كل الصوچ هيـه البلتني — شافت شريچ الـروح اووهدنتني
يگلبيي بطل النوح نوحك اشفادك — ما تدري بالتهـــــواه تارك ودادك

اغنية (منك يا الاسمر) نغمها (عجم)

كل لحظه امر اعليك بلكتاشوفك — لو شچوا ايدي ابليط ابدنماعوفك
منك يا الأسمر + گلبي تفطر + تگطف أرواح الناس لمن تمرمر
اصبحت بس اعظام من كثر هجرك — ماظنتي يهواي الواشـــي غـــرك
گالوا صبر ايوب محـــد يصبره — صبري يزودا اعليـه المثـل عشره
شيضـــرك امن ابعيـــد لو عاينتني — حچيك چذب وياي من واعـدتني
لو ردت عني اتروح انت اوحليلك — ابدن مالح اعليك هو اليجيبـــك
وين الله ابو الحوبات يعملي جوده — ايخلى الوشاني اوياه يعمه واگوده

اغنية (هيانههيانه) نغمها (صبا)

يلتنشد اعلـه راح عنّه اونســـانه — والگلب من فرگاه زادن احـزانه
هيانه هيانه + التشب بحشاي نيرانه + ولف التركنه اوراح هسه اجانه
لتظن بحت بالســر يللي اتهمتني — لكن ادموع العـين هيـه افضحتني
عــــذبت گلبي ليش يا ولفي مالك — تسمع حچي النمام كلما حچالك

مثل الملح بالماي ذوبت چيـدي يمكن اظن مكفاك من شفته يدني
تجسدني المخلوگ چي امشي علگاع يردوناضل بالبيت لو صار الأوداع
لله اشچي من نارين وحده ابوجنته اوحده تشب بحشاي يوم العرفتـه

اغنية (ويلي اشمصيبه) نغمها (لامي)

اعله الدرب يهواي يربن اعيوني ودي اتبعك للمـوت لو يخلوني
ويلي اشمصيبه + منهو اليجيبه + أمنى الگلب بهواه زايد لهيبه
اتنوع اليمشون مثله فلا شـوف والگلب من فرگاه حاير اوملهوف
هلبت كسر گلبك نوحي اوونيني اتمنه گبل الموت لحظـه تجينـي
بالنازعه ضليت الحـگ عليـه شيفيدني لو جيت عـگب المنيـه
مني اشمفت وشبان شنهو البدالك حتى علي بالنوم تمنع خيـالك
حدر الضلع سهمين بالچبد عشره اوفوك السهام اجفاك خلالي حسره

اغنية (يحبابي) نغمها (كرد)

اتمنه ساعه ابليل طيفك اشـوفه والما يشوف النوم غصبن يعـوفه
يحبابي يحبابي + الهجر ماچان بحسابي + من كثر نوحي اعليه دمعي شرابي
اهنا يهل تمشون گـولوا الوليفي الوكت من فرگاه موش اعله كيفي
من جاني خط اهواي ابحرگه قريته ضليت اهل ادموع حتى محيتـه
كلما يمر ويفوت تاخذني خوفـه رجفـه تصير اوياي لمن اشـوفه
لو سهم واحد چان يمكن اصـده لكن ثلاث اسـهام يا هو الأرده
حاير اششبه بيك مدري شوصفك وانت الخلگ يهواي كلها تعرفك

اغنية (ياروحي) نغمها (حجاز)

مثل المضيعه اثنين بنها او رجلهـا متأسف اعله الروح لو جى اجلها
ياروحي + ضلي نوحي + ولفي الشمرني اوراح حزنت اجروحي
صدك يسـاهي العين ما نمت ليلي امنسمعت حسك طـاح مني دليلي
عديت نجم الليل كله اعله شـانك ابعيد البله يهواي خالي مچـانك
صارت ابرفع الخيط روحي العزيزه وابچتلي ساهي العين منهو اليجيزه
جسني الطبيب اوگال مگدر اداويه جيبوا اليحبه اعليـه هو اليشافيه
مدري شگل للناس لوناشـدوني آني التركت اهواي لو وهـدنوني

اغنية (هو البلاني) نغمها (بيات)

كل ساعه اگول اهواي هسه يجيني — وانطر واگول اشصار يا بعد عيني

هو البلاني + راح اوخلاني + لتا يسى يازوح ما ظن نساني

اشمالچ يعيني اليوم بسچ ترفين — يمكن اجاج اعلوم صاروا بعيدين

يا دهر بس بالليل خل عيني اتنام — ومن الصبح للنوح لتحزم احزام

الگلب لمته اونام شينوم العيون — ولفي تركني اوراح حويلتنشدون

هيچي اهجرتني ليش ما خفت ربك — عاملتني بجفاك والذنب ذنبك

اتمنه يخله البيت وابچي اعله كيفي — بلكت عليه ايحن لو مر وليفي

اغنية(١) (اسكت) نغمها (سيگاه)

يوليدي يزغيرون بطل ونينك — تبچي بچه المالوم ربك يعينك

اسكت + اسكت + اسكت يبعد الروح يوليدي اسكت

متگلي بيك اشصار يا بعد امك — مدرى التهى ببچاي لواصديمك

ماعرفت من ابچاك شنهو مرامك — آني وليفي راح وانت اشعلامك

يوليدي يبزي اتلوع نام اوتهنه — ريت الذي بچاك بالسل عسنه

يا بعد ابويه نام نوم العوافي — چم ولد مثلك بات بالمهد غافي

ياسلوتي ابدنياي يلما لي غيرك — ومن البچه والنوح ربك يجيرك

اغنية (بيه الامر) نغمها (لامي)(٢)

بيه الأمر صار اوجره — مكتوب ابگه امكدره

كل الحچي ما ينحچي — خلو القضيه امستره

شحچي شگولن والدرد — اثر ابچبدي اهوايه

واللي عليهم اعتمد — صاروا غداوه اويابه

خلوني اتحمل هضم — والنار بيّنه اموجره

بس آني وخدي بالبشر — متعذبه من يومي

كل يوم اگول ابهل شهر — ارتاح وانسه اهمومي

---

(١) نظمت عن لسان امرأة · (٢) نظمت أيضا عن لسان امرأة ·

والشـــهر يمضي والسـنـه   تخلص اوروحـــي امرمره

جمـــدوب ابگه ابهل ظلـم   يا هـو اليجـي ايعـادني
كلهـا ابفرح وآني ابسـگم   حتـى الـولف جافيني
لسـكت ولاگـولن ابـد   المى عـلى ياشـى جـره

اغنية (حكم العشگ) نغمها (منصوري)

حـكم العشگ كله ظلـم   مگـدر اميّز هـل حـكم
ابيا سـبب وابيـا شـرع   منـك يولفـي انحـرم

اصـفن وغص ابعبـرتي   واجرى الدمـع من عيني
ويلاه خـابت دعـوتي   منهـو الـذي ايبـريني
مهـروا عليـه اوصـدقوا   وآنـي فلا عنـدي علـم

لصـعد السـلطان الهـوى   واشـرح قضيتي اگبـاله
ويشوف جسمي اللي خـوى   صـاير ابأثنـه حالـه
بلـكت اگليـه ينكسـر   لو شافني ابهـذا السـگم

نذرن عليـه لو صـدر   عفـوي اونلت مطلـوبي
كـل يوم يمضي امـن الشـهر   مـا فارگـه المحبـوبي
اونبـگه ابسمر طول الدهـر   واللي مضـى يصبح حلـم

اغنية (يا نبعة الريحان) نغمها (لامي)

يا نبعـة الريحـان   حني عـلى الولهـان
جسمي نحل والروح   ذابت او عظمـي بان

من علة البخـاي   ما ظل عنـدي راي
دائي صـعب ودواي   ما يعرفـه انسـان

يـوم الـذي حبيت   يا منيتـي جنّيـت

حـــاير انا تميـــــت ما أدري ذنبي اشچان

ماعنـــدي كل اذنوب الاّ هـــوى المحبوب
لو هـــو ذنب داتوب واتجبـــر الرحمـــن

يا بعد روحي اشجاج محرب عليـــه اجفاج
عـــودي على اليهواج واتعـــوذي الشـــيطان

چمدوب اظل مطروح ليلى اونهـــاري انوح
لتعذبين الـــــــروح سوى عليـــه احســان

اغنية (خدري الچاي) نغمها (بيات)

خدري الچاي خدري اسموم المـن اخـدره
مالچ يبعـــد الروح شو دومچ مچـــدره

بعـد اهـــواي يا ناس المن آنـــي اصـــبه
محد بعـــد عينـــه يستاهل يشـــــربه

احلف ما اخــــدره اولا اگعـــد اگبـــاله
الا يجـــي المحبـــوب واتمعنـــه ابجمـــاله

اي والله اوحيـــــاته ابـــدن ما افـــورّه
واخذ فاس بيـــدي للقوري اكـــــــره

اولا مش الســـماور اولا اغســـل الماعون
والنـــــار اطفيهـــا من ادموع الأعـــون

شرب الچاي يا ناس وگعنـــي ابمهـــانه
اوحلك الله لتركـــــه اولا شوف اســـتكانه

اغنية (ياساعه) نغمها (عجم)

يا ساعه اشوف اهواي يا وكت يمته　　واشبع اعتابه اوياه بس لو لزمته

چبدي ذاب + راسي شاب + كلما يصير اوياي من هجر الاحباب

يا ساعه ليّه ايعود واشچيله حالي　　واحچيله كلما صار بيه اوجرالي

ياساعه انام الليل واغمض اشويه　　بلكت يمر بالنوم طيفه عليه

ياساعه ابطل النوح واترك السونه　　وخضب الچفين كل وكت حنّه

ياساعه بيها ارتاح واخله من الهموم　　وچايد العدوان واللي غده ايلوم

ياساعه الاگي اهواي واگعد اگباله　　يوم المبارك بيه احضي ابوصاله

اغنية (داء الهوى) نغمها (بيات)

بالك اوياك اتضوگ طعم المحبة　　خوفي اتوجر بيك نار التحبه

داء الهوى + ماله دوا + محد ابد منّه ارتوا

كل من تولع بيه بگليبه انچوا

اليگع بيه ميشوف غير الخساره　　يبگه يجر حسرات ليله او نهاره

يبگه يجر حسرات حسره اعله حسره　　اولا واحد ابهل ناس يگدر يصبره

لايصبر اولا يوم يوجدله راحه　　من كثرهم البيه ضيّع افراحه

همه صعب چتال الله يعينه　　ويساعده لو زاد نوحه اوونينه

اغنية (الصورك ونشاك) نغمها (چارگاه)

الصورك ونشاك ابهيچي حاله　　ابقدرته سواك جل جلاله

مثلك ابد + هچ ما انوجد + والطاحوا ابلواك ما الهم عدد

الصورك وكساك ثوب المعاني　　بين البشر خلاك ما الك ثاني

الصورك رقاك وابدع جمالك　　خله الخلگ بهواك كلها اتهالك

الصورك ودعاك للخلگ فتنه　　واعلا طريجك دوم توگف اوتتنه

الصورك إنطاك الحسن وجدك　　والشافك امنبعيد لازم يودّك

آخر اغنية نظمت لها سنة ١٩٦٢ بعنوان

(حفلة عرس)

يحبـــاب هـــل ليـــله عرس　　گـــوموا ارفعـــوا الأســـتار
هـــذا العرس + كله انس　　مـــن نغمـــة الاوتـــار

هـــل ليـــله طيبـــه والوكت　　خـــالي مـــن الاكـــدار
الجـــو صـــافي والهـــوى　　ايلاعـــب الأشـــجار

هل ليله ليلـــه من العمـــر　　شـــعّت بهـــا الأنـــوار
بيهـــا البـــلابل غـــردت　　وانتبهـــت الاطيـــار

قدّمـــوا اكليـــل الـــورد　　بعـــده انثـــروا الأزهـــار
واشـــربوا كاســـات الهنـــا　　وتناشـــدوا الأشـــعار

ايامـــكم كلهـــا طـــرب　　اتهنـــوا يا حضـــار
كل عـــام تبقـــون ابفـــرح　　بوطـــانكم احـــرار

الاغانى العراقية الريفية

الغناء في الجنوب

للشعب العراقي ألحان كثيرة غير المقامات(والپستات) تختلف حسب اختلاف مواضعه ومسكن أبنائه فسكان الفرات ويقال لهم الشرجية أي الشرقية يغنون (الأبوذية) بألحان مختلفة بلسان (الحسچة) وهذه الكلمة اسم أرض في الفرات كثيرة الحسك سميت بهذا الاسم فلا ترى مجتمعا من مجتمعاتهم وعرسا من أعراسهم خاليا من هذا الغناء ولقد يطربك المغني حينما يجهر بصوته الذى يتخلله أنات المستمعين ودموع المحزونين والذي يسمع منهم هذه الاغاني يتحقق لديه ان هذا الغناء فن من فنون الطبيعة تهتدي اليه الأمم بالفطرة المترنمة في هديل الحمام وخرير المياه وهبوب النسيم ، والأبوذية هي أحسن الغناء عندهم وكلمة أبوذية مشتقة ومخففة من الأذية لان صاحبها والمغني لا يغني بهـا الا بعد ان تصيبه حادثة تؤلمه وهي من نوع الشعر ومن بحر (الوافر) تنظم من أربعة أشطر ثلاثة منها متحدة القافية مجنسة بالجناس التام والشطر الرابع يختم بياء مشددة وهاء مهملة ومن نوع الابوذية المشهور (اللامي) نسبة الى عشيرة بني لام من قبائل دجلة الجنوبية تقطن على ضفتي دجلة بين مدينة العمارة وبين ناحية شيخ سعد وغناء اللامي خاص بها ، ونوع آخر يقال له (صبّي) نسبة الى طائفة الصابئة وهم قوم على غير دين الأسلام يسكنون البصرة والعمارة والناصرية وسوق الشيوخ والغالب منهم يشتغل بصياغة الفضة بالميناء ونوع آخر يقال له (عنيسي) بالتصغير وهو منسوب الى رجل سمي بأسمه قد اشتهر به ونغمته (سيگاه) ونوع آخر يقال له (مشموم) نسبة الى رجل من أهالي البصرة اسمه (اسعود بن مشموم) ونغمته (سيگاه) أيضاً ولها نوع آخر يقال له (هوسه) وهو يستعمل في الغزوات وقاعدته كقاعدة الأبوذية غير أن الشطر الأخير منه تختلف قافيته عن قافية الأبوذية المعلومة ومثاله من نظم مؤلف هذا الكتاب :

حلمنـه گص سـواعدنه وغرنه ومر الصـبر جرّعنه وغرنـه

حنّه لو تخـــاصمنه وغرتــه (أشـحالل يتخـــاصم ويانه)

وتجيء الأبوذية المستعملة اليوم في الفرات بسبعة أقســــام وهي (العتاب والتوجع والحماس والمديح والرثاء والغزل والهجاء) مستوفيـة أغلب فنون الشعر تقريباً ولو لم يقيد الناظمون أنفسهم بقيود التجنيس لأتوا بمعاني غريبة فمن (العتاب)مثل:

اشــهل غيضــه يناهي منكراهـا ابزعل لو تصـد عني منكراهـا
اجفون العــين عّين منكراهـــا وبـداً ما تضـوگ الوسن هيّه

(ومعناه) أيها المليح ما سبب هذا الغيظ الذى أراه منك وما هــذا الصدود أظنك كرهتني وأنا الذى تركت النوم من أجلك •

ومن (التوجع) مثل قول مؤلف هذا الكتاب :

رمـاني اهواك يا مدلول بســل أو دمعي فيّض الوديـان بســل
أخبرنـك تـره ضـليت بســل نفسي يصعد أو ينزل غصب بيه

(ومعناه) ان غرامك أوقعنى في داء السل وأن دمعي مـلأ البراري وها أنا بقيت في آخر رمق من الحياة •

ومن (الحماس) مثل قول مؤلف هذا الكتاب :

نسد اعله الخصم بالحرب بابل هزيمه أو حنه بيها اطيور بابل
السدّه والرميثـه وأرض بابل إشــهدت بفعالنا والفيصـــليه

(ومعناه) نحن في الحرب نوصد باب الهزيمة على خصمنا وفيها نحن كطير أبابيل وبذلك شهدت لنا السدة والرميثه وأرض بابل والفيصليـــة أما السدة فهي سدة الهندية المشهورة وهي قائمة على نهر الفرات بوضـع هندسي عجيب والرميثة قرية من قرى الفرات وهي بدء حركةالثورةالعراقية سنة ١٩٢٠م وبابل منأقدم وأكبر مدن العالم القديم تقع على الجانب الأيسر من نهر الفرات قرب مدينة الحلة • والفيصلية أيضاً قرية من قرى الفرات وكان اسمها (السوارية) وفي الأخير سميت باسم جلالة المرحوم الملـك فيصـل الأول :

ومن (المديح) مثل قول مؤلف هذا الكتاب :

سكن نبضي ولا يشتغل بحراك ولك يا منهل الوفاد بحراك
رأيت الناس كلها اگصدت بحراك أتيت ابجرتي تميلها ليه

(ومعناه) مأخوذ من قول الشاعر :

ولما رأيت الناس شدوا رحالهم الى بحرك الطامي أتيت بجرتي

ومن (الرثاء) مثل :

يحج انجيم طول الدهر ماتم ولي مدفع الگوس الصبر ماتم
اسم الله اعليك اشوفن گبل ماتم بدر حسنك أفل وانكسف ضيه

(ومعناه) أيها الراحل الى دار البقاء يحق لنا أن نقيم لك مأتم طول الدهر فبعدك لم يبق لي بقوس الصبر منزع ونعيذك بالله كيف أفل بدر حسنك قبل أن يتم •

ومن (الغزل) مثل قول مؤلف هذا الكتاب :

نبل يرمن اعيون الترف معدان أو ربه صوّره للحسن معدان
نشدته امنين أصلك گال معدان هلي أو روبة اخدودي هاي هيه

(ومعناه) عيون الجميل ترمي نبال وقنابل وقد خلقه الله معدناً للحسن والجمال ولما سئلته الى أي قبيلة تنتسب قال الى المعدان وان الروبة أي اللبن هي خدودي والمعدان قبائل مختلفة لاقيمة لها بين العشائر العراقية ومن صناعتهم بيع اللبن •

ومن (الهجاء) مثل :

بعد ويـاي ما صدگ وعدلك چثير أظهر من عيوبك وعدلك
ابعجد الگصب لوحطك وعدلك سنة أو تطلع الحنيه ذيچ هيه

(ومعناه) أنا لا أصدق لك وعداً اذا ما أوعدتني وأنا الذى أتمكن على اظهار جميع مساويك ولو أنني أضعك في قصبة جوفاء سنة كاملة لتقويم أعوجاجك لخرجت كما دخلت •

ومن غنائهم المتداول على ألسنة الناس غناء يقال له (التوشيح) وهو بحر من بحور الشعر (البسيط) ويسمى نظم البنات ولأبياته معاني رقيقة

تتضمن الاحزان والنساء يكثرن من هذا النظم ويتغنين به واكثر الاغاني الشعبية الدارجة عندهم اليوم تتكون منه وأحسن ما قالته امرأة فيه :

ياولفي مانساكتش لمكركع الخام   للكبر لو مريت اتحرك اعظام

وهو مأخوذ من قول (توبة بين الحميّر) صاحب ليلى الاخيلية حيث يقول :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت   عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا   اليها صدى من داخل القبر صائح

ومن قول امرأة اخرى :

رضرض جميع احشاي مرخص عليها
بس لا تدش بالروح حيث أنت بيها

وهو مأخوذ من قول (مجبرالدين بن تميم) حيث يقول :

يا محرقاً بالنار وجه محبه   مهلاً فأن مدامعي تطفيه
أحرق بهاجسدي وكل جوارحي   وأحذر على قلبي لأنك فيه

ولقد عارضت هذه التواشيح ونظمت على منوالها وأحسنها قولي :

الأرض كلهاأرواح خفف مشيتك   حتى على الميتين عمّت أذيتك

وهو مأخوذ من قول (أبو العلاء المعري) حيث يقول :

خفف الوطيء ما أظن أديم   الأرض اِلا من هذه الأجساد

ومنها قولي :

لولا الأوده ايكون ابلبت احشاي
چا گلت يا مدلول لي ما تدن جاي

وهو مأخوذ من قول (الشاعر) حيث يقول :

ولوكان من أهواه وسط حشاشتي   لقلت أدنو مني أيها المتباعد

ومنها قولي :

لوسهم واحد چان يمكن أرده   لا چن ثلاثةاسهام ياهو الأصده

وهو مأخوذ من قول الشاعر حيث يقول :

ولو أن رمحاً واحداً لأتقيته ولكنـــه رمح وثـاني وثـالث

ومنهـــا قولي :

ولفي جسم وياي جسـم شـنيه النوم اله بالليل والسـهر ليته

وهو مأخوذ من قول الشاعر حيث يقول :

انا تقــاسمنا الهـوى بيننـــا له الكرى في الليل والسهد لي

ومنهـــا قولي :

لله أشـــجي من نارين وحـــده ابوجنتـه

أو وحده تشـب بحشاي يومن عرفتـــه

وهو مأخوذ من قول الشاعر حيث يقول :

أشكو الى الله من نارين واحدة في وجنتيه واخرى منه في كبدي

ومنهـــا قولي :

لتظن بحت بالسر يلي اتهمتني لاجن دموع العين هي افضحتني

وهو مأخوذ من قول الشاعر حيث يقول :

وما باح بالأسرار نطقي وانمـا أباحت دموعي بالذى أنـا أكتم

ومن غنائهم المشهور غناء يقال له (مربع) وهو على ابحر مختلفة من بحور الشعر ويتقوم من أربعة أشطر ثلاثة منها بقافية واحدة والشـطر الرابع بقافية أخرى ويطلقون على المستهل من اسم (رباط) بتشديد البـاء ومن نوع هذا الغناء نوع يقال له (چلمة ونص) أى كلمة ونصف ويغني بنغم (البيات) وكيفية الغناء به هو أن يجلس جماعة من الرجال عـــلى الأرض شبه دائرة (حلقة) ويمد كل واحد منهم ساقه اليمنى مداً مستطيلا ويقف بينهم رجلا يغني بهذا الغناء ويرفعون أرجلهم دفعة واحدة ويضربون بها الأرض لتوازن الغناء ويسمى هذا عند أرباب الفن (على الوحدة) وحينما يغني المغني يرجعون له قول (الرباط) أي المستهل وهو (گلبي اينـــوح ما لومه) وهو يغني :

مـا لـــوم گلبـي من يـــون دوم ابودادك ممتحـــن

وين الـــذي الحـــالي يحن يهـــل الهـوى من يومـــه

وهم يرجعون له وهكذا وهذا الغناء من بحر (الرجز) ويسمى عند عامة البغداديين (دومه) ولم أر في بغداد من يستعمل هذا الغناء اليوم ولقد كاد أن ينقرض وأحسن قصيدة من غناء المربع هي قصيدة (الشيخ فليح الحلي) وهي من ابدع ما نظم في المربع بعنوان مجنون ليلى :

خل ليـــله ابهواهـا لا تعنفهـا   حليفة شوگ والتعنيف يچلفها

يچلفها الردف لو گامت امنل گاع   تجعده الجعود اتزود عن الباع
ليله امضمره ترمي ابعيون اوساع   تچتل علبعد كـل من يوالفهـا

اليوالفها تهنه أو فاز بيهـا دوم   واليجفي يصاحب ما يفيد اللوم
حرت اشلون أوصفها وعدا رسوم   لون قيس ايحضر لتظن يوصفها

يوصف أعطاف لو يوصف أعطاف أو جيد
لو يوصـــف صـــدغها اتصيد بيه الصـيد
لون فاز ابوصلها ما سكن بالبيـــد   لا وحياة مكة اومنى أو طايفهـــا

يتلهف أو دمعه ســـفح علخدين   كرا الوجنات دمعه أوضل رهين البين
گالوا جوز وسله گال اهى من العين   شنسه اجعود فوگ انهـود تخلفها

تخلف بالجعود امن الصبح طيـات   أو من سم الأفاعي السود مسگيات
اتگول اسهام يرمن هنه بالسـاعات   بـــالك بالغـــدر يلي تســــالفها

اليسالفها يخاف امن الحرس توليه   أو من سهم اللحظ سم چاتل اتغذيه
كل أهل الطنب والمدن ما تحميـه   وليفة قيس غـيره من يوالفهــــا

وليفة قيس ضلت تنشـــد الركبان   شـــي شفتوا وليف امتيم أو ولهان
گالوا ذاك مجنون العـگل تلفـــان   ابشوگ العامريه الروح تالفهـــا

نادت ويل گلبي أو لا يفيد الويل   أكون اسرا ايسريه أولا اريح ابليل
سارت والدمع يشبه العند الســـيل   لون قيس ابسفح رامه يصــــادفها

صادفها اونده ليله ابضعيف الصوت شنهو العوگج عني او گربلي الموت
گالت كل بنى عـامر تروح الفوت عگبك والخـدن لجلك يحالفهـا

گاللهـا يا ليله واصلينى ابليـل انفطر وأنطر دليلي أومابگالي حيل
غوادي الدمع غادي سال مثل السيل لعـد سدة اسـكندر وصل جارفها

گالتله يعگلي أو ياشريج الـروح أصلك لاتون او تنتحب واتنـوح
فرح واخدوها مثـل الثريا اتلوح هزهـا الشوگ واهتزت عواطفهـا

گاللهـا يليلـه اتـگربي يمـي اوياج اعتاب الي والصدري انضمي
تدرين ابعظم وجـدي لـون همي على اجبال الرواسي چـان ينسفها

گالتلـه العـواذل بينـك وبينـي اتصير أو مـا تخلي عينك ابعينـي
ناداهـــا يليله لا تلومينــــي امعذب والتجــافي الروح تالفهـا

صاحت صوت من عنده الجبال اتمور امعذب يا وليفي او خاطرك مكسور
لو شفت العريضي حاطلك ناطور أفجلك گذلتي والبـــد ابطارفهـا

ناداهـــا يليله الليــل لو دلهــم أعد النجم وأسهجنى السهر والهم
ابيضت بالبچه عيني أو غديت أجهم مثــل يعگوب حين الغـاب يوسفها

نـادت حزنك اعليه حزن يعگوب صابر على البلوه مـــا صـبر أيوب
زلخه آني ابحزنها ولام جسمي الثوب چبدتي اتگطعت ما گطعت چفهـــا

جاوبها انسلب عگلي ودليلي انعاب يازهرة حياتي انصاب گلبي اوذاب
إشما أحيا أو أموت أو صار جسمي اتراب
النفس تتبـــع هـــواچ أولا أخالفهــــا

تاديـه أو بنـابيع الـدمع صبّن الخنســه اتعلمت بهواك مني الون
من وني أوتــاد الأرض يهتـزن أو هواك اعله المنيه الروح تالفهـا

گاللها اليأثر وسـط گلبي اجروح ادموعـي سَيرت بيها سفينـة نوح
أون أو ناوحت بالون بنات الدوح آه من العريضـية أو سوالفهـا

اتگله انچان گلبك لو عوه اوفـار العواذل لذعوا گلبي أو چووه ابنار
ما لومك دمعتـك لو تهـل اغمـار أوروحك من تجوش الشوگ يدنفها

گاللها ابو صالچ جرح گلبي طاب يبدر الطل علينه من بعد ما غـاب
جاذبها ولثمهااوصار عنده احساب حسّت والتوت واخجلت من عفها

گالتله أموتن وانـذبح واحيـا وأموت او لا تصير ابمجهر او خفيا
تصبح مثل ابو زيد او مثل عليـا لو نيـة البصدرك عني أحـذفها

فتـح باعه او غرفها اوگرب لي عدها رشفها من ثغرها وشم ورد خدها
گاللهـا تبت والرگبتـه مدهـا او سالت دمعته او بالردن كفكفهـا

كفكفها ابردن ثوبه اوبگه محتاس قسـم بالمصطفى المختـار والعباس
كل خوفه عليها اتحس بيها الناس گام اعتـذر منهـا او عاد حلفها

ومن نوع غنائهم نوع آخر وهو من مبتكرات (ملا منصور العذارى) يقال له (مذيَّل) بتشديد الياء وقاعدته كقاعدة الأول غير أنه مرتب على حروف الهجاء مثل (درب الهوى سين او لام تحت الدرك) وأراد بالسين واللام السل وهو داء عضال لا يرجى شفاؤه وبعد هذا يأتي :

(أليـف) آه من الهـوى چم حيـد بگليـه انچـوا
حـالات الـه ملهـن دوا كل من تولع بيه هام حال اخبرك

ثم يأتي على (الباء والتاء والثاء) الى آخر الحروف الهجائية :

ومن غنائهم نوع آخر يقال له (شبگها) وهو مشهور عندهم ويغني بنغم (البيات) ومن بحر (مجزوء الرمل) وسبب تسميته بهذا الاسم هو أن (الحاج زاير) الشاعر الشعبي المشهور وصديقه المدعو (ملا كامل) كانا يتمشيان في سوق (الجعارة) وهي ناحية من نواحي قضاء (ابو صخير)

بالتصغير وتسمى الآن ناحية (الحيرة) وهي قرب اطلال (الحيرة) عاصمة المناذرة فمرا بامرأة تبيع (روبة) أي لبن وكان ملا كامل يهواها ويعرف اسمها (صبحه) فنظر اليها وأطال النظر وقال (داده خي عون الشبگها) والتفت الى الحاج زاير واقترح عليه أن ينظم على هذه الطريقة ومن هناك انتبهت الأمرأة اليهماوأخفت اللبن وصدت عنهمافقال الحاج زاير مرتجلاً :

من تمر بالسوگ صبحه ... إيصير بالدلال فرحه
جيت أعاملها الوكحه ... غطّت الروبه ابطبگها

فأجابه ملا كامل :

من تطب للسوگ تصدع ... والحجل بالساگ يلمع
يا رفاگه اشلون تشبع ... دورة المحبس حلگها

فقال الحاج زاير وقد أبدع بقوله :

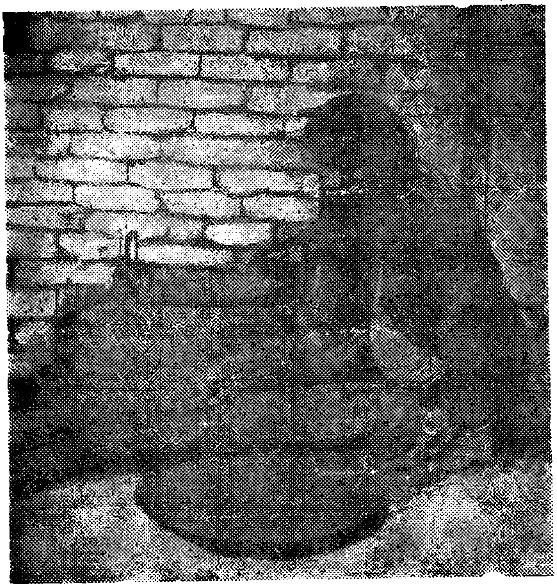
لابسه الريزة اشخفها ... علجلد والله اشلطفها
يلردت مني وصفها ... ورده ملفوفه ابورگها

فسكت الملا كامل وعجز ومنذ ذلك الوقت سمي هذا الغناء بهذا الاسم

ومن غنائهم نوع آخر وهو غناء خاص يقال له (المجرشة) والمجرشة هي رحى يجرش بها (الشلب) أي الرز وتسمى باصطلاح بعض الفراتيين (مرتبة) وقد نظم بها (ملا نور الحاج شبيب) كاتب الشيخ عبدالرضا الحاج سكر قصيدة شعبية عن لسان امرأة تجرش الشلب وقد أبدع في وصف حالها وما هي عليه من البؤس والشقاء وكيفية مواظبتها على الجرش وذكر حالها مع زوجها ومعاملته لها وهي :

ذبيت روحي اعله الجرش ... وادري الجرش ياذيها
ساعه وكسر المجرشه ... والعن أبو راعيها

ساعه وكسر المجرشه ... ابحرگه وشد احزامي
وامشي ورا الذبها الوكت ... وانشد على جسّامي
لم عطب بالچمچه ايغرف ... وآني الگطب جدامي
عشرة يشارچها ابرحل ... او وحده ابمطي ايخليها



امرأة تجرش الشلب

ساعه وكسر المجرشه والعن أبو السوّاها
مثل السفينه البلبحر يمشي ابعكسها اهواها
اِيصير أضلن يا خلك متجابله آنه اوياها
كلما يجيرها الترص آني ابحيلي ابريها

ساعه وكسر المجرشه وألعن أبو الگيّرها
الناس تفرح بالرجل أو روحي الرجل مرمرها
لاني أم ليله مسعده أو لاني امشيله او شرها
ظليت حظ المجرشه اگند ونامن تيها

ساعه وكسر المجرشه وألعن ابو الأسسها
الناس تفرح بالرجل أوْ روحي الرجل يبّسها
ينطي السدانه امن العصر والصبح يتلمسها
لو شافله ابكبر النخت بيها زرف يسبيها

ولم يقتصر غناؤهم على هذه الطرق المتعددة بل على أكثر من ذلك

حتى انك تسمعه في (النعي) ولم يكن النعي وليد هذا العصـــر أو من مبتكرات هذا الزمن فلقد كانت المرأة أو الرجل في العصور الغابرة تكرر كلمات التوجع عند الفجيعة وفاق لطم الوجه واللدم على الصدر والشهيق والزفير وهي اذا ندبت ترفع صوتها مرة وتخفضه اخرى تبعـــاً لتوازن احساساتها وخورها من كثر اللطم واللدم ويتخلل كلماتها أو حروفهـــا نشيج وانقطاعات قصيرة كما تفعل المرأة القروية في الأرياف والمرأة البدوية في الفلوات ولنساء العراق • أنغام محزنة لا تخلو من ضروب فن الموسيقى تأخذ باللب وتسمع غالبا من المرأة لدى ثكلها أو ترملها أو مـــوت حبيب لها ولعرب بادية العراق وقبيلة (المعدان) وغيرهم أوزان مطـابقة لأوزان الشعر العربي ينشدونها في عزائهم كقول بعض النائحات :

دحجت لن الگبر گـــامه   لن اللحد ضيّج منـــــامه
اتلوذ ابعلي ذيج الجهامه

وكلمة اسم علي أرادت به الأمام علي بن أبي طالب (ع) ولا بأس بايراد القصة التالية • ففي بعض السنين قتل رجل من أعراب عشـــيرة (البحاحثه) في ناحية (عفك) وهي قصبة صغيرة قائمة على الضفة اليســرى من نهر الدغارة المتفرع من شط الفرات وهذه القصبة قريبة من اطـلال مدينة (نيبور) التي كانت فيما مضى مركزاً من المراكز الدينية وهي مقر معبد البابليين (بعل) ولما قتل ذلك الاعرابي رثته أمه ونعته بقولها (يعباد يبنـــي) :

بالـگبر لو منكر يجي ليـك   اتروح المراجل لوتضل بيك
عرفتك رزن يومن تنسـيت   گوالب رصاص ابطني خليت

ورثته زوجته وكانت ابنة عمه وكان له ولد منهـــا يدعى (افنيخ) فقـــالت :

الك دبن يا بو افنيخ بالراس   چفيلك علي اويشهد العباس
جسم اللمسته عيب ينجاس

ومن هنا يستبان أن زوجة القتيل آلت على نفسها أنها لا تتزوج بعده وهذا دليل على وفائها لزوجها القتيل (وللنعي) شاعرات كثيرات اشتهرن

ومن بينهن امرأة يقال لها (فدعه) وتلقب (بخنساء خزاعة) لأنها قابلت الخنساء اخت صخر بن عمرو فالخنساء اشتهرت برثاء أخيها صخر وأشهر بيت في رثائه قولها :

وان صخراً لتأتم الهـداة به كأنه علم في رأسـه نـــار

أما فدعـه فقد اشتهرت برثاء اخيها (حسين) ورثته بقصـائد عامرة باللغة الدارجة أي العامية (حسچه) التي انفردت بصوغ معانيها واليك من شعرها الغامض الذي يقف عند تفسيره ذووا الافهام :

اِشـــما تون يحســـين أناعي اِشمفضات خلگى وشوسـاعي
ميمر عرب يابن الصـــداعى يعهبول والجـــابوك أفاعـي
اشلون الغنم من غير راعي

ولم تكن فدعه كما هو مشهور عنها من عشيرة (بني زريج) وانمـا نسبها ينتهي الى عشيرة (الصدعان) وهي قبيلة من قبـائل (شـــمر) لقولها (ميمر عرب يابن الصداعي) وعاشت في أيام الزعيم (حمـــد آل احمود) ومن قولها في رثاء أخيها أيضا :

حســين السحاب او همل چايه موحـــان ومشيل الگـــرايه
يا زلزلــــه او بيهـــا المنايـــه ربـــاط واعمــــامه ثوايـــه
وهو طفـــل عذّب الدايــــه يعربيـــد يا شـيخ الحيايـــه
على گرصتك ما ترهم آيه

هذا هو غناء العراق في الجنوب وهو أحسن ما وقعنا عليه .

الغناء في الشمال

لقد اعتاد سكان شمال العراق أن يغنوا أغاني مختلفة ومنها (العتابة) وهي شائعة عندهم شيوعاً عظيماً وكلمة العتابة مشتقة من العتاب وهي بحر من بحور الشعر (الوافر) ومن مبتكرات عشيرة (الجبور) وأشـــهر الناظمين بها رجلان أولهما (حمادي الجاسم) من عشيرة الجبور والثـاني اسمه (عبدالله الفاضل) من عشيرة (اعنزة) وقاعدة العتابة تنظم نوعـين (الأول) يتقوم من أربعة أشطر ثلاثة منها متحدة القافية (الجناس)مختلفة

المعنى والشطر الرابع يختم بباء ساكنة مثل :

نشدت آني الهتيمي او گال مامش　　او چلـّفت البيابي ابكثر مامـــش
او شـــيبني زمـــاني گبــل ما مشـ　　ـن اجدامي فوگ عاليت الرتـــاب

(ومعناه) سألت الگانوص أي الصياد عن أحبتي فقال ليس هم هناك وبكيت حتى كلفت عيوني من مسح الدموع وأنا الذي شيبني الدهر منـذ كنت في المهد أما (الثاني) فقاعدته كقاعدة الأول غير أن الشطر الأخـير يختم بألف مقصورة وأحياناً يقع بألف ممدودة مثل :

أبات الليل چن بحشاي چانون　　عفه علحاجبه مجرور چـانون
يزرع الگلب ما يرويـه چانون　　كـــود آذار بسنـــين السـخا

(ومعناه) اقضي الليل وبقلبي نار مسعرة عـلى المليح ذي الحواجب المجرورة كجر حرف النون وهيهات زرع القلب يرتوي ولو سقي من مطر كانون في أيام الخير ٠

وظهر اخيرا اناس يغنون العتابة في مقاهي المدن العراقية على (الربابة) واشتهر من بينهم رجلان هما (محمد العلكاوي) نسبة الى البو علگه بطن من بطون عشيرة (العبيد) و (حسين كردي) وهو رجل لم أعرف له نسباً وقد امتاز على الأول بحسن صوته وقوة حافظته ومن غنائهم (النايل) وهو بحر من بحور الشعر (مجزوء الخفيف) ينظم كل بيت مستقلا بنفسه على صريقة (الرجز) وقيل إن أول من غنى به امرأة (عذرية) من بني عذرة وهؤلاء عرب من قضاعة القحطانية وهم المعرفون بالعشق والغرام ومنهـم (جميل بن عبدالله بن معمر العذرى) فلقد كان فصيحاً بشعره نزيهاً بحبه حسن الصورة لطيف العشرة سليم الذوق حلو النادرة حسن البزة صادق الصبابة طاهر العشق بدليل قول (عبدالله بن سهل الساعدى) قال : دخلنا على جميل وهو يحتضر فنظر اليّ وقال يابن سهل ما تقول في رجل لـم يشرب الخمرة ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق وهو يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله قلت أظنه قد نجا فمن هذا الرجل قال أنا قلت ما أحسبك سلمت وأنت تشبب(بثينة) منذ عشرين سنة قال لانالتني شفاعة محمد (ص) إن كنت وضعت يدي عليها لريبة وأكثر ما كان من أن

أسند يدها الى فؤادى فاستريح ساعةفهذه الصفة صفةالحبالعذرى ويذكر (الأصفهاني) صاحب كتاب الأغاني سبب عشقه بثينة بنت حباب بن ثعلبة العذرى ان جميلا أقبل يوماً بابله حتى أوردها وادى (بغيض) فاضطجع وارسل ابله مصعدة وأهل بثينة بذيل الوادى فأقبلت بثينة وجارة لهـــا واردتين فمرتا على فصال لجميل فضربتهن بثينة وكانت يومئذ جويرية لم تدرك فسبها جميل فردت عليه فملح الى سبابها ثم لم يرها بعد ذلك حتى صارت شابة فوقعت من نفسه موقعاً عظيما وفي سبابها له يقول وهو أول شعر قاله فيها وعرف الناس أنه يحبها :

وأول مـــا قاد المودة بيننـــــا بوادي بغيض يا بثين ســـباب
فقلنـــا لها قولاً فجـــاءت بمثله لـــكل كـــلام يـــا بثـــين جـــواب

أما بثينة فالتاريخ لا يذكرها اِلا مع جميل وذلك شيّ قليل وممـــا قيل عنها أنها دخلت على (عبدالملك بن مروان) وقد أسنت واخلقها الدهر فقال لها عبدالملك ما الذى رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت ما رأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك عبدالملك حتى بدت له سن سوداء كان يجهد في اخفائها ومن بني (عذرة) عروة بن حزام وصاحبته عفراء وهو ابن عمها اشتد عليه حبها حتى مات ومن أحسن ما يروى عن بعض العذريين انه سأل يوماً ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة فقال لأن فينا جمال وعفـــاف •

غنـــاء النايل

ومنهم تلك التي ابتكرت غناء (النايل) وكانت تسكن مع عشـــيرة (العبيد) أما سبب تسمية هذا الغناء بهذا الأسم هو أن الفتى الذى كانت تهواه تلك الامرأة العذرية اسمه (نايل) فسمي هذا الغناء باسمه واول بيت قالته فيه هو :

نـــايل چتلني أو نـــايل غيّر الواني او نايل ابشوگه سجيم الروح خلاني

(ومعناه) ان حبيبي نايل الذى قتلني بعد ان دعاني شوقه في سقام ، ومن أنواع غناء النايل نوع يقال له (غرباوي) نسبة الى العشائر الساكنين

غربي العراق وأشهرها عشيرتي (العزة والعبيد) يغني بنغم (الصبا) ومنه:
وردن اشبيچه العذيه او راس الكور داسنَّه
اوخافور گلبي ذبـــل وابنيـــات حاشـــنه

(ومعناه) شربن من ماء نهر (الشبيچه) واجتازن الموانع ومنهن ذبل زرع قلبي وهن حاشنه أي البنات •

وله نوع آخر يسمى (اسويحلي) وهو لا يختلف عن الأول اِلا في الغناء ونغمته (بيات) وأشهر من يحسن الغناء به عشيرتي (العزة والجبور) و(العبيد) وتغنى ابياته بالعكس مثل :

حـــدر يحايف أنطيـك راي الله وامنين خايف أمي وأبويه اغيـاب

ووضعه الصحيح هو :

انطيك راي الله حدّر يحـــايف أمي وأبويه اغياب امنين خـــايف

(ومعناه) لك الأمان أيها الحبيب الذى جئت الينا بصفة لص تعـال فلا خوف عليك فان أبي وامي غير حاضرين هنا •

وله نوع آخر يسمى (عراگي) نسبة الى العراق ويقال له أيضاً (سنيه) نسبة الى أرض السنية وهي احدى مقاطعات (مهروت) ومهروت ترعـه تتفرع من نهر (ديالى) طولها يبلغ مائة كيلو متراً تقريباً وبهذا الغناء يغني جميع سكان لواء ديالى على اختـــلاف نحلهم ومنه :

هب الهوى والتوى زلفه على خده والترف رابيعفه واليگحمه اشحده

(ومعناه) هب الهواء ودب صدغ المليح على خده فمن ذا الـــذى يستطيع أن يتقدم اليه •

غنـــاء الميمر

وهذا الغناء هو مشهور عندهم وهو بحر من بحور الشعر (السريع) ينظم باربعة أشطر ثلاثة منها متحدة القافية (جناس) مختلفة المعنى والشطر الرابع يختم بقافية الراء الساكنة ويغنى بنغم (البيات) وهو :

علميمـــر علميمـــر علميمـــر بيض النواهى علىاسميچة حدر

هكذا يغني به غير أن كلمة (ميمر) محرفة فلذلك لم تفد بمعنى

بسبب تحريفها ولقد سألت بعض الذين لهم اطلاع بهذا الغناء وعن معنى كلمة الميمر فعلمت منه أن المقصود بهذه الكلمة هو (مـامر) من المرور و (ما) للنفي وليس كلمة اسميچه صحيحة بل هي اشبيچه وهذا اسم نهر في (حويجة العبيد) وصحيح البيت هو •

علمـــامر علمـــامر علمـــامر بيض النواهي على اشبيچه حدر

وكثيراً ما ينظم به في الفخر والحماس مثل :

حنّه الـذي ما تتبدل عادتنـــه امن أفعالنه كل الخلك عادتنـه
يكفيك شرنه لو ردت عادتنـــه حنّه چمهالسندانمعرض للشر

(ومعناه) نحن الذين لا تتبدل عاداتنا ومن شر فعالنا صرنا أعـــداء لجميع الخلق وكفاك الله شرنا اذا عاديتنا فنحن كسندان الحديد عرضـــة لشرار النار ومنه في الغزل مثل :

وياي هل غادي الجدم دگ دگــه خله اضلوعي امن الهجر دگدگه
من فوگ وجناته الترف دگ دگه فيروزة واموسـسطه ابذهب احمر

ومنـــــه :

يابو انهـود الطرحتل نومي لك لمّن نريدك بـــالغمز نومي لك
ليلي او نهاري بالفزز نومي لك وانت ابحضن غيري ليالي تسهر

ومنـــــه :

رمان خدك يا ترف بـس حبّه وادموع عيني چل مطربس حبه
افديوه لعيونك ياترف بس حبه من هل خدود الچنها ورد احمر

ومنـــــه :

طلعت اتسَّير والزلف گام الها أو من سلمت كل السلف گام الها
الشمس تسجد والگمر گام الها واسهيل جاها امن الفجر يتجرجر

ومنـــه قول مؤلف هذا الكتاب :

خيل الهجر لكدن عليَّ اوغارن وادموع عيني والبيـــابي غارن
الورگ من سمعن ابنوحي غارن ناحن ولكن نوح شوكك اكثـر

ومنـــــه :

الروح راحت والگلب سلّيته ... أو سيف المنيه للغـدر سـليته
كـل من يودك يا ترف سليتـه ... أمه وأبوه او كل عزيـز يذكر

غنـــاء التجليبه

ومن أحسن الغناء عندهم هذا الغناء وهو بحر من بحور الشـــعر (الهزج) وقاعدته أن ينظم المستهل اولاً وهو شطران من روي واحدمثل:

لجلبنـــــك يليلي ألف تجليبـــه ... اتنام أهل الهوى واتگول مدري به

ثم ينظم أربعة أشطر اخرى ثلاثة منها في قافية واحدة والشطر الرابع بختم بقافية المستهل مثل :

لجلبنـك يليلي ألف تجليبـــــه ... وون ماونت الخنسه الصخر واكثر
لون هـــم الدهاني ابسدت اسكندر ... عفت وأضحىالربع ياجوج يسر يبه

(ومعناه) لابد ان اسهرك ياليل وأنوح فيك نوح الخنساء على أخيها صخر ولو ان الهم الذى عندى وقع على سد اسكندر لتزعزع السد وعفا رسمه وأصبح مقراً لياجوج ومأجوج وكثيراً ما ينظم به في التوجع مثل :

لجلبنك يليلي اولايج ابهل الروح ... من وني بچن كلهن بنـات الدوح
يلوله المزعجات امن الليالي اتلوح ... ما چان الگطه عاف الكره او طيبه

ومنـــــه :

لجلبنك يليلي ولو وياي او يـــاي ... على الوادى گعدت او حرميت الماى
أنا أمنحچي يربعي شـاهدي و ياي ... اليچذبني يجس گلبي اوأصاويبه

ومنـــــه :

لجلبنك يليلي واصبح آني انداس ... وذل خشميعگبماچنتعالىالراس
كل يوم الدهر ويـاي يلعب سـاس ... حربه اوياي حرب امطير واعيتبـه

غناء الموليّه

هو من الغناء المستحسن عندهم والمتداول بينهم وهو بحر من بحور الشعر (البسيط) ويغنى بنغم (البيات) وقاعدته أن ينظم شطران كقاعدة

غناء التجليبه مثل :

يا عين موليتـين يـا عين موليــه   درب الأحبه گطب عمل ابرجليه

ثم ينظم ثلاثة أشطر متحدة القافية مجنسة والشطر الرابع يختم بقافية المستهل مثل :

تميت أناطر حبيبي للصبح ماجــه   والدمع مني جرافوگ الوجن ماجه
بخديد ولفي ورد رمان اله ماجـه   يشبه اسهيل الطلع يجدح ابغبشيه

(ومعناه) بقيت انتظر حبيبي الى الصباح وما أتى ولأجله غـدا دمع عيني يموج وخده مثل ورد الرمان (جلنار) أو الكوكب المسمى سهيل حينما يضيء وقت الفجر •

غنـاء الهلابة

وهو غناء مستعمل عندهم وبحر من بحور الشعر (الوافر) وقاعدته كغناء (الموليه) ويغنى بنغم (العجم) مع المزمار ويقال له باصلاح اليوم (مطبج) وهو قصبتان صغيرتان لا تتجاوز الواحدة منها عن الشبر الواحد متلاصقتان بقطعة من الزفت (الجير) وعلى طول كل واحدة ثقوب توضـع عليها أصابع اليد عند العزف ويوصل بكل قصـــبة من تلكما القصبتين قصبه صغيرة معمولة لأخراج الصوت وكثيراً ما تستعمل هذه الآلة اليوم عند رعاة الغنم وتستعمل أيضاً في حفلات الأعراس مع الطبل فالعازف حينما يعزف بها يرجعون له بقولهم :

هلـــه يلوارده يمه هـــلابه   شبر واذراع گرمول العصـابه

ومن هذا الغناء البيت المشهور وهو :

هلـــه يلوارده يـــم الجدايـــل   يمحله الكيش فوگ الراس مايل
دونج لو تگف لي الناس حـايل   لجـر السـيف واعملّي اطلابـه

(ومعناه) أهلا بصاحبة الشعر الطويل التي جاءت تستسقي الماء وكل من يقف حائلا بيني وبينك لاجرد عليه حسامي وأعمل به ما اشاء •

غنـاء الشوملي

وهو مشهور عند الخاص والعام وهو من بحر (الرجز) وأول مـا

غني المغنى به يستهل بقوله من نغم (سيگاه)

علشـــوملي علشـــوملي نـــارك ولا جنـــــة هلـــي

أما قاعدته فينظم باربعة أشطر ثلاثة منها بقافية واحدة والشطر الرابع يختم بقافية كالتي وردت في المستهل مثل :

يا ويـــل ويلي امن التـرف گلبـــه عـلـيَّ مـــا يـــرف
ثاري العشـــگ زحمه او كلف مــــا يـطيب بيـــه اليبتـــلي

(ومعناه) ويل للمليح الذى لا يرق قلبه علي وان العشق صـــعب والذى يبتلي به لابد وأن يموت •

غنـــاء البكره

وقد سمعته أنا بنفسي من نساء عربيات وأنا اذ ذاك بين رجال عشيرتي المعزة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ رأيت نساءً في موسم حصـــاد الزرع يحصدن ويغنين هذا الغناء وهو :

خبت يمشي المـدلل بزرگ النيلي على صـــدر المدلل دگ يحليلي

وهو بحر من بحور الشعر (الهزج) وقاعدته كقاعدة غناء (الشوملى) وسألت عنه لماذا سمي هذا الغناء (بالبكره) فعلمت انه لا يغنى الا في موسم حصاد الزرع لتخفيف عناء العمل وتتفق أنغامه وحركات الحصد وســمي بالبكره لأن الذين يحصدون الزرع يقومون للعمل مبكراً أي صباحاً ولهذا سمي غناء البكره ومنه :

خبب يمشي الترف والنهد منه زام زريف أدعج امهيچل كاملالهندام
يرمي لو زرگ عينـه نبل وسهام من شـــفته يهل وادم رگد حيلي

(ومعناه) تتيه المليحة الكاملة الحسن ونهودها بارزة واذا نظــرت ترمى عيونها نبالا ولما رأيتها خارت جميع قواي •

غنـــاء الهلييه

ومن غنائهم غناء مشهور عندهم يقال له (هلييه) ومستهله :

هله يا نـــور عيني يا هلييـــه يغـالي من تمر ســـلم عليـه

وهو من بحر (الوافر) ويغنى بنغم (البيات) وقاعدته ينظم أربعـة

أشطر ثلاثة منها بقافية واحدة والشطر الرابع يختم بقافية المستهل مثل :

أخذني او طير بيه فوگ لي فوگ ... او ذبني ابمرتع الغـزلان والنوگ
حسـافه يا خذچ غـيري يغرنوگ ... يلفچ بالحضـن غصـبن عليـه

(ومعناه) خذ بيدي وطربي وألقني في مرعى الضباء أي الغزلان والنياق وأسفاً يأخذ المليحة ذات الجيد الغرنوق غيري ويضـحك علي والغرنوق طائر طويل العنق وجمعه غرانيق •

غنــاء الدحــه

هو غناء عشيرتي (شمر واعنزه) وهو خاص بهم ويغنون يـوم أعراسهم وختان أولادهم بهذا الغناء ويقال له (الدحه) وكيفيته أن يجتمع الرجال والنساء ويقفون على هيئة دائرة (حلقة) وتدخل بينهم امرأة حسناء حاسرة الوجه والرأس وبيدها سيف مسلول وتلوح به وتغني وبعد كـل بيت من غنائها تقول (دح دح) وهم يرجعون لها قولها الأخير ولهذا سمي هذا الغناء بالدحَّة ••

وأشهر غناءهم (الحداء) وهو غير حداء عرب الاوائل فذلك من بحر (الرجز) وهذا من بحر (البسيط) ويستعمله رعاة الأبل يستحثون بـه ابلهم وقاعدته أن ينظم أربعة أشطر ثلاثة منها من قافية واحدة والشـطر الرابع يختم بقافية أخرى واكثر ما يجيء في الفخر والحماس مثل :

ياما حدينـاهم ويامـا حدونـه ... آو ياما سگيناهم بچـاس سگونه
لا چنَّنا اصـبر من الواگفونه ... اولامثلنا يوجد على الموت صبَّار

ومن أنواع هذا الغناء نوع يقال له (الركباني) وهو أيضاً من بحر (البسيط) ولا يبعد ان هذا الغناء من غناء عرب الجاهلية أما قاعدته فانـه ينظم الشطر الأول من قافية والشطر الثاني من قافية اخرى ويسمى هـذا النظم باصطلاح البدو اليوم (نبط) ومثاله :

يهل الرچايب امنين لا وين لا فين ... لنتم عليـكم زين لا شـين خـافي
او لنتم اعكيلات علكم سـعادين ... او لنتم سـمالات عليـكم دفـافي

وله نوع آخر يقال له (حوراب) ومقصـور استعماله في الحـروب

والغزوات وهو من بحر (البسيط) أيضاً وقاعدته كقاعدة الركباني مثل :

حنـــه عمـــامك لو رحلنـــه يـــا جـــرد من ننزل عليـــه
بحرابنـــــا يامـــا طعنـــــه اوچـــم فـــارس صـلنا عليـه
برواحـــنا نفـــدي وطنـــه ســـعيد يلنرضـــه عليـــه

وأحسن قصيدة نظمت في (الركباني) هي قصـــيدة محمد الحلي المشهور (بأبن الخلفه) نثبتها بكتابنا هذا لحفظها فيه :

يا معتلي في كـور هجنـه تليعـــه ريـــض الچيـدي بالنوى لا تليعه
گبل السرى ياهيه دونك ذريعـــه من مدنف ٍ في گيد الأشواق مرهون

وانهم گلوصـك لووني فيك هدوه ليمـا ترى بيمنا سـم البيـد تطوه
يمم بهـا اطـلال رامـه او حزوه تسـمع عويل أهل الصـبابه يونون

ذا واضـع ٍ من فوگ جيـده يمينه وذا حنـين النيب بـادي حنينـــه
وذا گــاطع سيف اللواحظ وتينه وذاك أمسه من گنـا الـگدمطعون

حـاذر عسـنك منهج الخير تهدي غيــد ٍ من آســاد خفّان تردي
وان شفت سمّار الحمى عنك هجدي اسگط سگيط الطل من مزنة الجون

وامضـي الفتاة الحي والليل داجي عسـاك من صـرف المجادير ناجي
عنى نيابه يا فتـــى لو تحـــاجي گلهـا ترى يامي خلفته مسـجون

سنيح وگرا السـمع من لوم لايم يرتاح چيـده من هبوب النسـايم
ويرن مـا بالمنحنـه رن حـــايم ليله او شـان أهل الصبابه ايرنون

ما زلت اوصي بالتريث أخا السير عل او عسى الگاه ساعي الى الخـير
حتى غدت بي شد گميه چما الطير ترفل او سوّاكه عنّـه مـا يفيگون

وابگيت من عگبـــه أعد الليـالي عن حالتي بالدمع سـل ما جرالي
ما زلت حتى يوم سـابع لفـــالي عشوه اونضوه من مدى السيرممتون

ناديت لــه يا هيــه اسـرع لهينه		أناشـدك عن غيده بيهـا ابتلينـــه
هل لاح لك جيد الوضيحي اوعينه		گـــال أجل مع غيد عالماي يردون

أخـــابرك لمـــا زجرنا الرچـايب		عنك او فود الليل بالصبح شـايب
نگطع دياديم بها الســـيد هــايب		والوحــش موحش ما بدوه يبينون

حتى لفينـا له يا خوي من عشيّه		روض وغدرانه سفح عذب ميّـه
عالبعـد فيهـــا لاح لي نـار ميــه		بــه دوم تيّاه الهوى يسـتدلون

يممتها من حين لاحت من الخيف		متفرد مـالي رفيج سـوى السيف
گالت من الطارك ابهدوه گلت ضيف		يبغي الگره هل للمحبين تـگرون

گالت هلــه والرحب نوّخ ذلولك		بـالربع مـــا من غيرنه يكرمولك
برباعنــه لو دار يـازين حـولك		وادعيتنــــــه فالـــكل منّا يلبون

ناديتهـــا لمـا خلت سـاحة الـدار		من حضرة الرفاگ والأهل والجار
هل لك علم بمشوگك ماالذى صار		عليه وامسى مدنف الگلب محزون

گالت بمن إن جنت للحگ راوي		بـــالك تغرّن فالمحــــاچي مهاوي
گول الصـحيحه يا فتى لا تراوي		وأهل الصدگ لازال بالصدگ ينجون

گلت الحيـالي يمنعن ان ابن لــك		گـالت تكلم گلت أجل يهتوي لك
تغـدين صـوبه عانيه لو يجي لك		گالت عسى انك ذاهب العگل مجنون

اي عزوةٍ حول الخبـــا يلحظولي		او يوم الضـعينه دوم يبرو ذلولـي
عن حوفتي هل چيف اخطي او حولى		ضياغم او سمر الگنا الخط يدمون

گله فيـــاتي الحي والليل سـاجم		متغـيّرٍ ومســـاهر الليل نــــايم
بـاله يبـات ابغير مغنـــاي واهـم		خوفي لياله نابح الـگلب يــدرون

دنيت حين اسمعت هجنـه ذعوره		هجهوجة وارگيت بالحـين كوره
من توجس المشـعاب يكثر نفـوره		يحكي مذاعـير المهـا حين يغدون

بي ثورة گبل الصبح من مراحي		مـا انگفت بـالدو بعـد المسـاحي
متيممة بالسـيـر تلك النـواحي		مار يتّضت مع كل ركب يريضون

حتـى لفيت الحيّهـا والمـواطن		عتمـه ونخته بين غـور وباطـن
وأنسبت كـالأفعى ولاني امواطن		لـكن حكم البيض علموت يرمون

لمن لفيت المعرسـه والمبـاني		كالليث مـا تثني الرزايـه عنـاني
گـالت من اللي لي حمـانه امداني		گلت البعشگه گبل الأدراك تدرون

گـالت هلـه يللي لفانـه امواجح		هـدوه ولا عاجه عن السـير عايج
صـد واندعر صوبي وللخير وافج		أخـاف حراس الحمه بيك يوعون

وسدتها من شـدة الشوگ زندي		وأمسى رضا بهلوضمه الچبدوردي
واشكيتلهعن لوعتياوطولوجدى		گالت نعم لي عنكالأتراب يحچون

مـدّيت چفي حـدرطي المبرّم		گـالت تهده گلت أنا بيچ مغـرم
من للوصـل يا زينـة العين حرّم		والوصل ميتأهللهوى بيهيحيون

گـالت فـلا بالفاينـه لا تحـاوف		خلي الخنه حنّه العذارى العفايف
لكننـا لليهتوينـه نوالـف		ولا يرى منا سـوى مطل مـديون

خلـي الترومـه وانثنـي لثـم ثغـري
وانشگ عبير احجـاج من فوگ صـدري
لا تكثرن ضـمي فاعـوام عمـري		عشـره واربع ما عليهـا يزيـدون

بكره بعد مـا لوث الثوب نهـدي		ولاانگطف ورد زهي فوگ خدي

غيرك فما حصل سوى طول صدي ولا هلي بي بعض ريبه يظنون

ما زالت في روض من الحسن راتع أو عن الخنه كفيت چف المطامع
حتى استمد الخيط بالشرگ طالع گالت ألا أرشد گبل گومي يفيجون

ما نبهك ديچ الحمه حين صوّت والعين عاالبقظة او عمرك تفوّت
گوطر فهذي فرصة ما تفوّت وافراگك عليّ ترامو ليس بلهون

ودعتها والدمع علخد سايل والجسم من عظم النوى بات ناحل
گالت بنا لا تگطعون الرسايل ناديتها وانتو بنا لا تگطعون

وانكفت عنها بالرغم يهل ودي والشوگ شوگي او ذاك الوجد وجدى
هذا الجرالي والذي صار عندى معها او عساكم بالوصل تسعون

خاتمة الطبعة الاولى

الآن وقد فرغت من وضع فصول هذا الكتاب أود أن ادون كلمة الختام فأقول :

لقد قصدت في اخراج هذا الكتاب الذى بذلت فيه جهوداً متواصلة لمدة طويلة وسنين عديدة اموراً ثلاثة (أولها) خدمة التاريخ العربي بتدوين ناحية مهمة من نواحيه الأدبية والأجتماعية في مختلف أدوارها تلك الناحية التي تشتت البحث عنها في بطون الكتب وتفرقت وقائعها في تضاعيف الروايات الأدبية والأحاديث المروية فعز على الطالب الألمام بها وصعب على الباحث جمع شتاتها (وثانيها) خدمة الناحية الفنية وأعني بها فن الغناء العربي وعلى الأخص المقام العراقي من أول نشوئه حتى بلوغه سن الرشد والكمال ثم انحداره الى عهد الشيخوخة والضعف وفي ذلك أداء الواجب تدعونا الى الآضطلاع به حاجة كل أمة ولا سيما الأمة العربية الى (موسيقى) تلهب شعورها وتصقل اذواقها وتشرح صدورها وتسلي حزينها وتنشط خاملها وتنفخ الروح في نفوس نشئها ولعلنا قمنا بقسط من هذا الواجب ان لم نقل بقسط كبير وذلك لقلة ما بين أيدينا من المصادر المدونة والوثائق التاريخية المكتوبة في هذا الفن الخالد العزيز وعلى الخصوص بعد مرور فترة طويلة بين عهده الذهبي وبين عهد انحطاطه • وان غاية ما استطعنا الحصول عليه من معلومات فنية وعرضناه في هذا الكتاب قد استقيناه من أفواه البقية الباقية من أساطينه وحاملي لوائه وناقلي تراثه والأمناء على كنوزه ولولاهم لما قدر لنا الوصول الى ما وصلنا اليه ، ان اولئك الاساطين قد حرصوا على أمانة النقل وتحرير الأصوات كما ورثوها من الطبقة التي سبقتهم وهؤلاء عمن سبقهم وهكذا الى أن تصل الى المنبع الأول مع بعض التغيير والتحوير الذى لا يضيع الاصل ولا يمس الجوهر كما هو مبسوط في مواضعه في هذا الكتاب (وثالثها) توجيه الأنظار واستفزاز الهمم الى تخليد ذلك التراث الفني العظيم وصيانته من الضياع وتسجيله بالوسائل

الفنية الحديثة أى (النوته) ليكون مصدراً للهاوين ومنهلا للواردين وان كل من يقع نظره على هذا الكتاب يتحمل مسؤولية أدبية تبعثه على المساهمة في انهاض الهمم وان لم يفعل فانه يعد مقصرا في أمر يدعوه الواجب اليه •

وأني لقوي الأمل بان سيكثر أنصار هذا الفن المحبوب والمهتمون به وسيعود اليه زاهر عهده وسابق مجده وليس لي في هذا المقام إلا أن أنوه بالعطف والمؤازرة العظيمين اللذين أسداهما سعادة الأستاذ أحمد زكي الخياط مدير الدعاية العام في اخراج الطبعة الاولى من كتابي هذا فكان له في ذلك يد مشكورة لم يصبها النسيان والنكران مدى الدهر وانا في اسداء هذه اليد في طوق جميله واحسانه ولابد لمن كان له هذا الفضل أن يقدر لاسمه التبجيل والتكريم وهو ظافر في التاريخ بخير الجزاء ومن النـــاس حسن الشكر والثنـــاء •

تقاريض الطبعة الاولى

كلمة دار الاذاعة اللاسلكية

المنشورة في جريدة الزمان بعددها المرقم ٢٣٤٣

اذيع من دار الاذاعة اللاسلكية العراقية في يوم ١-٦-٩٤٥ ما يلي :

أصدر الشاعر المعروف الاستاذ عبدالكريم العلاف تحت اشراف مديرية الدعاية العامة كتابا بعنوان « الطرب عند العرب » صدّره بمقدمة للاستاذ مدحت الجادر وقد سد به فراغا ملحوظا في المكتبة العربية التي لا تزال تفتقر الى أمثال هذه الكتب التي تكشف لنا جانباً من الحضارة العربية التي كانت السبب المباشر في تهذيب النفوس وتغذية العواطف والارواح لان الجانب المادي من الحياة يؤدي الى الانحطاط النفسي والتكالب على أسباب الحياة ويهبط بالانسان الى مرتبة بغيضة هي مرتبة الانسان الاعجم • واذا كان العرب اليوم قد أخذوا من الحضارة بنصيب وافر في حياتهم الاجتماعية فانهم قد أخذوا مثل هذا النصيب من الجانب الروحي لان الامة العربية أديبة بالطبع كما يعترف بذلك (ارستطاليس) وقد يكون تاريخ العرب القومي جزءا لا يتجزأ من تاريخهم القومي • ونعود الى موضوع الكتاب فنقول ان الموسيقى والغناء من أقدم مقتنيات الانسان فقد أحب خرير المياه وهديل الحمام وصداح العنادل كما أحب الطبيعة بجمالها والكتاب بحد ذاته استعراض عام شامل الغناء والموسيقى في العهود الجاهلية والاموية والعباسية وفي العهود التي كرم هذا الفن فيها وأصبح من فنون الحياة وقرب الشعراء والمغنون الى الخلفاء وأدناهم الى قلوبهم وأرواحهم وجعلهم يعيشون في مراتب سامية يحسدون عليها ويعرض الكتاب الغناء في الاندلس والموشحات كما أفرد باباً خاصا للغناء في مصر والعراق ذكرت فيه أنواع الاغاني وأشهر المغنين والمغنيات ويختم الكتاب ببحث عن الموسيقى والاصوات وعن آلات الطرب قديمها وحديثها ولا شك ان هذا الكتاب سيقابل من القراء بما يستحقه من الاقبال والتشجيع •

كلمة الاستاذ روفائيل بطي

المنشورة بجريدته البلاد عدد ٢٥٤١

(الطرب عند العرب) •• لقد اشتهر العراق بالغناء منذ عصور قديمة وعرف الغناء العراقي واشتهر المغنون العراقيون في التاريخ ولكن لم يقدم أحد ممن لهم مشاركة واطلاع في فن الغناء على تأليف كتاب خاص بهذه الشؤون في عصرنا لهذا نعد عمل الشاعر الرقيق الاستاذ عبدالكريم العلاف صاحب مجلة (الفنون) المحتجبة من الاعمال المجيدة في عالم التأليف فقد اهتم بوضع كتاب شامل عنوانه « الطرب عند العرب » أودعه البحث في الغناء في العهد الجاهلي للعرب ثم شفع ذلك بمعالجة الغناء في الاندلس وبدعة الموشحات واثبت الشهيرة لبعض الشعراء الاندلسيين والمعاصرين من ابن زهر الى معروف الرصافي ومحمد سعيد الحبوبي •• وعقد فصلا بحث فيه الغناء في مصر والموشحات الغنائية هناك من قديم الزمان ولم يفته اثبات فن محمد عبدالوهاب وام كلثوم من نوابغ الفن الحديث ••

وخص الباب السادس في كتابه بالنظر في الغناء العراقي والمقامات العراقية فعالج الموضوع معالجة خبير ثم ترجم للجماعة من أشهر المغنين العراقيين في العهد الاخير بينهم أحمد زيدان ورشيد القندرچي والقبانچي وعطف نظره الى الاغاني العراقية والريفية في جنوب العراق وشماله فأتى على أساليب الغناء في هذه الانحاء وحقا ان ما دونه المؤلف القدير في كتابه في هذا الموضوع يعد فريدا في بابه في اللغة العربية وينشر بالطبع لأول مرة •

وعنى الاستاذ العلاف بارصاد الباب السابع في كتابه لموضوع الموسيقى والاصوات ثم جعل الباب الثامن وقفا على آلات الطرب فتعرض لكل آلة بالبحث والوصف •

ان عبدالكريم العلاف ليس غريبا عن الموضوع والذى تصدى له بل هو شاعر" مجيد" يدل تاريخ الغناء العراقي الحديث كثيرا من وضعه وهو يعيش في عالم الفن مختلطا بالمغنين والملحنين معاونا اياهم على ترقية فنونهم لذلك نجح في كتابه هذا الى حد كبير وانا نثني على همته ثناءا عظيماً ونقدر

فضله في هذا الميدان • ونأمل أن يلقى كل التشجيع من الشعب في الاقبال على كتابه النفيس وقد أهدى الكتاب الى سعادة أحمد زكي الخياط مدير الدعاية والنشر العام اعترافاً منه بأنه وضع السفر وأخرجه برعايته وهو فضل لمدير الدعاية العام يضاف الى خدماته الجلى لوطنه في منصبه ••

كلمة الاستاذ نور الدين داود

صاحب جريدة النداء المنشورة بجريدته عدد ٢٢٨

« الطرب عند العرب » •• أخرج هذا الكتاب القيم الاستاذ الشاعر عبدالكريم العلاف وهو يمثل ناحية فنية من نواحي تراثنا القومي أوضحها باسلوب عصرى وتنظيم حديث يستحق بهما المؤلف تقدير المولعين بهذا الفن فقد مازج وقارن بين الغناء العربي في مختلف العصور اذ بحث عن الموسيقى في العهد الجاهلى والعهد الاموي والعباسى والاندلسى وتناول الغناء المصري والمقامات العراقية الدارجة في الوقت الحاضر وأوضح اصولها ومصادرها كما تكلم باسهاب عن الاغاني الشعبية العراقية وأفرد أبحاثا خاصة عن معرفة الاصوات وتاريخ آلات الطرب مما يدل على براعة المؤلف وطول باعه في هذا المضمار فضلا على مدى الجهود الكثيرة التي بذلها في البحث والاستنباط من المصادر التاريخية للحصول على هذه البحوث المفيدة حتى جاء الكتاب تحفة بديعة تستدعي اعجاب القارىء بالمؤلف الفاضل فنحث القراء على مطالعة هذا الكتاب الرائع ••

كلمة الاستاذ جبران ملكون

صاحب جريدة الاخبار المنشورة بجريدته عدد ١٣٥٥

« الطرب عند العرب » •• أهدانا الاستاذ عبدالكريم العلاف نسخة من كتابه الفريد في بابه (الطرب عند العرب) وهو موسوعة فنية لتاريخ الغناء والموسيقى عند العرب منذ العصر الجاهلى حتى الوقت الحاضر ، ويظهر من مطالعة فصول هذا الكتاب الممتعة بالجهد الذى بذله الاستاذ المؤلف في تدوين كل ما يتعلق بالطرب عند الناطقين بالضاد فاستقى تاريخ هذا الفن من المصادر التاريخية الموثوق بها ونظمها في فصول متسلسلة

باسلوب متين وعبارات واضحة فجاء الكتاب تحفة فنية تستحق الاعجاب والتقدير ، ومما يوجب شكر المؤلف تسجيله في فصل خاص كل ما يتعلق بالغناء العراقي مما لم يسبق لغيره أن سجله بهذه الدقة ونعتقد ان هـذا الكتاب سيكون من المراجع المهمة للفنانين في الشرق والغرب يجدون فيه كل ما يهمهم الاطلاع عليه مما له علاقة بفن الغناء والطرب عند العرب فنهنيء الاستاذ العلاف بنجاحه في هذا المجهود ونرجو لمؤلفـه الذيوع والانتشار والخلود ..

كلمة الاستاذ سليم حسون

صاحب جريدة العالم العربي المنشورة بجريدته عدد ٥٣٩١

« الطرب عند العرب » .. ان هذا الكتاب هو الاول من نوعه وقد أخرجه الاستاذ عبدالكريم العلاف في حلة قشيبة وطبع لطيف يستهوي القاريء الى مطالعته ومما يزيده تعلقا في مطالعة الكتاب من أوله الى آخره سلاسة الاسلوب وبراعة التنظيم والكتاب ثروة فنية نحن في أمس الحاجة اليها وبالدرجة الاولى اولئك الموسيقيين والمغنين والملحنين الذين نحن اليهم مفتقرون عسى أن يكون وجود هذا الـكتاب حافزاً لهمم بعض المغنين والملحنين الجدد الذين يذيعون تلاحينهم ومقطوعاتهم الغنائيـة ليأخذوا ما ينفعهم فيتقدموا بالغناء العربي خطوة جديدة مع مسايرة الزمن من هذه الذخيرة الفنية التي كانت مبعثرة هنا وهناك في بواطن الكتب فجمعهـا ونسقها واختار لها الاستاذ العلاف خير صـدفة مجلوة لخير در .. فالى الاستاذ العلاف تهانينا الحارة لهذا المجهود الفني الذى نال منه هذه اللفتة المباركة فأدى بها الى الأدب والفن أجل خدمة تذكر وعليها يشكر ..

كلمة الاستاذ محمد مهدى الجواهرى

صاحب جريدة الرأي العام المنشورة بجريدته عدد ١٢٩٠

« الطرب عند العرب » كتاب طريف أصدره الاستاذ عبدالـكريم العلاف بحث فيه الموسيقى والاغاني الشعبية عنـد العرب في الجاهليـة والاسلام وتطرق فيه للمقطوعات الغنائية في العراق والمصـدر وتفصيل

أدوات الموسيقى وتاريخ نشوءها عند العرب كما فصل فيه نشـوء الموشحات في الاندلس والمقامات في العراق ويعد هذا الكتاب أول مؤلف تطرق للغناء الشعبي العربي في مختلف مراحله وعهوده وليس للمولعين في الغناء غنى عن مطالعته والاستفادة منه ••

كلمة الاستاذ توفيق السمعاني

المنشورة في جريدته الزمان بعدد ٣٣٣٨

(الطرب عند العرب) •• هذا عنوان لكتاب جليل القدر ألفـه الأديب الفاضل والشاعر المجيد السيد عبدالكريم العلاف وتناول فيـه فن الغناء والانغام والالحان والمغنين والمطربين العرب قديما وحديثا والعلاف فارس هذا الميدان يصول فيه ويجول وقد جاء كتابه تحفة نفيسة تقدم الى المكتبة العربية والى القراء الكرام فلفت اليه الانظار ونثني على الجهـود المضنية التي بذلها المؤلف الأديب في تأليف وتبويب هذا الكتاب القيم ••

كلمة الاستاذ المحامي نجدة فتحي صفوة

المنشورة في جريدة البلاد بعدد ٢٦٢١

لقد تحمست كثيرا لكتاب « الطرب عند العرب » يوم صـدر كما أكبرت لسعادة مدير الدعاية العام غايته باصداره تحت رعايته الشخصية لمؤلفه في شأن الكتاب وغير شأن الـكتاب ، وهو يذكرني دوما برجال للعرب القدماء ووزرائهم الذين كانوا يجمعون حولهـم العلماء والادباء فيشجعونهم على التأليف والانتاج ويحمونهم ويبذلون لهـم كل مؤازرة وتشجيع وموضوع الكتاب غني وواسع والعلاف فنـاد والغناء العربي من أنفس تراثنا القومي وهو جانب مهم من أدبنا ويكفيك واحـد وعشرون جزءا ضخما من « الأغاني » كانت ولا تزال وستبقى أغنى مصدر في تاريخ الأدب العربي على الاطلاق والمؤلف أهل للموضوع أنفق فيه شبابه ومهره كهولته ولو نشأ العلاف في بلد يقدر الفن قدره الصحيح ويبذل لرجالـه الصادقين ما يستحقون من جزاء عادل ويجد فيه رجالـه مجالا لاستثمار مواهبهم وتنميتها اذن لكان له شأن غير هذا الشأن ومقام غير هذا المقام أو كان له ان تجاوزت عن هذا وذاك دخل غير هذا الدخل فهو شاعر رقيق،

وأديب ظريف ، وله في الموسيقى والغناء يندر أن ينازعه فيهما منازع ولقد جاهد في الثورة العراقية جهاد الأبطال فكان شاعراً فارساً يستثير بشعره مع (البناء والبصير) وغيرهما همم مواطنيه ويلهب عزماتهم ثم انصرف الى الفن فنظم الشعر ووضع الالحـــان وعبّر عن ضمير الشعب مسالما كما عبر عن ضميره ثائرا • وأصدر مجلة (الفنون) فكانت أول وأرقى مجلة فنيـــة صدرت في العراق ولا أزال أذكر اننا كنا نهرع الى تلقفها ونحن تلاميذ صغار قبل اثنى عشر سنة أو تزيد • وظل العلاف يغرد غريبا في بلـــــده وبين أهله وقبيله وظل لسانهم الطليق وقلبهم الخفاق ولقد زارت بغـداد ذات يوم فنانة مصرية كبيرة والظاهر انها سمعت به وتتبعت أخباره فهرعت لساعتها لرؤية العلاف حتى اذا لقيته لم تتمالك أن تقول أواه لقد شـــاب المسكين وفات أوانه ! ولكن الله ركّب بين جنبي هذا الشيخ قلبا لايشيخ وروحا فتية لا تعرف الخمول (وقد يكون شباب غير فتيان) وليس شيخاً من يكون في نشاط العلاف ومرحه ومن ينظم شعر العلاف ويؤلف هذا الكتاب فالمجهود الذى انفق في « الطرب عند العرب » وهو أول كتاب من نزعته باللغة العربية جدير بكل تقدير واعجاب ! عرض فيه المؤلف تاريخ الغناء العربي من عهد الجاهلية الى يوم الناس هذا فتناول الغناء في العهـد الجاهلى فالاموي فالعباسى فالاندلسى وبحث في الموشحات باسهاب ثم درس الغناء المصرى دراسة وافية من لدن الموشحات الغنائية الى ام كلثــــــوم وعبدالوهاب وتناول في باب (سادس) الغناء في العراق فكتب عن اصول المقامات وتاريخها بحثا مفصلا ثمينا لم يسبقه اليه سابق وشرح (البيات) و (الحجاز) و (الراست) و (النوى) و (الحسيني) ثم تنـــاول الاغاني الريفية العراقية والغناء في شمال العراق وجنوبه وما يتفرع اليه من ألوان ثم بحث في فصلين مسهبين آخرين (الموسيقى والاصوات) و (آلات الطرب) فستجمع في ذلك ما يمكن أن يقال بصدد الغناء العربي قديمه وحديثـــه بأسلوب سهل وعرض شائق وبعد فان عبدالكريم العـــلاف رجل مذنب وذنبه انه شاعر" مبدع وقف عمره على خدمة الفن وشعر كريم لم يجد التربة الصالحة والجو الملائم فما نما ولا استطال •

كلمة الاستاذ السيد احمد الحافظ

ملاحظ انحصار التبغ في كربلاء

حضرة الشاعر المبدع الاستاذ عبدالكريم العلاف المحترم

بكل فخر واعتزاز طالعت كتابك القيم (الطرب عند العرب) فعجبت لسلاسة وضعه وانسجام عباراته ولطف اشاراته ومن ثمين ما وجدت فيه الغناء العربي في العهد الجاهلي والعهد الاموي والعهد العباسي والغناء في الاندلس ومصر والعراق بجميع مؤهلاته وكله متقن الوضع مما تتوق اليه نفس كل أديب وشاعر وفنان مطلع فضلا على بحث الأوزان الموسيقية ومعرفة الاصوات واختراع آلات الطرب مع فنون الموشحات الاندلسية والمصرية والعراقية كما هداني هذا المؤلف الثمين الى معرفة اصول المقامات العراقية وقد أجليتها في معرض الابتداع وفسحت المجال الى المغنى العراقي ليلم بكل ما حواه هذا التراث الخالد •

ولك الفضل في رفع شأن هذا الفن حيث أتيت بما لم يأت من سبقك ولا من عاصرك بمثله •

ولا جدال في حسن وضع المقام العراقي ووثاقته ولا نزاع في متانة تركيبه وصياغة ألوانه فهو الاساس المتين الذى تناقله الخلف عن السلف •

وكفى بفضله وغزارة ما فيه دليلا على اننا سمعناه نحن وآباؤنا من قبل ولم نعف عن سماعه مهما اعيد وكرر من جهابذة المجودين أذكر منهم المرحوم ملا عثمان الموصلي وملا ولي والحافظ بكر الاعظمي والحافظ ملا عبدالوهاب والحافظ مهدى ومن فطاحل المغنين منهم رشيد القندرجي والحاج عباس كمبير ونجم الشيخلي وفي مقدمتهم نادرة زمانه وفريد عصره وأوانه الاستاذ محمد القبانچي فارس الغناء العراقي الذى تحلى صدره بوسام الفخر والعزة لحيازته قصب السبق في هذا المضمار •

والخلاصة أيها الأخ الكريم ان كتابكم (الطرب عند العرب) مفخرة من مفاخركم الفنية التي أسديتم بها خدمة جليلة لا تقدر فقد استطعت أن تجمع فيها التراث العربي المجيد الذى كاد أن يندثر وأخرجته لحيز الوجود من دائرته الضيقة الى هذا الميدان الواسع ليطلع عليه العدد الكثير

من هواة هذا الفن فيجدوا فيه المتعة والانس والطرب فجزاك الله عنهم خيرا ولك مني جزيل الشكر) .
١٩٤٥-٧-٦

كلمة الاستاذ ميسر بشير الموصلي

معاون مدير طابو بغداد

في القلب والنفس من الأحاسيس والخلجات ما لا يفصح عنهما لسان، وان ملك أعنة البيان ، ومن هنا كان الضحك والبكاء ، عديما المعنى غير أنهما أصدق تعبير عن الفرح والحزن ، ومنهما اقتبست الموسيقى فكانت نغما فارغ المعنى ولكن فيها تنفيساً أي تنفيس ...

ولقد أراد شاعرنا الغريد - العلاف - تعليم الناس - في هذا الكتاب - كيف يخففوا عن انفسهم ما يلقون من اعباء الحياة في عصر المادة ، فكان له ما أراد .

وهل الشعراء الا قيثارة الحياة تضرب عليها أنغامها بالأفراح حيناً وبلأحزان أحيانا ؟

فالى « قيثارتنا » المعجبه أقدم اعجابي بهذا الكتاب ...

١٩٥٨-١-٢٩

تقريض الاستاذ الشاعر مظفر بشير الموصلي

الى الاستاذ السيد عبدالكريم العلاف

لقد أحسنتَ صنعاً في كتابٍ كشفتَ به عن الفن النقابا
وألبستَ الغناءَ حليَّ فخرٍ فكان بحسنه أمراً عجابا
وزيّنتَ (المقامَ) لتاركيه فأحنوا عندما سمعوا الرقابا
ومهّدتَ السبيلَ لطارقيه فخبّوا في مسيرهمُ غلابا
وقد وفّيتَ للأجدادِ حقاً بما سطرتَه ، وفتحتَ بابا

١٩٥٨-١-٢٧

توضيح وتصويب

كنت اود ان تبذل المساعي للحيلولة دون وقوع اى نسيان في هـــذا الكتاب ومع الاسف المرير قد حصل في وضع المقامات العراقية فضلاً عــلى الخطأ الحاصل فيه !

ولم ادر على من اضع التبعة والى من اوجه اللوم ؟ والمرض مستحوذ علي الأمر الذى اضطررت على اثباتها بوضعها الكامل كيلا تضيع الفائدة •

الفصل الاول المقـام الرابع

(محمودى) وبعد التوغل فيه يعمل الميانة من پردة (النوى) ويعمل قطعة من (الجبورى) وقطعة من (العمرگلى) وقطعة من (العبوش) وقطعة من (القطر) وقطعة من (القريه باش) وقطعة من (الچارگاه) ثم يختم با (لمحمودى) •

الفصل الاول المقـام الخامس

(سيگاه) وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (المنصورى) ويعمل قرار (سيگاه عجم) ويعمل ميانة (البلبان) وقطعة من (السفيان) وقطعة من (التفليس) وقطعة من (مخالف كركوك) وقطعة من (العتابة) (سلمك) وقطعة من (سيگاه حلب) وقطعة من (الجمال) ويختم بـ (السيگاه) ،

الفصل الثاني المقـام الأول

(حجاز ديوان) وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (الحسيني) ثـم يعمل نيم خانة (الارواح) أى نصف خانة ويعمل قطعتين الواحدة تلو الأخرى الأولى (حجاز آچغ) والثانية (قزاز) ويعمل ميانة (الناهفت) وهي من (الحسيني) وقطعة من (الصبا) ثم يعمل قرار (الحسيني) واذا شاء يعمل قرار (النوى) ويختم (بالحجاز المدني) ،

الفصل الثاني المقـام الرابع

(عريبون عرب) وبعد التوغل فيه يبدأ على ان يكون البدء من پردة (النوى) ثم يعمل قطعة من (الابراهيمي) وقطعة من (القوريات) وقطعة

من (المحمودى) ثم يعمل ميانة (النوى) وقطعة من (العمر گلى) ويعمل الگفتة ويختم (بالعريبون عرب) ،

الفصل الثاني المقام الخامس

(ابراهيمي) وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (المحمودي) ويعمل قرار (على زبار) ثم يعمل ميانة (الحسيني) وقطعة من (القوريات) ثم يعمل ميانة (الحسيني) ايضاً ويعمل قطعة من (المنصورى) وقطعة من (الشرقي) وقطعة من (القطر) وقطعة من (الجبورى) وقطعة من (العمر گلى) وقطعة من (القريه باش) وقطعة من (العريبون عجم) ثم يعمل ميانة (الحسيني) ويعمل القرار ويسمى (السنبله) ويعمل قطعة من (المحمودى) ثم يعمل ميانة (الدشت) وبعدها يعمل قطعة من (الچارگاه) ويختم بميانة (الدشت)

الفصل الثاني المقام السادس

(حديدى) وبعد التوغل فيه يعمل قطعة من (القريه باش) وقطعة من (القطر) وقطعة من (العمر گلى) وقطعة من (العريبون عجم) ثم يعمل ميانة (النوى) وبعدها يعمل قطعة من (العبوش) وقطعة من (المدمى) ويختم با (الحديدى)

الفصل الخامس المقام الأول

(حسيني) وبعد التوغل فيه يعمل ميانة (الحسيني) وقطعة من (المحمودى) وقطعة من (المخالف) وقطعة من (الابراهيمي) ويختم بقرار (البوسليك) ..

ملاحظة هامة

لقد حصل في بحث الباب السادس (الشعر والموسيقى) بعض السهو في صحيفة ٩٠ من سطر ١٩ الى سطر ٢١ لا يخفى على القارىء وتصويبه

اما موازين الغناء فهي أيضا ثلاثة أصول (سبب ووتد وفاصلة) فالسبب نقرة متحركة يتلوها ساكن مثل تن تن تن ويكرر دائما ، والوتد نقرتان ويتلوهما سكون مثل تنن تنن تنن ويكرر دائما ، والفاصلة ثلاث نقرات مثل تننن تننن تننن ويكرر دائما فهذه الثلاثة هي الاصل .

جدول التصويب

يرجى تصحيح الاخطاء قبل مطالعة الكتاب

السطر	الخطأ	الصواب	الصحيفة
١٤	ابلانها	البانها	٢
١٥	ويكتسبون	ويكتسون	٢
٢٣	ان اثنائي	ان اثنانى	٢
١٢	يقول	يقوم	٥
٢١	احنها	اختها	٥
٥	خريمة	خزيمة	٧
٩	تعلم	اتعلم	٧
١٨	بساط	بسطام	٧
١٠	ولميك	ولم يكن	٨
١١	بقنينه	بقينه	٨
١٦	الافواه	الاقواء	٨
١٦	ماوك	ملوك	٨
٤	ايهامها	ابهامها	٩
١٢	الفرس	الفارسي	١٣
٢٥	الطلبات	الطبقات	١٣
٧	بيانهم	بنيانهم	١٤
٨	لأحوص	الأحوص	١٤
٥	عرة	غرة	٢٥
٦	دعائماً	دعائمها	٢٥
٥	المجنون	المجون	٢٨
١	عد	عند	٢٩
٩	سفيت	شفيت	٣٢
١١	رجلاً عاقلاً	قال كان رجلاً عاقلاً	٣٩

السطر	الخطأ	الصواب	الصحيفة
٢٣	اعاد	اعد	٤١
١٧	صربه	ضربه	٤٢
٢	الخزران	الخيزران	٤٦
١٠	تسمعا	تسمع	٤٦
٢٢	زريات	زرياب	٥٧
٦	عايه	غاية	٥٨
٢٤	نبق	نيق	٦٠
١٢	نبل	نيل	٦١
١٤	تحت	تحب	٦١
٣	ساعر	شاعر	٦٥
٣	اللى بث	الغيث	٦٧
٣	الور	الورد	٧١
٨	يسقنا	يسقينا	٧١
١٠	فصبرت	فصيّرت	٧٥
١١	والعش	والعيش	٧٦
١٥	هذه	هذى	٧٦
١٦	هاج شرق	هاج برق	٧٩
٢١	للهو	اللهو	٧٩
٢١	لم تمزح	لم تمزج	٧٩
٢٤	خط	حط	٨٠
١٦	لظته	لحظته	٨١
١٥	رمى الجار	رمى الجمار	٨٢
٥	الارج	الاوج	٨٥
٣	والمغتنى	والمغنى	٨٨
٧	وحمدن	حمدون	٨٨
١٨	فيما	فبينما	٨٨
١٤	والمدح	والمديح	٩١

السطر	الخطأ	الصواب	الصحيفة
٢٠	لنائبه	لنائبة	٩٢
١٩	الواد	الواو	٩٣
٤	انهكما	انهمكا	١٠٢
٢٢	السطر مقلوب	••	١٠٤
٢	يقرأ السطر الثاني قبل السطر الاول		١٢٨
١٤	الجمار	كالجمار	١٣٣
٢٤	صويلاً	طويلاً	١٥٢
١٤	صاريف	مصاريف	١٥٦
٦	عرفتها	غرفتها	١٥٧
٩	ملاء	تملاء	١٥٧
١٨	بالسفيان	بالسعيدى	١٧٨
٢٢	الليلى	الليالى	١٨٧
١٥	خدوك	خدودك	١٨٨
١١	فارقاً	الافارقاً	١٩٠
٦	ويلومني	ويلومنني	١٩١
١	الفنى	الفتى	١٩٢
٥	الظلمة	الظلماء	١٩٢
٦	في جبينه	في جنبيه	١٩٢
١٧	يزغل	يرفل	١٩٥
١٤	العيش	العيس	١٩٦
١٥	لن تبق	لن تبقى	١٩٦
٢١	ولاتشق	ولا تسق	١٩٦
٦	عالالمقام	عالى المقام	١٩٧
٤	كثابته	كتائبه	١٩٨
٢٢	حزنت	خزنت	٢٠٦
٩	احشاى	اعطاى	٢١٧
١٠	الف تجليبه	والكلب منطر	٢٣٠

فهرست الكتاب

مؤلفات المؤلف

١ ـ كتاب الطرب عند العرب (هذا الكتاب) مطبوع طبعة اولى وثانيـة

٢ ـ كتاب بغداد القديمة (مطبوع)

٣ ـ كتاب موجز الاغاني العراقية (مطبوع)

٤ ـ كتاب المواهب في ذكرى عبدالوهاب النائب (مخطوط)

٥ ـ كتاب قطف الأثمار ـ مجموعة (مخطوط)

٦ ـ كتاب نيل المرام في قاموس الانغام مخطوط (٧) ديوان شعر (مخطوط)

٨ ـ مجلة الفنون صدر منها ٢٦ عددا